
عمال الكاملة
ح عبد الصبور
٥- الترجمة
- القصةُ والشعرُ
Bibliotheca Alexandrina
01119153
الهيئة المصرية العامة للكتاب

الأعمال الكاملة

صلاح عبد الصبور

٥ - الترجمة

القصة والشعر

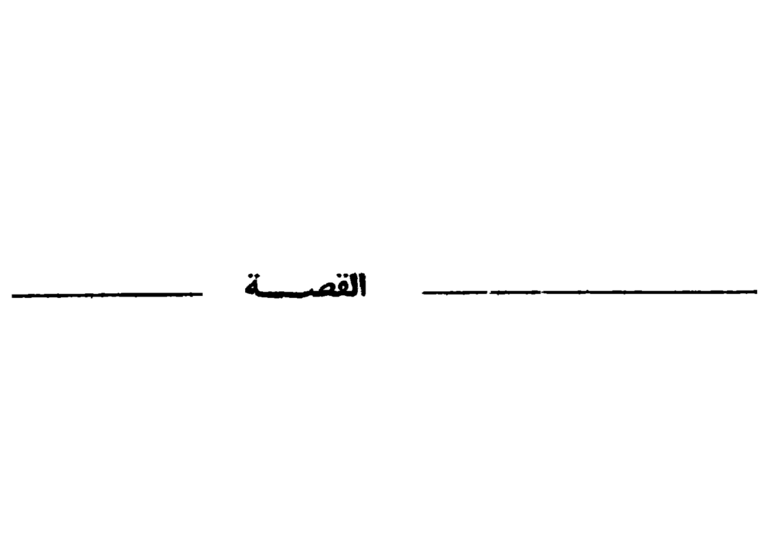


إعداد : أحمد صليحة ، محمود عبده

الغــلاف : فتحي أحمــد

الاخراج الفنى : راجيــة حسين

ب - القصّة والشعرُ



القصـــة

- لويــز ـ ســومرست مــوم
- ذوبان الجليد ـ أيليـا اهرنبورج
- الجـــلد ـ كروزيو مالبارتــه
- جريتــــا ـ ارسكين كولدويل
- خريف امرأة امريكية ـ تينسى وليـــامز
- النساء حين يتحطمن ـ سيمون دى بوفوار

لويـــز

تـــاليف

سـومرست مـوم

نشرت فى مجلة الثقافة ٢٢/١٢/١٩٥٢

لا أستطيع أن أعرف كيف كنت أضـايق لويز ، فلم تكن تفلت منها الفرصة لتقول لى شيئا يغضبنى • ولكنها كانت من الرقة بحيث لا توجه كلامها مباشرة ، ولكن اللمسة أو الآهـة أو الربتة الرقيقة من يديها القادرتين ، كانت لديها القدرة أن تؤدى المعنى الذى تريد • فقد كانت متمكنة من أساليب المدح البارد • ورغم أن معرفتنا دامت خمسـة وعشرين عاما الا أنه كان من العسير على أن أعتقد أنها تتأثر بالود القديم • فقد كانت تحسبنى رجلا قاسـيا خبيثا •• ولكنهـا لم تكن تهملنى أو تدعنى فى وحـدتى ؛ فقد كانت تدعونى عـادة أن أتناول معها الغـداء أو العشاء •• وكثيرا ما كانت تدعونى أن أقضى معها عطـلة آخر الأسبوع فى منزلها الريفى •

وأظن أنا أن سبب غيظها منى رغم ذلك الود القديم أنهـا كانت معتدة بنفسها لا تستريح الا اذا اعترفت لها أننى مخطىء ومنهزم • وكان مما يخزها أيضـا أننى كنت أرى وجهها خلف القنـاع وأننى ان عاجلا أو آجـلا سأنزع القناع عن الوجه • ولم أكن أدرى هل هى تعتقد الغفلة فى نفسها كما تعتقدها فى العالم أم أن هنـاك بذرة مرح وتسامح فى أعمـاق نفسها • واذا صح ذلك فلعل ذلك مبعث التآلف بيننا اذا أننا نقتسم سرا

مخفيا عن الآخرين وقد عرفت لويز قبل زواجها . وكانت حينئذ فتاة رقيقة ذات عينين واسعتين حزينتين . وكان والداها يعبدانها عبادة فيها قلق ولهف لمرض ألم بها فى صغرها .. الحمى القرمزية كما أظن . وقد تركهـا المرض ضعيفة القلب وكان عليهـا أن تكون أكثر حرصـا على نفسها ، ولمـا خطبهـا توم متيلاند تضايقوا لأنهم كانوا يعتقدون أنها شديدة الرقة لا تكاد تتحمل مسئولية الزواج ، وقد وعد أن يصنع كل ما يمكنه لأجل لويز فزفوها اليه وهم يشعرون بالتضحية وقد كان توم رجلا ضخما رياضيا وسيم الطلعـة ومصمما أن يبذل ما فى وسـعه ليجعل أيامها القصيرة على الأرض حافلة بالسعادة فقد كان يعتقد أنها معرضة للموت بهبوط القلب . وأقلع توم عن الرياضـة التى كان يمارسها لخوفه من أن تصيبها الصـدمة القلبية وهو خارج المنزل يصطاد أو يلعب الجولف . والواقع ان قلبها لم يكن يصرفها عن الشكوى أبدا .

وذات يوم رأيتها تتريض بالمشى ثمانية أميال فقلت لتوم انها قوية القلب وليست واهنة كما تظن ، فهز رأسـه وتنهد قائلا : لا ... لا فانها بالغة الرقة والضعف وقد عرضتها على كبـار المختصين فى القلب ، وقال جميعهم : ان عمرها معلق على خيط واه .. ولكن روحها قوية لا تهزم . ولمـا رأيت لويز بعد ذلك ذكرت لها ما دار بينى وبين زوجها فقالت : سأدفع ثمن ذلك

قريبا فانني على أبواب القبر ، فأجبت يخيل الى أحيانا أنك من القوة بحيث تفعلين كل ما تريدين .

وقد لاحظت أنها ترقص الى الخامسة صباحا اذا طابت لها الصحبة وكان الحفل بهيجا . ولكن التعاسة كانت تملأ قلبها فى الحملات القاتمة . وكان على توم حينئذ أن يرافقها الى المنزل سريعا رغم أنها ابتسمت لى ابتسامة حية فان البهجة ما كانت تلوح فى عينيها الواسعتين الرقيقتين . وتنهدت قائلة : لعلك تتوقع أن أسقط صريعة لأبهج قلبك فحسب !

وبقيت لويز ومات زوجها ، فقد أسلمه البرد الى الموت يوما بعد أن ترك لها ثروة كافية وبنتا . وتماسكت لويز وجابهت الصدمة رغم أن أصدقاءها كانوا يعتقدون أنها ستسرع بعده الى القبر . وكان أسفهم بالغا لأن ايريس الابنة ستصبح يتيمة الأم والأب فأحاطوا لويز بعنايتهم فبذلوا وسعهم لراحتها وانقاذها وكانت هى ضائعة حقا بدون رجل يرعاها . وكانت تقول دائما انها ستربى ايريس رغم صحتها الواهنة . وتساءل أصدقاؤها : لماذا لا تتزوج ثانية . فكانت تجيبهم بأنه لا موضع لهذا الزواج مادامت مريضة القلب ـ وان كانت لا تشك أن المسكين توم يود ذلك وهو فى قبره . وقد تقدم أكثر من شاب للزواج منها.وبعد عام من وفاة توم تزوجت چورج هوب هاوس.

وكان چورج سعيدا أن أتيحت له فرصـــة الاشراف على تربية الطفلة الصغيرة .

وكان چورج جنديا طموحا فاستمال من عمله وأجبرته صحة لويز على أن يقضى الشتاء فى مونت كارلو والصيف فى دوفيل . وكانت حين تحس بالارهاق الذى يعانيه تقول : لن أكون مبعث ضيق له مدة طويلة .

وفى مر السنتين أو الثـــلاث التالية لزواجها تحدت لويز المرض فكانت تلبس آفخر ما عندها حين تغشى الحفـــلات وتقامر وترقص . وفجـــأة أعلنت الحرب وانضم چورج الى فرقته . وبعد ثلاثة أشهر من بدء الحرب قتل ، فكانت صدمة اهتزت لها لويز ولكنها أدركت أن محنة عالمية كالحرب يجب أن لا تدع مجالا لنكبتها الخاصـــة ، ولذلك حولت مغناها فى مونت كارلو الى مستشفى للضباط الناقهين . وكانت تقول أعرف أننى سأموت ولكن ماذا أستطيع أن أفعل !

ولم تمت طبعا . ولكن هذا العمل كان بهجة أيامها فلم يكن هناك للناقهين فى فرنسا مكان أقرب الى النفس من بيتها . وقد قابلتها فى ذلك الوقت صدفة فى باريس . وكانت تتناول العشاء مع فرنسى بالغ الأناقة فى حانة ربتز . وقالت لى عندئذ انها فى باريس لأمور تتصـــل بالمستشفى وان الضـــباط قد غمروها

بمودتهم كما لو كانوا أزواجها جميعا ثم تنهدت قائلة : أيهــا المســكين چورج : من كان يظن أننى بقلبى الضعيف سأعيش بعدك ؟ وقلت أنا : « والمسكين توم أيضا » ولم تشعر بالغبطة لقولى هــذا ، بل أدارت الى وجهها وعليه ابتسامتها الواضحة وعيناها الواسعتان المليئتان بالدمع ، وقالت : لا أدرى لم تتكلم دائما كأنك تحسدنى على هــذه السنوات القليلة التى أتوقع أن أعيشها .

فقلت : بالمصادفة يا عزيزتى ان قلبك قد تحسن كثيرا أليس كذلك ؟ فقالت : لن يتحسن أبدا . لقد زرت اختصاصيا هــذا الصباح فقال : اننى يجب أن أعد نفسى للنهاية فأجبت آوه .. حسنا لقد أعددت نفسك لها منذ عشرين عاما .

وعندما اقتربت نهاية الحرب استقرت لويز فى لندن وكانت فى ذلك الوقت امرأة فى نحو الأربعين ذات عينين واسعتين وخدود شاحبة وتركت ايريس ابنتها المدرسة لتعيش معها .

« سترعانى ايريس » قالت لويز : « وبالطبع ستجد مشقة فى الحياة مع امرأة أنانية مثلى ، ولكن كل هذا لأجل قصير » .

وكانت ايريس فتاة جميلة تعرف أن صحة أمها ثمينة جدا فلم يكن يسمح لها أبدا وهى طفلة أن تحدث ضجة أو تثقل على أمها لأى سبب . ولذلك لم يكن لازما أن تقول لها لويز انها

تضحى بنفسها فى سبيل امرأة متعبة فقد كانت الصبية الجميلة تدرك ذلك جيدا دون أدنى احساس بالتعب أو المرارة ••• وكان مما يبهج الطفلة أن تعتقد أنها تفعل شيئا نافعا لأمها ، ولكنى كنت أنصحها دائما أن تخرج وتمرح وتغشى الأندية والحفلات • وحين تكلمت مع ايريس لأول مرة قالت « يارحمتنا لأمى العزيزة انها تريدنى أن أغشى الحفــلات كذلك • ولكنى أخشى أن أخرج أنا من الباب وينسلل اليها الموت من الباب الآخر ، ولذلك فانى أفضل أن أظل فى المنزل » •

ولكنها أحبت أخيرا • وكان محبوبها صديقا صغيرا رائع الجمال ، وحين سألها أن تتزوجه ترددت ، وأتانى الصــديق فى يوم من الأيام وهو تعيس حزين • وأخبرنى أن الزواج قد أجل الى موعد غير محدد • وكنت أحب الطفلة وأتمنى لو انتهزت فرصتها لتبنى لنفسها حياة جديدة • وكنت أعرف أن حبها لأمها وخوفها على صحتها ألجأها الى التسويف • وذهبت الى لويز وقلت لها :

ــ لقد سمعت أن ايريس لن تتزوج •

ــ نعم ، فانها لن تتزوج سريعا كما أحب وقد رجوتها وأنا راكعة على ركبتى أن لا تلقى بالا لصحتى • ولكنهــا رفضت باصرار أن تتركنى •

ــ ألا تظنين أن هذا قد يشق عليها ؟

ــ جدا بالطبع ، ولكنى أكره أن يضحى الناس بسعادتهم من أجلى •

ــ عزيزتى لويز ، لقد وسدت رجلين التراب ! ولا أدرى سببا يحول بينك وبين أن تدفنى رجلين آخرين !

ــ أتظن ذلك مضحكا ؟ قالت ذلك وهى مغيظة •

ــ لعل من العجيب أنك من القوة بحيث تفعلين ما تريدين ، ولكن قلبك الضعيف يمنعك من فعل ما لا تحبينه فحسب •

ــ أعلم أنك لا تصــدق أننى مريضة • أعلم ذلك جــد العــلم •

ــ لا ، ولكنى أعتقد أنك كنت فى خمس وعشرين ســنة السيدة الأنانية التى دمرت حياة زوجين تعيسين ، وهأنت تدمرين الآن حياة ابنتك •

ولم أكن أعجب اذا أصابها القلب عندئذ ، وتوقعت أنهــا ستترنح من الألم • ولكنها لم تفعل سوى الابتسام •

ــ يا صديقى العزيز • ستحزن يوما ما على كلامك هذا •

ــ هل قررت ألا تتزوج ايريس هذا الشاب •

ـ لقد توسلت اليها أن تتزوج وأعلم أن ذلك سيقتلنى : ولكنى ضائعــة لا يعنى بى أحــد ، انى معبر للجميع فقط • ثم استطردت قائلة : تستطيع لويز أن تتزوج رجلها غدا ان أرادت فاذا قتلنى فراقها فليكن ذلك •

ـ حسنا ، دعينا نخاطر •

ـ أليس لديك قليل من العطف على ؟

ـ لا أكتمك أننى لا أستطيع ذلك •

وصعدت الحمرة الى خديها الشاحبين ، ورغم ابتسامتها فان عينيها كانتا قاسيتين غاضبتين •

ـ ستتزوج ايريس فى مدى شهر ، واذا حدث لى ... الموت فانى آمل أن تستطيعا أنت وهى أن تغفرا لنفسيكما •

وبرت لويز بوعدها ، وحدد اليوم ، وحررت الدعوات ، وكانت ايريس والصبى الجميل فى غاية المرح • وفى يوم العرس فى الساعة العاشرة صباحا أصابت لويز هجمة القلب وماتت ماتت فى سلام ، وقد سامحت ايريس على قتلها •

ذوبــان الجــليد

تــاليف

ايليــا اهرنبــورج

نشرت فى صباح الخير من ٦/١٣ الى ١٩٥٧/٧/٤

هـذه الرواية هى رواية الحب والعاطفـة •• والحيـاة الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى •• وقد صدرت هذه الرواية فى أوائل عام ١٩٥٥ ، ولم يكد يمضى على صدورها أشهر حتى ثارت ضجة لم يعرفها الأدب السوفييتى من قبل وكتب أديب روسى كبير هو قسطنطين سيمونوف سلسلة من المقـالات فى المجـلة الأدبية الروسية يهاجم فيها الرواية ويتهمها بأنها تنقل صـورة غير صحيحة عن الحياة فى الاتحاد السوفييتى •

وقد سمى اهرنبورج روايته بهذا الاسم « ذوبان الجليد » لتكون رمزا للتحرر فى تناول الموضوعات المختلفة ودليلا على موت الاتجاه المتزمت فى النظرة الى الأدب والفن فى ظل النظام الاشتراكى •

وأصبحت « ذوبان الجليد » بعد فترة رمزا لعصر أدبى جديد • وانقسم الأدب السوفييتى الحديث الى عصرين •• عصر ما قبل ذوبان الجليد وعصر ما بعده ، ووقف اهرنبورج فى أحد الاجتماعات الأدبيـة العامة يرد على الهجمات التى وجهت اليه فقال : ان واجب الأديب أن يتصـور أبطالا من البشر صالحين مع جوانب من الضعف أو فاسـدين مع جوانب من الخـير ،

ولو تيسر لى أن أكتب كتابا آخر فسيكون هذا الكتاب بالنسبة الى « ذوبان الجليد » خطوة الى الأمام لا خطوة الى جانب •

وقد امتدت أثر « ذوبان الجليد » الى كل نواحى الفن فى الاتحاد السوفييتى ، ففى المسرح عنى المؤلفون بأن تكون مسرحياتهم انسانية دافقة بالحياة والخصوبة وعاد الحب الى مكانه كمظهر من أرفع مظاهر الصفة البشرية ، وفى الموسيقى قام الموسيقى الأرمنى المشهور خاتشاتوريان بدور كالذى قام به اهرنبورج فى الأدب ، فطالب بأن تتحرر من كل قيد الا قيد التعبير الخلاق •

أعلنت موظفة مكتبة المدينة أن الرفيق براينين سيتحدث ثم يتلوه الرفيق .. كوروتيبيف .

وحين سمع كوروتيبيف اسمه رفع حاجبيه فى دهشة رغم أنه كان من المعروف أنه كثيرا ما يتكلم فى اجتماع القراء الذى تنظمه المكتبة العامة كل أسبوع .. وكان المستمعون يتتبعون ما يقوله كوروتيبيف باهتمام لسداد رأيه ، كما كان كل زملائه فى المصنع يقدرونه ويحترمونه لذكائه وتواضعه وثقافته المتعددة الجوانب ، الى جانب كونه أحد المهندسين المرموقين .

ووقف الرفيق براينين على المنصة ونشر أوراقا كثيرة ثم أخذ يقرأ متعجـلا كأنه يخشى أن لا يكفى الوقت لكى يدلى بكل ما عنده .

كان موضوع المناقشة فى تلك الليلة رواية جديدة أثارت كثيرا من النقـاش . وعقب براينين على من سبقوه قائلا : انه يختلف معهم فى الرأى ، اذ أن للرواية هدفا تعليميا واضحا ، وهو أن النقد الذاتى له فائدة لا تنكر ، كما أننا يجب أن نزداد ايمانا بمبدأ القيادة الجماعيـة لأن بطل الرواية كان يستعين دائما فى مشاكله بتوجيهات قادة الحزب .

ووقف كوروتييف بعده وأفاض فى الكـلام ، وكان من الواضح أن الرواية لم تعجبه ، فأخذ يهاجم تصرفات أحد أبطال الرواية هجوما مريرا لأنه وقع فى حب زوجة أحد زملائه .

وارتفع صوت كوروتييف وهو يقول : « ان المؤلف قد استغل الوسـائل الرخيصة لكى يستحوذ على اعجاب القارىء ؛ فمن المؤكد أن المواطن السوفييتى أكثر فهمـا للشرف وتقديرا للمسئولية من أن يرتكب عملا كهذا .. ان هـذا التصرف قد يصلح لملء صفحات رواية بورجوازية تافهة » .

ودوى التصفيق اعجابا بما قاله كوروتييف ومال جورافليوف مدير المصنع على أذن موظفـة المكتبة وقـال : « لقد أصـاب كوروتييف عين الحقيقة » أما زوجة جورافليوف « لينا » التى تشتغل بالتدريس فلعلها كانت الوحيدة فى القاعة التى لم تصفق ولم تبد اعجابا .

ووقفت كاتيا ستولباروفا احدى موظفات المصنع لترد على ما قاله كوروتييف قائلة :

« أنا لا أرى صلة بين البورجوازية وبين هـذه الرواية ، فالانسان له قلب ومادام هـذا القلب بين ضـلوعه فلابد أن وأن يتعذب » .

ولم يستطع كوروتييف أن يتتبع ما قالته كاتيا لأن ذهنـه شرد وراء هـذه العبارة « الانسان له قلب » . لقد هزته هذه

الحقيقة : فلم يعد يرى القاعة ولا موظفة المكتبة ولا الكتب الموضوعة على المنصة ولا ستائر الشباك ، وتركز بصره على لينا واستيقظ عذاب الشهور المنصرمة فى نفسه ، وتمنى لو تلتقى نظراتهما ليرى أثر كلامه فى عينيها ، ولكنها كانت منصرفة عنه ، وأخذ كوروتييف يرجع بذهنه الى الماضى عندما رأى لينا لأول مرة ، اذ أدهشه ذكاؤها وسعة أفقها ، فضلا عن جمالها ، وذلك الوجه المعبر الذى لا ينسى • وظل يتساءل حينئذ كيف تستطيع هذه المرأة الناضجة أن تحتمل الحياة مع زوج مثل جورافليوف ضيق الأفق ، ولا يعرف الا المصنع والعمل •

وخرج كوروتييف الى الفضاء الواسع • وكان الجو قارس البرد ، وكان فكره معلقا بلينا وبالأحلام المحمومة التى راودته فى الأسابيع الماضية وبالعجز وقلة الحيلة اللذين لم يجربهما من قبل • لقد كان أصدقاؤه يعدونه رجلا سعيدا دانت له الحياة ، ولكنه قد خاض كثيرا من المحن فى هذه السنين الخمس والثلاثين التى عاشها • لقد واجه الحياة مبكرا ، فقد اعتقل أبوه سنة ١٩٣٦ وكان هو فى السابعة عشرة • وحين خرج من منزله غداة اعتقال أبيه رأى صديقه ميشاجريبوف وناداه لكى يشكو اليه همومه ، ولكن ميشا الصديق العزيز وثب الى الرصيف الآخر كأنه لم يسمع نداءه ، وبعد أيام طرد هو من المدرسة وبكت أمه وتساءلت : « وما ذنبك أنت أيها الصغير ؟ » •

وحاول أن يعزيها قائلا انها حالة فردية لا يجب أن تؤثر فى حكمها على الحياة ، ثم التحق بأحد المصانع وكان يستذكر ليلا ويعمل نهارا ويعد أمه دائما بأنه سيلتحق بالجامعة قريبا .

وقامت الحرب وأرسل الى الجبهة وجرح وأقام فى المستشفى ستة شهور ، ثم عاد الى الجبهة ، وفى تلك الأثناء أحب احدى المجندات ، وكان اسمها ناتاشا ، وكان يحلم دائما بالسعادة التى تنتظره بعد الحرب حين يتزوج ناتاشا ، ولكنها ماتت فجأة فى العاشر من مايو حين لم يكن أحد يفكر فى الموت . اذ انفجر لغم وكانت هى احدى ضحاياه ، وطوى حزنه فى صدره ، ولم يبح به الى أحد ، وكانت أمه تسأله أحيانا ألا تتزوج ... لقد جاوزت الثلاثين ولا أعلم من سيعنى بك بعد موتى .

فكان يقول لها : « لقد فقدت سعادتى فى الحرب يا أمى ان الزواج لم يعد يخطر لى على بال » .

كان كوروتييف يعالج أحزانه بالعمل المتصل ، فالتحق بمعهد صناعى ، وسرعان ما لفت الأنظار بذكائه ومثابرته ، واستقبلت أبحاثه العلمية بالتقدير والاعجاب ، ثم أرسل الى هذا المصنع على نهر الفولجا ، ولاقاه جورافيلوف مدير المصنع بتحفظ ما لبث أن استحال الى حماس وثقة حين أدرك مدى ما يتمتع به المهندس الشاب من كفاءة .

انه يسأل نفسه ماذا حدث له الآن ؟ . لقد فقد سيطرته على نفسه ، ومن الغريب أنه وقف يهاجم الرواية ، ويلوم ذلك الرجل الذى أحب زوجة زميله ، وقد زعم أن مثل هذا الرجل لا يوجد فى المجتمع الروسى .. نعم ان مثل هذا الرجل ومثله هو لا يوجدان فى المجتمع .. انهما دمى .. أشخاص روايات .

وأخذ يفكر فى « لينا » . ترى ما رأيها فيه بعد ما سمعته منه ؟ هل تسخر منه ؟ .. هل تعتقد أنه كاذب ؟ . ولكن لماذا يفكر فى لينا ؟ لقد اختلفت طرقهما فى الحياة .. هى زوجة سعيدة ، ولها صبية صغيرة فى الخامسة من العمر وهو انسان وحيد .. وحيد .

كان الطريق مقفرا . وأحس كورتييف بالتعاسة تغمره . ودخل منزله واتجه الى غرفة مكتبه ليداوى نفسه بالعمل ، ولكنه لم يستطع أن ينصرف الى عمله هذه الليلة ، وأخذ يفكر فى لينا ، ونظر فى الساعة فألفاها تشير الى الخامسة ، وقرر ألا ينام فخرج الى الطريق ، وكانت المصابيح تلمع على الجانبين والطيور البيضاء ترفرف فى الهواء .

وقال كوروتييف لنفسه :

« انها حماقة لن أستطيع التخلص منها ، ولكنى ــ برغم ذلك ــ سعيد .. سعيد » .



عندما رأت لينا زوجها منصرفا الى جريدته بعد عودتهما من اجتماع القراء تمنت أن لا يرفع بصره عن الجريدة أبدا . فقد كانت تحس أنها فى حاجة الى الوحدة والتفكير .. ان ما حدث هذه الليلة قد أزعجها ازعاجا شديدا ، وأحست أنها فى حاجة الى صديق يدلى اليها بالنصيحة .

كان بوخوف الشيوعى القديم وزميلها السابق فى المدرسة هو مرشدها وناصحها الى عهد قريب ، ولكنها الآن قد تعدت الثلاثين وهو قد أرهقه المرض والاعياء ، وشكاياتها له ستزيده ارهاقا .

أما فيراشيرر الطبيبة .. تلك الصديقة التى توطدت ثقتها بها فى أول لقاء ، فان لديها أحزانها الخاصة منذ فقدت زوجها فى الحرب .

لم يبق الا هو .. ديمترى كوروتييف .. هى لا تدرى لماذا تعلقت به منذ أن رأته لأول مرة ؟ لقد أدركت من نظرات عنيه ومن تلك الشعيرات الرمادية فى رأسه أنه ليس ذلك الرجل السعيد الذى يتوهم الناس . وحين حدثها عن ماضيه لم يشر قط الى حبه الأول لناتاشا .. عرفت كم عانى كى يصبح ما هو الآن ، ولكنه انقطع عن زيارتهم فجأة ، هل أحس بمدى السعادة التى يهبها لها حين يزور منزلهم ، فأراد أن يحرمها منها .. وحين قدمته موظفة المكتبة تمنت لو تستطيع أن

تهرب من وجهه .. أو أن تبكى ، وحين تكلم ساءلت نفسها .. هل عرف أننى أحبه فأراد أن يلقى على بطريقة غير مباشرة درسا فى الأخلاق .. لقد ألقى درسه بلباقة وانقضى الأمر .

***

ولكن لما تزوجت هذا الرجل ؟ هذا الموظف الذى لا قلب له .. ان كل شىء فى حياته هو المصنع . ومطامعه الوحيدة هى أن ينال رضا موسكو . وحين نشر عمود عنه فى احدى الصحف كاد أن يجن من الفرح .. وها هو ذا فولوديا الرسام بن أستاذها وزميلها القديم بوخوف يرسم لم صورة كأحد بناة الصناعة الروسية لكى تعرض فى معرض الاقليم ، ولعل هذا ما أعجبها فيه حين رأته لأول مرة .. انه أحد بناة الصناعة ولكنها حين عرفته عن قرب رأته ضعيفا خائفا باردا لا يوقظ احساسه الا عاصفة شديدة .

***

كانت ليلة اجتماع القراء ليلة مشهورة فى بيت آخر هو بيت أندريه بوخوف المعلم العجوز ، ان أحدا منهم لم يذهب الى قاعة المكتبة ، فقد احتفلت الأسرة فى ذلك اليوم بعيد ميلاد بوخوف الرابع والستين ودعا ابنه فولوديا بوخوف الرسام وسونيا أخته أصدقاءهما الى هذا الحفل . وكانت ناديجا الأم متألقة توزع تحياتها وابتساماتها على الجميع .

وبرغم أن بوخوف كان مرهقا ومريضا الا أنه أحس فى صحبة الشباب أن شبابه يعود اليه .. ولم يكن هنـاك شيء أحب الى بوخوف من الجـلوس مع الصغـار ، ومن محـاولة تفهم مشاكلهم ، واسداء النصح لهم دون أن يجرح كبرياءهم .. ومع أنه قد اعتزل التعليم منذ فترة غير قصيرة الا أن تلامذته السابقين كانوا يلجأون اليه دائما حين تواجههم المشاكل .

أما فولوديا ابنه فقد درس الرسم فى موسكو ، وكان منذ صباه حاد الذكاء لاذع السخرية ، وحين كان مراهقا كان يجد تسليته فى تجريح الناس وفى التأفف من الحياة .. وفى الظهور بمظهر الانســان الناضج الذى يعرف كل شيء ، وكم حـاول أبوه ـ وهو المعلم القديم ـ أن يصلح من طبعه ولكن الصبى كان ينظر الى أبيه بعينين ساخرتين ضيقتين فيسكت الأب على مضض .

وقـد مر فولوديا بتجربة قاسـية حين تخرج فى مدرسـة الفنون ، فقد منحته الحكومة مرسما ومعاشا شهريا لتفوقه فى رسم مشروعه عن أعياد الحصاد فى المزرعة الجماعية .. ولكنها ما لبثت أن أعلنت أنه قد منح المرسم خطأ وطردته منه ومنحته لآخر ، وعرف فولوديا أن سبب ذلك أنه تحدث مرتين أو ثلاثا بلهجته الجارحة عن المشرفين على الفنون ، ولكن الوقت لم يكن قد فات ، فأصلح فولوديا خطأه ، وكان المدح لمن هاجمهم وأعلن

أنه قد نقد نفسه ، ووجد أنه رفيق خاطىء ، ولذلك فسيذهب الى الريف والمدن الصناعية لكى يتسع أفق تجاربه .

وحين عاد فولوديا من رحلته التى استغرقت سته اشهر ، وعرض على النقاد لوحة تمثل عاملين يقرآن جريدة وقد بدت عليهما آى السعادة هلل النقاد لهذه اللوحـــه واسترد فولوديا مكانتــه .

وخرج فولوديا من هذه التجربة بنتيجة مريرة ، وهى أن الفنان يجب أن لا يعبر عن الأفكار ، لأن الثمرة الوحيدة للتفكير الحر هى الفشل والاخفاق .

أما سونيا ابنة بوخوف فقد كانت فتاة متكتمة لا تفتح قلبها لأحد ، وكان أبواها يعرفان أنها تميل الىشافسنكو المهندس الشاب . وحين سألتها أمها عن عواطفها نحوه أجابت فى هدوء « انه شاب طيب ولكنه لايزيد عن أن يكون أحد معارفى » .

وقد حدث ذات مرة فى الربيع المــاضى أن كانت ســونيا وسافشنكو يتنزهان فى أحد المروج ، وكانت الأزهــار تتوج الشجيرات الصغيرة ، وكانا يمشيان فى صمت ، وفجأة أخذها سافشنكو بين ذراعيه وفقدت سونيا تماسكها للحظة وقبلته فى شفتيه ، ولكنها سرعان ما عادت الى طبيعتها ، وصدته فى اصرار ، وفى مساء ذلك اليوم قالت له فى لهجة باردة : « ان ما فعلناه كان خطأ كله فأنا لا أعرف ما مستقبلى .. ولا أظن أنك تريد منى أن

أكون ربة بيت فقط أنجب الأولاد وأربيهم كما أنك لن تستطيع ان تحصل على منزل كبير لأنك مازلت جديدا فى المصنع » •

واسرعت سونيا الى غرفتها وانكفأت على سريرها تبكى وتتساءل : « لمـاذا حادثته بهذه اللهجة السخيفة •• اننى أحبه•• لا استطيع العيش من دونه » •

***

أخذ الضيوف يتوافدون الى حفلة عيد الميلاد • كان هناك سابوروف الفنان وزوجته وتانشكا الممثلة فى مسرح المدينة ، أما شافسنكو فقد اعتذر بأنه سيذهب الى اجتماع القراء ثم يأتى بعد أن ينتهى الاجتماع •

كان سابوروف الفنان الضيف صديقا قديما لفولوديا ، ولكن الحياة قد فرقت بينهما ، فقد كان فولوديا يحلم بالمـال والشهرة • ولذلك فهو لا يرسم الا الموضوعات التى تنال رضا السلطات ، والتى تمنح عليهـا الجوائز • أما سابوروف فكان يرسم المناظر الطبيعية والوجوه التى لا يعنى بها أحـد ، وكان واضحا أنه لا يهتم الا بفنه وزوجته ، وكانت جلاشا زوجتـه سيدة رقيقة عرجاء تعبد زوجها وتؤمن به ، وكان كثيرا ما يرسمها دميمة كالواقع ، ولكنـه يضفى على دمامتها سحرا خفيا وكان فولوديا يؤمن بأن سابوروف موهوب ، ولكنـه قد أخطـأ الطريـق •

قال فولوديا لسابوروف ساخرا :

ـ « لعلك مازلت تريد أن تتفوق على العصر » •

ولم يجب سابوروف ، ولكنـــه انطلق يتحدث عن رفاييل وميكائيل انجلو وعظمة ألوانه ، الى أن قالت له ناديجا بوخوف ربة الدار فى صوت رقيق : « كل طعامك قبل أن يبرد » •

وحين دخل شافسنكو متأخرا ألقى التحية وأجال بصره فى المكان بحثا عن ســونيا ، التى كانت فى ذلك الوقت منهمــكة مشغولة بمناقشة تانشكا حول احدى المسرحيات •

وسأله بوخوف : كيف كان الاجتماع ؟

وقــال سافشنكو : لقد عجبت لكوروتييف •• فقد كنت أظنه ذكيا ومثقفا وحساسا ، ولكنه •• يا للعجب كان يردد بعض الألفاظ كالببغاء •

وعلق فولوديا على كلام سافشنكو قائلا :

ـ ان كوروتييف رجل ذكى لأنه يقول ما لا يعتقد •

وقالت تانشكا : ان نفس المشكلة تواجهنا فى المسرح •• لقد عرضنا ثلاث مسرحيات سوفييتية جديدة ولكنها كلها خالية من الفن •

والتفت سابوروف اليها وقال : لقد أصبح الفن تصــويرا فوتوغرافيا • ان رافاييل العظيم لم يكن أبدا كاميرا بالألوان •

وقاطعه فولوديا فى تهكم : لو كان رفاييل العظيم حيا لرفض اتحاد الفنانين أن يضمه اليه .

وكأنما أغضب هـذا الكلام سـونيا ، فقالت انى أؤيد كوروتييف فى وجهة نظره .. ان الرجل السوفييتى ينبغى أن ينتصر أيضا على نفسه والحب أعمى الى حد ما ، ومهمة الأدب هى أن يعلم الناس لا أن يربكهم » .

وبدا الانزعاج على وجه سافشنكو وتناول كأسه فجرعه فى مرارة .

***

انتهزت سونيا فرصة الضجة فانسحبت الى غرفتها دون أن يحس بها أحد ، وارتمت على سريرها دون أن تشـعل النور وأخذت تفكر : لقد فقدت السيطرة على نفسى ، يكفي أن ينظر الى حتى أصبح على غير طبيعتى وأعجز عن الكلام أو التفكير .. ان هذا المخيف .. يجب أن أسترد سيطرتى على نفسى .. انى أكره العواطف ولكنها تملأ قلبى .

ودخل سافشنكو الى الحجرة .. فلم يستطع أن يراها فى الظلام .. فمد ذراعه ولمس كتفها واحتواها بين ذراعيه وقبلها .

« أنت مجنون .. قد يرانا الناس » .

وهمس لها : اذا كنت تحبينني فلماذا لا تتخلين عن هـذا المنطق •• لمـاذا تتعقلين كل شيء الى هذا الحد ؟

وهبت واقفة وقالت : لقد أوضحت لك كل شيء •• ثم أضاءت النور واتجهت الى الباب •

وقال لها : انتظرى •• سأقول لك شيئا •

وقالت : لقد قلت ما فيه الكفاية •

وخرجت سونيا ، وبعد قليل تبعها سافشنكو وجلسا بين المدعوين دون أن ينطقا بحرف •

وانتهت الحفلة ، وخرج سافشنكو الى منزله ، وكان الثلج يتساقط خفيفا على وجهه وكتفيه ، وأخذ يفكر فى حبه : لقد أسرعت بعد الاجتماع الى منزل بوخوف ، وكنت أظن أن السعادة فى انتظارى هناك ، ولكنى وجدت شقائى ، يا لى من انسـان خيالى •• لمـاذا أهتم بالحب الى هـذا الحد ؟ •• انى انسان ناجح فى عمله ، ولكن هـذا لا يكفى لكى يكون الانسـان سعيدا •• صه ! هـذه أفكار رومانتيكية لمـاذا تبدو سـونيا حريصة الى هذا الحد ؟

هل تحب أحدا ؟

***

فى طريق آخر كان فولوديا وتانشكا الممثلة الريفية يمشيان فى صمت ، وكانت تانشكا قد أسرفت تلك الليـلة ، فى شرب الخمر ، والسكر والبرد يدفعان الانسان الى اجترار ذكرياته .. واستعرضت تانشكا حياتها الخاوية ، انها ليست موهوبة كممثلة ، وان خدعها هـذا الوهم سنين طويلة ، ولكنها تؤمن أن حيـاة أفضل تنتظرها بعد هذا العذاب الطويل .. لقد حاولت الانتحار حين هجرها الممثل جروموف الذى كانت تعبده ، ولكنهـا سرعان ما أفاقت ، وعرفت كثيرا من الرجال .. كولوسنكوف وبورودين وبيبيتا .. لقد تعودت أن تهب نفسها دون أوهـام ، وأن تستقبل الفراق دون حزن ، وقد أصبحت عشيقة لفولوديا هربـا من الوحدة . وكثيرا ما ساءلت نفسها : هل تحبه .. ؟ فلم تجد جوابـا .

ومشيا طويلا وهما صامتان ، حين قطعت تانشكا حبـل الصمت قائلة :

قل لى : ماذا يرسم سابوروف ؟

وأجابهـا فولوديا : انه اما أن يرسـم منزلا وشـجرتين أو شجرتين ومنزلا .. وهو يعتقد أن ما عدا ذلك ليس فنا .

وسألت تانشكا : وما رأيك فيه ؟

وقال فولوديا : انه مريض بالشيزوفرانيا ، ولذلك فهو لم يبع لوحة واحدة من لوحاته .

وقالت تانشكا انه ليس مريضا بالشيزوفرانيا •• انه فنان أما أنت فمجرد رسام محترف •

وقال فولوديا ضاحكا : « هل وقعت فى حب سابوروف ؟ » •

وارتفع صوت تانشكا وهى تقول : كف عن مزاحك الثقيل •• لقد سئمت كلامك •

وظلا صامتين حتى وصلت تانشكا الى منزلها ، ولم تدعه الى الدخول ، وحين دخلت الى غرفتها استغرقها التفكير •• ان فولوديا مجرد رسام فمن هى ؟ •• ممثلة مغمورة ، مجرد ترس فى آلة كبيرة لا تملك القليل من الموهبة •• أنا امرأة خاوية •• جلاشا تحب زوجها سابوروف ، أما هى فلا تعتقد أنها تحب فولوديا : ان بينهما شبه اتفاق أن يهرب كل منهما الى الآخر خوفا من الوحدة • ولكن لا حب • لقد كانت تحلم بالسعادة وهى فى مدرسة التمثيل ، ولكنها لم تر السعادة يوما ما ، هل السعادة فى الفن كما يقول سابوروف ؟

أما فولوديا فقد هزته كلمات تانشكا هزا •• انه مجرد رسام •• فهل المال هو كل شىء •• به يأكل ويجد المتعة •• ان سابوروف مريض حقا ، وهو موهوب أيضا ، ولكن ما قيمة الموهبة اذا حبست فى دولاب •

لقد رأيت فى موسكو كبار النقاد وهم يرفضون بعض اللوحات لأنها غير متفائلة .. لأن فيها تعبيرا انسانيا حزينا ، ماذا أصنع .. هل أموت جوعا ؟

***

حين استيقظت لينا فى صباح اليوم التالى لاجتماع القراء كانت قد صممت على أن تفاتح زوجها فى الموضوع . انها لم تعد تستطيع الحياة معه ، ولابد أن تطلب الطلاق ، فان حياتها معه قد أصبحت عبئا لا تستطيع احتماله ، وهى تخون واجبها نحو نفسها اذا استمرت حياتهما . انها تحب رجلا آخر وتمنحه قلبها وعواطفها . وسواء أكان هذا الرجل يعلم بذلك أم لا يعلم ، وسواء كان يبادلها هذا الحب أو يرفضه ، فان قلبها لم يعد ملكا لزوجها . وهى لا تصمم على الطلاق لأنها تحب فقط ، بل لأن حياتها الزوجية قد فسدت بعد أن عاشرت زوجها وعرفته عن قرب .. أنانيا ، ضعيفا ، بلا قلب .

أيجدر بها أن تستشير أحدا فى هذا الموضوع .. ان أقرب الناس اليها هى أمها أنتونيا بافلوفنا . ولكن أمها فى بلد بعيد تدير مزرعة جماعية ، وأمها امرأة حكيمة قادرة . ولكنها أيضا لا تقر الطلاق ولا المنازعات الزوجية .

لتعتمد على نفسها ، وتفاتح زوجها .. وحين اتجهت اليه كان مكبا على مكتبه ــ وكان اليوم يوم أحد ــ وكان ينظر فى

صورة . ومد اليها يده قائلا : انظرى ! .. هذا رسم قطة .. لقد رسمته شورا ابنتنا .. ستصبح شورا فنانـة قريبـا .. وانسحبت نينا من الحجرة خوفا من أن تجهش بالبكاء .

وأخيرا قر قرارها أن تذهب الى صديقتها فيراشيرر طبيبـة المدينة . ان فيرا امرأة عاقلة وهى تعرف وتقدر كل شىء .. وربما تستطيع مساعدتها ..

***

كانت فيراشيرر فى الثالثة والأربعين من عمرها ، وكان ذلك واضحا فى شعرها الرمادى ووجهها الذى كاد أن يتغضن .

وكان الصمت هو الطبيعة الغالبة عليها حتى أطلق عليهـا زملاؤها فى الجامعة لقب « الفتاة الصموت » .

عرفت فيرا الرجال وهى ما تزال طالبـة ، كان لها زميل اسمه فاسيا ، وكان وسيم التقاطيع لحوحا .. واستسلمت له فيرا لا لأنها تحبه ، بل لتجرب المتعة كالنساء الأخريات . وكانت التجربة صدمة عنيفة لها . فقد كان فاسيا طفلا غير ناضج . وقد حطم نفسها بطفولته .. كانت ـ لأول مرة ـ مستلقية وقد دفنت رأسـها فى صـدره وهى لا تجرؤ أن ترفع اليه عينيهـا الخجولتين . ولكن فاسيا هب واقفا فجأة ، ثم نظر الى نفسه فى المرآة فى اعجاب ، وقال فى صوت أجوف : قومى لنذهب لنشرب

بعض المثلجات .. وانكسر قلب فيرا ، وقاطعت الرجال أربع سنوات حتى لقيت باستربتزيف ، وكانت شخصيته على النقيض من شخصيتها ، كان يحب الضجة والأصدقاء والمرح وانغمست فيرا فى تلك الحياة الصاخبة ، وفجأة قامت الحرب فجند فيها ، وبعد سنة وصلها نبأ وفاته ، وحزنت فيرا عليه حزنا شديدا وأخذت تسأل نفسها لماذا بقيت من بعده ؟ ..

ولكن فيرا ما لبثت أن تمرست بالحياة . وعاشت صامتة منطوية على نفسها لا تشكو الى أحد ، ولم يكن يزورها الا سوكولوفسكى العجوز ، وهو أحد مهندسى المصنع ، ولينا زوجة جورافليوف .

وفى اليوم الذى قررت فيه لينا زيارة فيرا كانت فيرا عائدة من المستشفى بعد أن مات أحد المرضى بالالتهاب الرئوى بين يديها وحين دق جرس الباب قامت لتفتحه فوجدت لينا ، وصاحت مرحة : « أهلا لينا ، لقد مرت دهور منذ رأيتك لآخر مرة .. ما أخبارك ؟ » .

وجلست لينا ، وأخذت تحكى عن المدرسة والأولاد المشاغبين ، وعن متاعبها فى العمل ، وفجأة سكتت . ونظرت فيرا اليها فوجدت عينيها محمرتين ووجهها شاحبا ، وسألتها :

— ماذا بك ؟ .. هل أنت مريضة يا لينا ؟

وهبت لينا واقفة ، واتجهت الى الباب وهى تقول :

ـ لا •• لست مريضة •• أنا بخير ، أرجو المعذرة فقد نسيت أن لدى اجتماعا •

وعندما أصبحت لينا أمام الباب كان صوتها مندى بالدموع ، وصاحت فيرا :

ـ لينا يا عزيزتى •• انتظرى لحظة !••أرجوك انتظرى••

ولكن لينا فتحت الباب وانطلقت الى الطريق •

وجلست فيرا صامتة تفكر ، ثم مدت يدها وتناولت مجلة طبية أخذت تقلب أوراقها ، ودق جرس الباب مرة ثانية ، وكان الزائر هذه المرة هو سوكولوفسكى المهندس العجوز •

***

كان سوكولوفسكى رجلا عجوزا طويل القامة الى حد ملحوظ ، وكان طويل اللسان أيضا • شكا منه جورافليوف مرة الى زوجته وقال :

جاءنى سوكولوفسكى مرة يعلن أنه يتنازل عن اجازته ليحل فى العمل محل كرابيف لأن زوجة الأخير مريضة ، ولما قلت له انه يجب عليه أن لا يتصرف كدون كيشوت ، قال لى : « يا عزيزى ايفان فاسيليفتش • هل قرأت دون كيشوت حقيقة ؟ •• لا أظن ذلك » •

ولكن سوكولوفسكي كان مهندسا بارعا . ولم يكن أحد يعرف عن حياته السابقة شيئا ، حتى أولئك الذين عملوا معه مدة طويلة . وكل ما كانوا يعرفونه عنه هو أنه مولع بالموسيقى والفلك ، وأن زوجته قد هجرته منذ زمن فعاش وحيدا مع كلبه فولكا .

وكان هناك انسان واحد يزور سوكولوفسكي في منزله ، هو فولوديا الرسام . وكان فولوديا يعجب لما يرى في بيت سوكولوفسكي .. موسيقى وكتب لا يجمع بينها شيء ، تاريخ الهند وأشعار بترارك وكتب في الضوء ، ولكن أشد ما أثار دهشته هو أن سوكولوفسكي كان يتعلم الانجليزية ، وحين سأله فولوديا عن السبب .. قال انه يريد أن يقرأ كثيرا من الكتب في لغتها الأصلية .

كان هناك موضوع واحد يثير سوكولوفسكي ويجعله ينطلق في الكلام عنيفا حادا ، وهو تأخر جورافليوف في بناء البيوت الجديدة للعمال ، وكان جورافليوف يسمع الهجوم فيبلغ به الغيظ مداه ، ولكنه لم يفكر في أن يلحق الغدر بسوكولوفسكي ، لأنه كان يظن أنه لابد أن هناك في موسكو من يحميه .

وكان على حائط غرفة سوكولوفسكي صورة لفتاة جميلة ، ولم يجرؤ فولوديا أن يسأله عنها ، ولم يكن أحد يعرف شيئا

الا كلافا التى تنظف له حجرته اذ سألته يوما فقال لها :
« انها ابنتى التى لم أرها منذ اثنتين وعشرين سنة » .

تزوج سوكولوفسكى سنة ١٩٢٨ من فتاة جميلة اسمها مايا كانت تدرس الآداب ، وكان يحبها فى شغف يقرب من العبادة ، وتركها بعد زواجهما فى الجنوب لمدة قصيرة وسافر الى موسكو ليعمل ، وكانا يتبادلان الخطابات ، وكتبت اليه مرة أنهما رزقا بابنة سمتها مارسا ، وفرح فرحا عظيما ، وسافر اليها ولكنها أعلنت له فى ذلك اليوم أنها ليست فى خير حال ، لأن حياتها معه مأساة ، انها تطلب الطلاق لأنها وجدت رجلا يفوقه جاذبية ، وكان هذا الرجل يحمل جواز سفر بلجيكيا ، ويقيم عادة فى بروكسل رغم أنه روسى .

وبعد أسبوع استخرجت مايا اذن خروج ، وأخذت معها الطفلة الصغيرة الى بلجيكا ، بعد أن وعدت سوكولوفسكى أن ترسل اليه بأخبار الطفلة أولا بأول .

وكأنما انتزع حبها من قلبه فلم يفكر فيها بعد ذلك ، ولكنه كان دائب التفكير فى الطفلة .

وأرسلت اليهالأم بعد قليل تخبره أن مارسا بخير ، وأنا قد غيرت اسمها الى مارى ، ومرت سنون طويلة لم يتلق فيها خبرا من الأم أو ابنتهما ، ومنذ ثلاث سنوات حمل اليه مهندس روسى كان فى وفد صناعى الى بلجيكا خطابا من مارى تخبره

فيه بأن أمها قد ماتت وأنها تتعلم الرقص الايقاعى وأنها مازالت تعتبر نفسها روسية .

ورد عليها سوكولوفسكى بخطاب قصير .. ثم انتهت القصة .

وظل سوكولوفسكى يعيش حزينا منطويا هذه السنين الطويلة ، لا يفكر فى الحب أو الصداقة حتى جاوز الخمسين . وفى ذات ليلة التقى بفيراشيرر الطبيبة فى نادى المصنع وتحدث فى الموسيقى ، ربما كان حديثهما عن باخ ، وترك حديثها فى نفسه أثرا عميقا ، وتلاقيا بعد ذلك صدفة فى الطريق ، وسألها ان كان باستطاعته أن يزورها فرحبت به ، وزارها مرارا وكان فى كل مرة يزداد احساسا بحاجته الملحة اليها .. الى سماع صوتها والنظر فى عينيها الحزينتين .

وذات فجر استيقظ مؤرقا ، وأخذ يفكر فيها ، واعترف لنفسه أنه يحبها ، بل انها حبه الوحيد الذى وفد اليه بعد أن كاد الأوان يفوت .. وحين قرر أن يزورها فى المساء عاوده الهدوء وأغمض عينيه فى سعادة .

وذهب اليها ذلك المساء ، وكان الضيق يبدو عليها حين رأته ، وظن سوكولوفسكى أنه لم يتخير وقتا مناسبا لزيارته ، وظل صامتا وفجأة قال : « لقد رأيت يوما فى حديقة النباتات

بموسكو شيئا غريبا ، نباتا صحراويا كالليلك ، وعرفت أن أول من استحضره من الصحراء شاب صغير ، ولما كان يجهل طريقة زراعته فقد تناول كتابا فى النبات وقرأه ، وكان الكتاب يؤكد أن الماء والتربة الخصبة يضران بالنبات ، ولكن هذا الشاب كان يحب الليلك ، فألقى بالكتاب جانبا وزرع النبات فى تربة خصبة وغمره بالماء وعامل الليلك كما يعامل الأوركيد .. أتعرفين ماذا حدث ؟ معجزة ! لقد نما النبات وأصبح جميلا .. أجمل من نيالك الصحراء .. لا أدرى لم ذكرت هذه القصة الآن .. أرجو لا تكونى متضايقة .. لقد أضجرتك بحديثى .. ولكنى كنت مشتاقا الى رؤيتك » .

والتفتت اليه فيرا وقالت فى صوت لا رنين له :

ـ لا أصدق ذلك .. ان ما تحكيه عن النبات غير حقيقى .. وأرجوك المعذرة ، ان لدى صداعا مؤلما .

وقام سوكولوفسكى واتجه الى الباب ، وكان الجو قارس البرد ، وكانت الطيور المتجمدة تتساقط من أعشاشها كأنها قطع من الجليد ، ونفخ سوكولوفسكى بضع سحابات صغيرة من البخار من فمه .. أكان يقول شيئا أم هو يتحرك شفتيه فقط فى هدوء وحزن ، دون أحلام أو كلام .

***

فرحت لينا حين التقت ببوخوف العجوز ، وهى خارجة من المدرسة بعد أن أنهت دروسها • وسارا معا وهو يتوكأ عليها يتحادثان ، وكان بوخوف فرحا فى ذلك اليوم لأن أحد تلاميذه القدامى قد أظهر تفوقا فى الجامعة ، أما لينا فقد كانت ــ طيلة الوقت ــ تفكر فى تلك الروح التى يتمتع بها بوخوف ، فى ذلك الاحساس الانسانى الواسع الذى يضفيه على الناس جميعا •

ولما افترقا اتجهت لينا الي منزلها ، وهى تفكر ، لقد قررت منذ أيام طويلة أن تطلق من زوجها ، وأيقنت أن حياتهما الزوجية فاشلة مخفقة ، ومع ذلك فهى لم تفعل شيئا •• مازالت تتردد فى مخاطبة زوجها ، وحين دخلت الى المنزل وجدت زوجها على مائدة الطعام ، وقال لها :

ــ لقد كنت متوقعا أن تتأخرى ، وكنت سأتناول طعامى بمفردى •• ووقفت لينا جامدة لا تتقدم خطوة ، ولم تتجه الى المطبخ كاالعادة ، كانت كتمثال من الحجر ، وسألها زوجها فى دهشة :

ــ ماذا حدث ؟

وجلست لينا على أقرب كرسى ، وقالت فى هدوء :

ــ انى أريد أن أحدثك فى موضوع هام ، وقد كنت أريد أن أقول لك ما سأقوله الآن من مدة طويلة •• اننا لم نعد نصلح لبعضنا • وأرجوك لا تغضب فانى أظن أن هذا هو

احساسك أيضا وقد ترددت مدة طويلة حرصا على ابنتنا شورا ، ولكن الأمر أصبح فوق طاقتى •

وتهدج صوتها لحظة ، ولكنها تمالكت نفسها واستطردت :

ــ ان ما أقوله مؤلم ، ولكنى لا أستطيع •• ان بقاءنا معا مستحيل •

وحين سكتت نظر اليها جورافليوف فى هدوء ثم تحول الى المائدة ؛ وتناولا طعامهما فى هدوء ، وتعلل جورافليوف بأن أمامه مشروعا لدراسته وجلس الى مكتبه ، أما لينا فقد خرجت وتركته لأفكاره ، وحين عادت متأخرة فى المساء وجدته •

ــ لينا •• هل أنت تحبين رجلا آخر ؟

والتفتت اليه غاضبة وقالت :

ــ ان هذا لا علاقة له بانفصالنا ، السبب الوحيد هو أننى لا أستطيع العيش معك •• هل فهمت ؟

وتركها جورافليوف واتجه الى مكتبه ، وبعد قليل اتجه الى غرفة شورا ، ووقف أمام ابنته برهة ، ثم انحنى عليها وقبلها قبل أن يأوى الى فراشه •

لم ينم جورافليوف تلك الليلة ، وفى الصباح كان أول ما فعله أن قال لزوجته :

ـ انى أترك لك الحريـة أن تفعلى ما تريدين ، ولكنى لا أؤثر الطلاق حرصا على ابنتنا .

وأجابته لينـا :

ـ لقد فكرت فى شورا طول هذه المدة ، وسأسمح لك برؤيتها كلمـا أردت ، ولن أترك عملى فى المدرسـة ، ولكنى سأستأجر غرفة قريبة من هنا .

وسكت جورافليوف ، ثم جمع أوراقه واتجه الى المصنع ، ولم يستطع طوال النهار أن يركز تفكيره فى عمله .. كان يفكر فى أشياء كثيرة ، فى لينا التى هجرته ، وفى حبيبها الذى لا يعرفه . هل هو فولوديا بوخوف الصغير الفنان أم شخص آخر ؟ وكان يفكر أيضا فى كلام الناس ، وفى الرؤساء الذين سيسوء مركزه عندهم نتيجة للاشاعات التى قد تنطلق عن سبب الطلاق ، وفى مستقبله الذى يحطمه عمل كهذا .

ومر أسبوع ولم يفاتح أحدهما الآخر فى الأمر . حتى ظن الزوج أن المسألة كانت كلها نزوة أو غضبا مفاجئا ، وكان يحدث نفسه قائلا : ان ما حدث غير خطير ، وأن من الممكن نسيانه كله ، فهو زوجها ، ومازال محل ثقة الرؤساء ، كما أنه ليس شـديد الميل الى المسائل الجنسية ، ومن الممكن أن تستمر حياتهما على هذا المنوال .

وفجأة قالت له لينا ذات صباح انها قد وجدت غرفة قريبة ،

وأنها ستنقل اليها حوائجهـا ، ثم أعلنت له أنهـا ستشرع فى اجراءات الطلاق •

وسكت جورافليوف ، وعرف أن الأمر لا يحتمل المناقشة أو الجدال ، وفى يوم الاثنين التالى عاد الى المنزل فلم يجد زوجته ولا ابنته ، وأخذ يطوف بالغرف ويتفقد الأشياء فوجد كل شىء فى مكانه ، لم تأخذ لينا معها الا ملابسها وملابس الصغيرة ، ووجد جورافليوف دمية كان قد اشتراها لابنته ملقاة على الأرض، فأخذها فى يده ووضعها فى مكتبه ، وهو يقول فى نفسه « يجب أن يتم الأمر فى أضيق الحدود ، وأن لا تصـل أخبـاره الى الرؤساء فى موسكو » •

وبعد أيام كانت لينا خارجة من المدرسـة متجهة الى منزلها الجديد حين سمعت صـوتا ينادى عليهـا ، والتفتت فيراشرر وتصافحتا وقالت فيرا :

ـ انك مشرقة اليوم ، وما أخبارك ؟

ـ وأجابت لينا :

ـ لقد غيرت مسكنى ، لقد انتقلت أنا وشورا الى مسكن جـديد •

وفهمت فيرا ما تقصده لينا على الفور ، وربتت على ذراع صديقتها وقالت لها :

تعالى لتقيمى معى الى أن تجدى مكانا ملائما •

وحين ردت لينا شاكرة هزت فيرا رأسها •• وقالت :

ـ ان غرفتى واسعة جدا ، ومن الممكن أن نقتسمها ، وسأساعدك فى نقل حوائجك الليلة •

وانتقلت لينا الى غرفة صديقتها ، وفى الصباح حين دخلت الفصل كانت مبتهجة سعيدة ، وكان شعاع شمس فبراير •• تلك الشمس الواهنة الدفء ، يتخايل على المقاعد والسبورة وابتسمت لينا ورددت فى صوت خفيض :

ـ ان الربيع على الأبواب •

***

دق الباب فى منزل بوخوف ، وأسرعت سونيا اليه لتجد سافشنكو ، وكانا لم يتلقيا منذ عيد ميلاد أبيها • ورحبت به فى فتور ، وان كان قلبها ينبض بالفرح لرؤيته • كان قد مر حوالى شهر لم تره فيه ، وكانت تنتظر مجيئه كل ليلة ، فلما طال انقطاعه أصابها اليأس وندمت على ما قالته ، تلك الليلة • أما هو فقد كان يتجه الى بيت بوخوف ، وما يكاد يواجه البيت حتى يعود أدراجه وهو يسآل نفسه : لماذا أذهب بعد أن رفضتنى رفضا قاطعا •

وفى تلك الليلة كان سافشنكو فى زيارة كوروتييف حيث

وجده جالسا يقرأ فى كتاب شعر .. وطال بهما الحديث ، وفجأة سأل سافشنكو صديقه : « هل تؤمن بالحب ؟ » .

وفتح كوروتييف ديوان شعر كان أمامه ، وقرأ فى صوت منغم حزين :

« لقد افترقا فى أسى وزهو وصمت .

« وكانا يريان خيالات حبهما فى الأحلام .

« ثم أتى الموت ، ومن ورائه عالم اللانهاية .

« وفى ذلك العالم ، حين التقيا ، لم يعرف أحدهما الآخر » .

وهزت الأبيات قلب سافشنكو ، ثم سأل كوروتييف فى صوت متهدج :

ـ أخبرنى يا ديمترى سرجييفتش كوروتييف اذا أحب الانسان امرأة هل يجب عليه أن يكافح فى سبيل السعادة ؟ .

وأجاب كوروتييف :

ـ يجب أن يخوض الانسان فى الضباب والعواصف ، فى سبيل الحب .

وابتسم سافشنكو ، وقام مودعا صديقه ، واتجه الى منزل سونيا .



قال سافشنكو لسونيا : « هيا نتمشى قليلا يا سونيا فانى أريد أن أحدثك عن أشياء كثيرة »

واجابته : « ان الجو بارد فى الخــارج ، ولكن اذا كانت هذه مشيئتك فلا بأس » .

ومشيا حوالى مائة خطوة ، وكانا يتحدثان عن فيلم أيطالى عرض فى المدينة أخيرا ، وقال سافشنكو : « انه فيلم رائع ، لقد هزتنى مواقفه » .

وأجابته سونيا :

ـ بالعكس ، انه فيلم سخيف ولا يقدم حلا لأى مشكلة .

مشيا مائة خطوة أخرى ، وتحــدثا فى السياســة وقــال سافشنكو :

ـ لا أعتقد أن الفرنسيين سيوافقون على تسليح ألمــانيا .

وقاطعته سونيا قائلة :

ـ هل تقصد الشيوعيين الفرنسيين ، أم الجمعية الوطنية ، يجب أن تقدر أن السلطة ليست بيد الشيوعيين ، انك دائمــا تسترسل فى الأحلام .

ومشيا مائة خطوة أخرى ، وقال سافشنكو :

ـ لقد سب جورافليوف أحد العمــال فى المصنع اليوم ، انه رجل وغد .

وأجابته سونيا :

ـ انه ليس وغدا ، بل هو مجرد رجـل بيروقراطى وأنت دائما تبالغ فى حديثك .

وأخيرا تحدثا عن الأدب ، وأخذ سافشنكو ينقد روايـة قرأها حديثا ، وكان رأيه فى الرواية أنها ليست واقعية فهى مجرد تجريح للانسان وتشهير بالجنس البشرى .

ورغم أن سونيا لم تعجب بالرواية هى الأخرى الا أنهـا وجدت نفسها تندفع قائلة :

ـ بالعكس .. ان فى الرواية أشـياء كثيرة رائعـة ، ثم استطردت تقول : « ان الجو بارد ، ومناقشـة الأدب فى هـذا الوقت عبث ، وقد قلت لى انك تريد أن تحدثنى فى أشياء هامة ، فاذا كان لديك شىء فقله بسرعة أو لنعد أدراجنا الى المنزل » .

وسكت سافشنكو ، واتجهـا الى المنزل وكان الصـمت يثقله ، ولكنه كان يبحث عن كلام يقوله فلم يجد ، وأخيرا انطلق يقول :

ـ أريد أن أقول لك يا سونيا .. لا تسخرى منى .. أريد أن أقول انى بدونك .. ليأت الضباب ليأت الجليد ، أى شىء لا يهمنى ، انى بدونك ...

ولم تقل سونيا شيئا ، وتناول يدها ، ثم لمس فمها البارد بشفتيه ، وهمست سونيا فى حزن :

ـ ان ما تفعله خطأ ، ان بيننا هوة لا يمكن تجاوزها .. ثم استطردت فى صوت هادىء : « لقد قلت لك من قبل ان شخصيتينا مختلفتان » .

وصرخ سافشنكو قائلا :

ـ لم لا تقولين لى أيضا ان ٢ + ٢ = ٤ ، وان النقود يجب أن تحفظ فى خزانة حديدية ، انك فتاة باردة ! .. باردة .

وافترقا أمام الباب ، وسونيا تقول لنفسها : « لكم تمنيت عندما قبلنى أن ألقى بنفسى بين أحضانه » .

***

كان كوروتييف يجلس وحده فى غرفة الطعام فى المصنع حين دخل سافشنكو واتخذ مكانه الى جانبه . وقال سافشنكو : « لقد حدثت مشادة بين جورافليوف وسيميونوف رغم أن جورافليوف كان يثق فيه دائما » .. ثم استطرد قائلا : « ان أعصاب جورافليوف ليست على ما يرام فى هذه الأيام » ! .

وسأله كوروتييف : « وماذا أرهق أعصابه ؟ » .

وأجاب سافشنكو : « ألا تعلم أن زوجته قد هجرته ؟ » .

ورغم ما يتمتع به كوروتييف من ضبط للنفس فان وجهه شحب فترة .. ثم قال فى صوت خفيض :

ـ لماذا لا يخففون الاضاءة فى هذا النادى ؟ .. ان حرارة الضوء شديدة .

ولم يلحظ سافشنكو شيئا ، واستطرد يسأل كوروتييف :

ـ أنت تعرف الرجل وتعرف السيدة كذلك .. فما رأيك فى هذا الموضوع ؟ .

وقال كوروتييف :

ـ آسف لأن لدى موعدا مع يوجوروف ، والى اللقاء .. ثم قام متجها الى منزله .

كان كوروتييف يفكر فى لينا ، ويتساءل لماذا تركت زوجها بعد أن عاشت معه خمس سنوات .. وعاد يقول فى نفسه : ان الطلاق ليس أمرا غريبا ، ولكن الغريب أن يعيشا معا طول هذه المدة .. وصمم كوروتييف على أن يلتقيا ، وظن أنها لابد أن تتردد على نادى المصنع . فذهب فى تلك الليلة الى النادى وكان أحد المهندسين يلقى خطابا فى السياسة العالمية ، وحين دخل كوروتييف أخذ يتلفت فى كل مكان لعله يرى لينا ، ولما لم يجدها أحس بالضيق . وأخذ يستمع شارد البال الى الخطاب والمناقشات .

وفى المساء التالى كان هنـاك عرض سينمائى .. ودخـل كوروتيبيف بعد أن أطفئت الصـالة ، وكان الفيلم قديما سخيفا ، وحين أضيئت الأنوار تلفت فى كل اتجـاه ، ولم يجد لينـا بين الحضـور .

وظل كوروتيبيف يتردد على النادى يوميـا لمدة أسـبوع دون أن يرى أثرا للينا ، وأصابه اليأس .. وفى اليوم السابع خرج من المصنع ظهرا ، فتناول طعامه ، ثم اعتكف فى منزله يقرأ بعض مؤلفات تشيكوف .

وسمع طرقا على بابه .. ففتحه ، وكان الزائر سافشنكو ، ودخل اليه يقول :

ــ انى حسن الحظ اذ وجدتك فى المنزل ، لقد كنت أبحث عنك ، فلدى تذكرتان فى مسرحيـة هاملت التى ستعرض فى مسرح المدينة . وأحب أن ترافقنى .

وأجابه كوروتيبيف :

ــ سأرافقك بالتأكيد ، فانى لم أر هاملت على المسرح منذ أن كنت طالبا ..

وفى الليلة التالية كانا فى المسرح ، وجلسا صامتين فى القاعة يتتبعان المسرحيـة ، وبعد المشهد الأول غادر كوروتيبيف مكانه لكى يدخن . وبينما هو على السلم المؤدى الى مدخل المسرح

وجد نفسه وجها لوجه أمام لينا ، وارتبك كوروتييف وتخطاها دون أن يتكلم ، وبعد لحظة استدار اليها وهتف : « يا لينا بيروسوفنا ! »

ووقفت لينا ، ثم رجعت اليه وقالت :

ـ مساء الخير يا ديمترى كوروتييف . لقد ظننت أنك لم تعرفنى ! ..

وقال كوروتييف :

ـ لقد كنت أريد أن أراك ، ولكنى لم أكن أعلم أين أجدك ، ولم أتوقع أن أراك الليلة .

وضحكت لينا قائلة :

ـ ألم أقل لك من قبل انى مجنونة بالمسرح .. فلن تفوتنى اذن مسرحية هاملت بحال من الأحوال .

وسألها : كيف أنت لآن ؟

وأجابته : « بخير ، فالمدرسة منتظمة ، وأنا أسكن الآن مع فيرا شيرر ، وسأكون سعيدة لو زرتنا يوما ما ، ان التمثيل لم يعجبنى الليلة .. فهل أعجبك ؟ » .

كانت تتكلم بسرعة ، ودون أن تنتظر جواب كوروتييف مدت يدها قائلة :

ـ الى اللقاء يا ديمترى كوروتييف .. لابد أن فيرا تبحث عنى الآن .

واحتفظ بيدها فى يده برهة ، ثم قال :

ـ لقد كنت مهتما بما حدث لك كثيرا يا لينا بيروسوفنا .

وقالت : « شكرا لك ، لا تهتم بى فأنا فى خير حال » .

وبعد أن انتهت المسرحية خرج كوروتييف الى منزله ، وقد تملكه هم ثقيل : « لقد قلت لها كل ما أستطيع أن أقوله ، ومع ذلك فما هى النتيجة ؟ .. لقد كانت فاترة معى ، وأنـا لست رجلا رومانتيكيا .. لقد تقدمت بى السن ، ويجب أن أعود الى حيـاتى العادية .. لا ينبغى أن أكون أحمق .. لا ينبغى أن أحـلم » .

أما نينا فقد ظلت طيلة المساء تتحدث مع فيراشيرر ، وكانت هى الأخرى مرتاعة حائرة . وكانت تقول لفيرا :

ـ لقد علم أننى أحبه ، وأننى انفصلت عن زوجى بسببه ، ومع ذلك فهو يعدنى بالزيارة كأنه يعطف على ، وأنـا لا أريد العطف .. لقد كان كل شىء خطأ .

وحاولت فيرا أن تهدىء من روعها ، وسألتها :

ـ لمـاذا أنت واثقة أنه لا يحبك ؟ ..

وقالت لينا :

ـ انى لمتيقنة أنه لا يعنى بى ، لقد عرفت ذلك من خطبته فى اجتماع القراء ، ومن قوله لى انه قد اهتم بما حدث لى ، انه مهتم بى فقط .. أما أنا فأحبه ، وعندما رأيته الليلة وأنـا واقفة على سلم المسرح كدت أسقط اعياء وانفعالا .

ولأمر ما أخذت فيرا تفكر فى سوكولوفسكى وفى حديثـه عن نبـات الصحراء : « ما أجمـل أن يحب الانسان ويبكى ويتعذب » .

***

عاهد جورافليوف نفسه ألا يفكر فى لينا ، فقد كان يخشى أن يضطرب عمـله بسبب التفـكير . وفى يوم الأحـد الذى تلا الفراق جاءت لينا ومعهـا ابنتهما شـورا لزيارته وصحب جورافليوف ابنته فى نزهة قصيرة ، ثم عاد بها الى المنزل ولعب معها « الاستغماية » بعض الوقت ، وكان جورافليوف يطيل النظر فى عينى زوجته ليرى أثر الفراق فى نفسها ، فوجدها متهللة هادئة النظرة ، وتساءل : « وماذا يهمها ؟ لابد أن فى حياتها رجـلا آخـر » .

ولكنه طرد هـذا الخاطر عن نفسه ، وقرر فى سريرته أنها لا تستحق أن يهتم بأمرها أو يندم على فراقها .

لقد كانت حياته كلها طريقا واسعا مرصوفا ، وكان النجاح ينتظره دائما ، ولكن ها هى ذى المتاعب قد بدأت ؛ لقد كان يعتز بمقدرته على التفاؤل وبالثقة التى تملأ نفسه ، ولكنه الآن منزعج .. ان الاحساس بالخوف يتسلل الى نفسه ، وخاصة بعد الاجتماع الأخير للجنة الحزب المركزية .

كان الاجتماع عاصفا ؛ فقد وقف سبرتيزيف رئيس مجلس المصنع ، وأعلن أن مشروع اسكان العمال فى بيوت جديدة يسير بخطى بطيئة رغم حاجة العمال الملحة الى المساكن الجديدة ، وأكد أن الأكواخ التى يسكنونها الآن مهددة بالانهيار لو هبت عاصفة شتوية شديدة .

ووافقه جورافليوف على رأيه ؛ ولكنه نبه الأعضاء الى أن المشروع أصبح مخيفا مرير الألفاظ كأنه يخطب .. ان هذا الرجل غريب .. لكم يكره الناس .

وفجأة هب كوروتيف واقفا ، واستأذن من مضيفه وهو يقول : « على العموم فان سوكولوفسكى رجل طيب ، وأرجو أن تغير رأيك فيه قريبا » .

وصافحه جورافليوف وهو يفكر .

« لقد أخطأت اذ هاجمت سوكولوفسكى أمام هذا الرجل ، فانه يبدو لى أنه حليف له ضدى » .

أما كوروتييف فما كاد يخرج من بيت جورافليوف فى طريقه الى منزله حتى انثالت عليه الأفكار ، وأخذ يسأل نفسه : « ما الذى جعل جورافليوف قاسيا وعديم الاحساس بالناس الى هذا الحد ؟ ان من السهل أن تختبر الآلة ثم تغير بعض أجزائها ، ولكن ماذا تستطيع أن تفعل بالانسان ؟ منذ سنة كنت أظن أن أمثال جورافليوف رجال عاملون مخلصون تربوا فى ظل النظام الشيوعى ، ولم أكن أفكر فى النزعة الانسانية التى يجب أن تقترن بالعمل والاخلاص للنظام .

نحن فى حاجة الى طراز آخر من الرجال ، رجال مثل سافشنكو ، فيهم بعض الرومانتيكية والخيال .. رجال ذوى صدور صحيحه سليمة . لا رئات مليئة بالكراهية .. ان العلم لا يفيد كثيرا .. فى أمريكا كثير من العلم ، ومع ذلك فنظرتهم الى الزنوج معناها انهم فقدوا الانسانية .. اننا فى حاجة الى مزيد من الحساسية .. لقد حقق شعبنا أعمالاً بطولية رائعة ، ولكنه فى حاجة الى ذلك الذى أشار اليه جوركى فى مقال قديم له : ان شعبنا فى حاجة الى « الانسانية الجديدة » .

حتى أنا ، أهاجم جورافليوف وأستنكر ضعف احساسه بينما أنا أتردى فى النفاق الى قمة رأسى .. كثيرا ما أقول : « ان المبادىء شىء والحياة العملية شىء آخر « أو » هذا

يحدث فى الكتب لا فى الحياة •• لمـاذا لا تكون الكتب والحياة شيئا واحدا ؟ »

ومرت على خاطر كوروتييف آلاف الصور ، رفاق له فى الحرب ماتوا دون ضجة فى سبيل المثل الأعلى ، وذلك الرفيق الذى أعطى جائزة لأنه اخترع اختراعا جديدا ، وحين تسلم الجائزة كان الخجل يغمره ، وكان يتمتم : « لمـاذا يعطوننى الجائزة ، انى لم أخترع هـذا وحدى •• لقد اخترعناه كلنـا وفكرنا فيه كلنـا » • وتبدى له وجه سافشنكو وهو يقول : « انهم يريدون أن يخوفونا بالقنابل ، ولكننا أقوى منهم •• ان لدينا المبادىء •• لدينا الكلمة الطيبة » •

وأخيرا بدا له وجه لينا الجميل ، وتذكر كلماتها التى تفيض بالأمل فى المستقبل والثقة بالسعادة التى تنتظر البشر جميعا •

***

قال جورافليوف لصـديقه كيتروف ان سوكولوفسكى بلجيـكى لا روسى وان له علاقـات مع أسرته التى هربت الى بلجيكا •• وقال كيتروف ذلك لزوجتـه التى كانت تعمل فى مصرف المدينـة ، وقالت الزوجـة ذلك لزميلاتها • وسمع ابن كيتروف التلميذ بمدرسة المدينة بالقصة فحكاها لزملائه ، وزاد عليها أن سوكولوفسكى سيحاكم قريبا بعد أن قبض عليه • ونقل الأولاد القصة الى آبائهم وأمهاتهم •

وهكذا عرفت المدينة كلهـا بعد أيام أن سوكولوفسكى معرض للأخطار ، ولم يبق أحد لم يعرف بما حدث لسوكولوفسكى الا سوكولوفسكى نفسه الذى كان يذهب فى الصباح الى مكانه فى المصنع ، ثم يعتكف فى المساء فى منزله يقرأ بعض المخطوطات القديمة ويفكر أحيانا فى فيراشيرر ..

وحين وصلت القصـة الى بوخوف العجوز غضب غضبا شديدا وقال لابنـه فولوديا : « أن جورافليوف رجل وغد ، ولابد أن سيعاقب على هذا الاختلاق » .

وضحك فولوديا قائـلا : « يبدو أن الذى سـيعاقب هو سوكولوفسكى نفسه » .. ثم استطرد قائلا : « اننى لم أزره منذ زمن طويل ولابد أنه اعتقد أننى أتجنبه ، وسوف أزوره هذا المسـاء » .

وذهب فولوديا لزيارة سوكولوفسكى ، ووجده منكبـا على العمل ، وقال سوكولوفسكى : « أن الجو شديد البرودة الليلة » .

وقال فولوديا : « ان الجو فى الغرفـة حار فضـلا عن أنك ترتدى معطفك » .

وغمغم سوكولوفسكى : « لابد أنى قد أصبت بالبرد » .

وسأله فولوديا : « لقد سمعت أنك تواجه بعض المتاعب في العمل » •

وأجاب سوكولوفسكى : « انها متاعب صغيرة وقد وافقت الادارة أخيرا على المشروع الذى قدمته مع بعض التعديلات » •

وعرف فولوديا أن ســوكواوفسكى لا يعرف شــيئا عن الاشاعات التى يشيعها جورافليوف • وهب من مقعده واقترب منه قائلا :

ـ ان جورافليوف يقول انك قد هربت أسرتك الى بلجيكا من زمن بعيد ، وانك تراسلها •

ولم يجب سوكولوفسكى ، واستلقى على مقعده وقال :

ـ حقيقة أن الجو حار هنا ، لقد ابتدأت أسنانى تؤلمنى •

كان يبدو على سوكولوفسكى فى ذلك الوقت أنه يعانى فعلا آلاما جسدية ، وهمس فولوديا قائلا :

ـ هل أصنع لك قدحا من الشاى ، أم أنزل لأشترى بعض البراندى •• لست بخير على أى حال •

وقال سوكولوفسكى : «شكرا لك •• آنا لا آريد شيئا ، فقط أخبرنى كيف كان ليوناردو دافنشى يمزج ألوانه ؟ •• وهل عرف أحد هذا السر ؟ » •

وقال فولوديا : « أنا لا أعرف عن هـذا الموضوع شيئا .. انى جاهل قليلا بالفن » .

واستغرقا فى الصمت ، ثم سأله فولوديا : « هـل تريد أن تنـام ؟ » .

وقـال سوكولوفسكى : « ابق كمـا أنت أرجوك ، ان الحـديث يمتعنى .. أخبرنى يا فولوديا ، هل تحب رسـوم دافنشى ؟ » .

وقال فونوديا : « لقد رأيت بعضها مرة واحدة فى الأرميتاج ، ومن العسير على أن أحكم عليها » .

وقال سوكولوفسكى : « ان تفكيره يعجبنى ، انه مفكر وفنان ، بينما قد أصبح الناس الآن يحصرون نشاطهم فى جانب فقط ، هل تعرف أن ميكائيل أنجلو كان شاعرا ، والآن هل يستطيع أينشتين كتابة الشعر ؟ .

أرجوك ناولنى معطفى الصوف ، انه معلق هناك .

وأخذ فولوديا يفكر .. لقد ضايقته بحديثى وأزعجتـه ازعاجا شديدا ، لقد كان حين دخولى منصرفا الى العمل فلما حدثته عن جورافليوف أصابه الاعياء ، وها هو ذا يهذى .. لابد أن درجـة حرارته مرتفعة الآن ، ومن الأجدى أن أستدعى له الطبيب .

وقال فولوديا : « سأستدعى طبيبا يا سوكولوفسكى » .

وقـال سوكولوفســكى : « ان رأسى يكاد ينفجر .. اذا استدعيت طبيبا فلا تستدع فيراشيير .. استدع جوروخوف » .

وجاء جوروخوف ، وقال انه مريض بالالتهاب الرئوى ، وانه فى حاجة الى الراحـة ، وأعطاه حقنـة كافور ثم بنسلين ، وجلس فولوديا الى جوار سريره وكان يبدو أنه نائم .

لم ينم سوكولوفسكى . وكان أكبر ما يضايقه أنه لايستطيع تركيز أفكاره . كان يتساءل : « لم يظل سيف الاتهام معلقـا على رأسه ؟ .. ها هو ذا جورافليوف يقول انه بلجيكى .. وربما خرجت الصحيفة غدا تحمل فى أول صفحاتها هذا العنوان: « المهندس الذى تبين أنه جاسوس بلجيكى » .. ما الذى ضايق جورافليوف .. انى تحدثت فى الاجتمـاع عن بيوت العمال .. كيف يعمل العمال فى المصنع على آلات حديثة مدهشة ويسكنون أكواخا من جذوع الأشجار ؟ لمـاذا لا أتحدث فى هذا الموضوع فى اجتماعات الحزب .. لقد سمعت أحد البلاشفة القدماء الذين عرفوا لينين وعملوا معه يقول : « ان الحزب هو ضميرنا » .

وفيرا .. متى سأزورها ؟ ربما كنت مريضا مرضا خطيرا ، وربما لا أستطيع زيارتها قريبا .. لمـاذا لا نجد شيئا نتحدث فيه عندما أزورها كأن قلوبنا قد تجمدت وتثلجت .. لقد قال الطبيب

ان المرض معد ، ألا نستطيع أن ننقل عدوى الحب أيضا ؟ •• ان ليوناردو دافنشي وبوشكين لم يعالجا هـذه الفكرة •• لقد تذكرت يوما على رصيف محطة كازان عندما قال جندى لحبيبته : « ان مايا كوفسكى قد انتحر » ! •• لم تكن الفتاة قد سمعت عن مايا كوفسكى •• ولم يبد عليها شيء من الاهتمام •• لماذا انتحر مايا كوفسكى ؟ •

ظل سوكولوفسكى مشتت الأفكار حتى عاد الطبيب جوروخوف فى الصباح فأوصى باستدعاء ممرضة لأن الحالة ــ فى رأيه ــ خطيرة •

وبعد أن خرج الطبيب جاءت الممرضة لتعنى بسوكولوفسكى ، وعاد فولوديا الى منزله ، أما المريض فقد ظل غائبا عن الوعى يومين ، ولما فتح عينيه كانت فيرا أمامه وعلى وجهها تعبير لم يره من قبل ، وحاول أن يقول لها بعض ما فى نفسه ، ولكنه لم يستطع الا أن ينطق باسمها :

ــ فيرا •• فيرا !

ــ لا تتحدث •• فانك متعب •

وساءل سوكولوفسكى نفسه ، هل أنا فى حلم أو فى يقظة •• لقد نسيت أنى مريض وأن فيرا طبيبة •• ماذا برأسى ، ان كل شيء يختلط أمامى •• وأغمى عليه ثانية •

وصاحت الممرضة : « لقد أغمى عليه .. ما الأمر » ؟ .

وقالت لها فيرا :

ــ جهزى حقنة كافور ، واستدعى الأستاذ بايكوف من المستشفى .

***

حين سمعت انتونيتا بتروفنا والدة لينا بخبر طلاق ابنتها من جورافليوف ولم تزعج لهذا الأمر ، فقد كان رأيها دائما فى جورافليوف أنه ليس زوجا صالحا ، ولكن الذى أزعج أنتونيتا أن ابنتها لم تستشرها فى هذا الأمر .

وسعت الأم الى ابنتها ، وطرقت باب فيرا شيرر ذات مساء وسألت :

ــ هل تسكن لينا هنا ؟

ودخلت الأم الى المنزل ، وبعد قليل دخلت لينا ، وعندما رأتها أمها صرت على شفتيها وصاحت فى صوت دامع :

ــ ألا تقولين كلمة واحدة لى ، أنا أمك ؟

واستطردت تقول :

ــ سآخذ شورا معى الى المزرعة ، وسيسر أبوك كثيرا بملاعبتها ، انى لا أصدق ، ألا تقولين كلمة واحدة لأمك ،

لقد علمت بالموضـوع كله صدفة ، لقد زارنى شيزوف وقال لى : ان لينا قد طلقت من زوجها .

وسألتها لينا :

ـ هل تلومينني يا أماه ؟

وأجابت الأم :

ـ لا تقولى مثل هذا الكلام . ان ما ساءنى هو أنك لم تخبرينى بشىء من هذا .. هل يأتى جورافليوف لرؤية ابنته ؟

قالت لينا :

ـ لقد اشترط أن أصحبها لزيارته فى كل يوم أحد ، وقد ذهبت فى أول أحد بعد الطلاق ، وفى الأحد التالى بعث رسـالة يخبرنى فيها أنه مشغول ، وكان مع الرسـالة بعض الحـلوى والشيكولاته .. لقد كنت أتوهم أنه يحب ابنته حبا شديدا .

وقالت الأم :

ـ انك تتوهمين أشـياء كثيرة ، لقد كنت تتوهمـين أنه انسان جاد ، وانه يملك قلبا انسانيا وروحا صافية . هل أذكرك كيف كنت تتحدثين عنه ؟

وتندت عينا لينا بالدموع ، وأحست الأم بالندم ، وقالت :

ـ لا تأسفى يا بنيتى ، ان هذه الأخطاء يقع فيها الكبار كما يقع فيها الصغار ، وأنــا لا ألومك •• ولكنى كنت أحس دائما أنه رجــل غليظ القلب •• لقد كنت ألاحظ كيف يعــامل مرءوسيه : وكيف أنه لا يهتم الا بالآلات ولا يلقى بالا للانسان الذى يدير هــذه الآلات •• مازلت أذكر يوم طلب منه أحــد العمال أن يسمح لزوجته أن تركب أحد اللوريات الى عيــادة الأطفــال ومعها طفلها وقــال جورافليوف حينئذ غاضبا : ان اللوريات لم تصنع لهذا •• اللوريات للأعمال العامة •• وحين أخبرنى شيزوف بطلاقكما لم أستطع أن أنــام طيلة الليل ، ولكنى فى الواقع كنت مسرورة من أنك قد تخلصت من الحيــاة مع هذه الكتلة الخشبية التى لا حياة فيها •

كان قد مر أســبوعان على لقاء لينا بكوروتييف فى أول عرض لهاملت ، وكانت ماتزال تفكر فى الحديث الذى تبادلاه على سلم المسرح ، وكانت تسائل نفسها :

ـ لمــاذا قال انه يهتم بأمرى ؟ •• هــل هو رجل طيب القلب ؟ انى لأعجب لمــاذا أحبه كل هــذا الحب ، لقد تعودت أن أسخر من زميلاتى فى الجامعة حين كن يتحدثن عن الحب ، هل أستطيع أن أقول لأمى انى أحب رجلا آخر • لقد لاحظت أمى أنى مشغولة البال دائما •• فسألتنى ان كنت أخفى عنهــا

شيئا ؟ ولم أستطع أن أجيب •• خجلت أن أقول لها انى أحب رجلا لا يعرف أننى أحبه •

وبعد أيام رحلت الأم الى مزرعتها الجماعية وصحبت معها شورا الصغيرة ، وتركا لينا تفكر فى حبها الذى يمتزج فيه الوهم بالحقيقة •

***

جلس جورافليوف الى الراديو يسمع أنباء التطورات الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا وترحيب الصحافة المصرية بتنمية العلاقات الاقتصادية بين مصر ودل العالم ، وانتقل الراديو الى التنبؤات الجوية ، وأنصت جورافليوف الى الراديو يقول : « طقس معتدل مع صقيع خفيف ورياح شديدة » وقال جورافليوف فى نفسه : ان الراديو يكذب عادة فى التنبؤات الجوية ، وها هو ذا يكذب ثانية : ثم استمع الى بعض الأغانى السوفييتية وأعجبته أغنية يتردد فيها هذا المقطع :

نحن نتقدم فى اصرار وجرأة •

والاهمال والتهاون لا نعرفهما •

وانتهت الاذاعة ، وذهب جورافليوف الى مخدعه وما كاد يمد يده الى الغطاء حتى سمع فى الخارج ضجة شديدة ، واهتزت أبواب الغرفة ، وقام جورافليوف الى الباب ففتحه ونظر

الى الخارج ، ثم نزل الى الشارع ، وكانت الريح اعصارا شديدا، وحين اقترب من المستشفى شاهد أحد الأطباء وقد خرج الى الشارع وهو يصرخ : « لقد تهدم الصف الثالث من الأكواخ » ! واشتدت العاصفة عنفا ، وكانت تقتلع الأشجار وأعمدة البرق وتدفع الناس أمامها كأنهم أعواد من القش ، وتلقى بقطع الثلج الصغيرة فى وجوههم فى صفير ساخر .

كانت عاصفة لم يشهد الناس لها مثيلا منذ أربعين عاما ، وحين تجول جورافليوف فى بعض الطرقات عرف أنه سيكون الضحية الأولى لهذه العاصفة ، سيقول الناس : « لماذا لم تشيد بيوت العمال .. لقد كلفنا اهمال جورافليوف ثمنا كبيرا » . كان جورافليوف مذعورا ، لقد تآمرت عليه قوى الطبيعة أيضا ولم يكفها ما يحكيه الرجال الذين يملأ الحسد قلوبهم من مؤامرات ضده ، وزاد جزع جورافليوف حين اتصل بأحد المسئولين فصاح هذا المسئول : لماذا لم تعد للأمر عدته من قبل ؟

قضى جورافليوف ستة أيام تعيسة حتى اتصل به فى اليوم السابع مندوب الوزارة يخبره أن عليه أن يقدم تقريره الى المسئولين .

وأيقن جورافليوف باقتراب النهاية .. لقد كان يتوقع أن يرسل اليه المسئولون رسالة شكر وتقدير فى عيد أول مايو ،

ولكن العاصفـة أفسدت كل شيء .. لقـد حطمت العاصفـة مستقبله .

وأخـذ يتسـاءل : من هو الرجـل الذى وشى به لدى المسئولين .. لابد أنه سوكولوفسكى .. هذا الخبيث .. لقد تأخر فى القضاء عليه .. وكان يجب عليه أن يسعى فى هلاكه قبل أن تفوت الفرصة .

وسـافر جورافليوف الى موسـكو ليعرض تقريره على المسئولين ، وظل طيلة الرحلة مرتميا على مقعد فى القطار وهو لا ينبس ببنت شفة دون أن يلقى بالا للراديو أو للمناظر الجميلة التى تتخايل لعينيه من نافذة القطار .. كان فى سريرة نفسـه يلعن كل الناس .. المطر والعاصفة والريح .. لقد تآمر هؤلاء جميعا عليه .

ووصـل جورافليوف الى موسـكو ، وعرض تقريره على المسئولين ، ولكنه لم يعد الى المدينـة ، لقد عين مدير آخر للمصنع اسمه جولوفانوف ، ولم يعد أحد يعرف عن جورافليوف شيئا .. وقال الناس : لقد ذهبت به العاصفة .

وحين وصل المدير الجديد شرع فى بناء المساكن الجديدة للعمال على الفور .. كل منزل غرفتان ومرافقهما .

وفرح العمال فرحا شديدا ودب الفرح الى جميع القلوب، خاصة وأن الشتاء كان فى أيامه الأخيرة ، وكان الربيع يذيب بأصابعه ذلك الجليد الذى يكسو الشوارع والمنازل والأشجار •

ولأول مرة منذ مرض سوكولوفسكى هب من فراشه ونظر من النافذة وابتسم قائلا :

ـ لم يبق أمام الربيع الا خطوة واحدة !

***

أنهت سونيا بوخوف دراستها ، وتقرر أن تتولى عملا فى أحد المصانع فى مدينة بنزا ، وها هى ذى تواجه مستقبلها كعاملة بعد أن انتهت أيام الدراسة بصداقاتها اللطيفة ومحاضراتها وامتحاناتها ، وأخيرا معاركها مع سافشنكو •

قالت لأبيها : انى أخشى أن لا أحسن التصرف فى هذه المدينة التى لا أعرفها من قبل •

وضحك أبوها قائلا :

ـ ان بنزا مدينة جميلة بحدائقها وأشجارها وأهلها الطيبين ، كما أنها مسقط رأس الشاعر لرمنتوف وفيها كتب أجمل أشعاره •

وقالت سونيا لنفسها : هل يظن آنى ذاهبة الى بنزا للنزهة والتأمل حتى أفكر فى لرمنتوف وأشعاره •• انى ذاهبة لأعمل فى مصنع وأنا لا أملك من التجارب الا ما تعلمته فى الجامعة •

وقال أبوها ان الأسرة يجب أن تحتفل بهذه المناسبة ، ورفضت سونيا ، واقترحت تأجيل الاحتفال الى أن تعود فى احدى اجازاتها القريبة • وسألتها أمها يوما ما وكانتا تجلسان منفردتين : سونيا يا عزيزتى •• لماذا لا يأتى سافشنكو لزيارتك وتوديعك ، لعلكما لم تتشاجرا ؟

وقالت سونيا : لا •• لم نتشاجر •• ولماذا نتشاجر ؟ انه مشغول فحسب •

وسألت الأم :

ــ وهل هو يعلم بسفرك ؟

وقالت سونيا :

ــ أعتقد أنه يعلم يا أمى •

وفى يوم الرحيل صحبت الأم وفولوديا سونيا الى المحطة وبقى أبوها فى المنزل لأنه كان متعبا •

ووصلوا جميعا الى المحطة قبل موعد قيام القطار بساعة • وصاح مكبر الصوت بعد مدة قصيرة ان على المسافرين أن

يأخذوا أماكنهم فى القطار ، وهبت سونيا واقفة .. وفجـأة صاحت الأم مهللة :

ــ مرحبا بك .. لقد جئت لوداع سونيا .

ونظرت سونيا فوجدت سافشنكو . وكان وجهها شاحبا ، وأخذ فولوديا بذراع أمه وقال لها : هيا بنا يا أماه نحو القطار .

وسألت سونيا سافشنكو :

ــ كيف عرفت بسفرى ؟

ــ لقد أخبرنى أخوك .

ــ لمـاذا لم تحضر لزيارتى ؟

ــ لقد ظننت أنك لا تودين رؤيتى .

ــ ولمـاذا خامرك هذا الظن ؟

ــ لقد تحدثت فى آخر لقـاء لنا بطريقـة أشعرتنى بأنك لا تريدين أن ..

وقاطعته سونيا قائلة :

ــ وهل تريد أنت أن ..

ــ هذا أمر غريب .. انك مازلت تشكين حتى الآن .

ــ لا تدعنا تتشاجر فى آخر دقيقة .. لمـاذا لم تدخل حين دعوتك للدخول ؟

ـ أدخل لأشرب الشاى مع الآخرين •

ـ لقد كنا نستطيع أن نجلس وحدنا •

سونيا •• متى ستحضرين ثانية فى اجازة ؟

ـ انك مجنون •• كيف أفكر فى اجازة وأنـا لم أتسلم عملى بعد •

ـ اذن سأحضر أنا لزيارتك فى بنزا •• سونيا •• هـل ستنسيننى ؟

وحمدت سونيا لنفسها أنها تملك الشجاعة والا لارتمت بين ذراعيه ، ونظرت اليه بعينيها الداكنتين ولم تجب بشىء •

وقبلت سونيا أمها وأخاها وصافحت سافشنكو ثم ركبت القطار وهى تقول لأمها : سأكتب لك يا أماه •• سأكتب لك من بنزا •

وتفرق الجميع واتجه سافشنكو الى الأوتوبيس وهو حائر •• هل قالت سونيا انها تحبه ؟ •• هل قالت انها لا تحبه ؟ انه حتى لا يذكر ان كانا تشاجرا فى آخر دقيقـة أم لا ، انه حائـر •• حـائر •

ولكنه رغم ذلك كان يحس بالسعادة تغمره ، فالربيع على الأبواب ، والمصنع على ما يرام ، وهنـاك سونيا ولا يهمه ان كانت تحبه أم لا •• انها موجودة وكفى •• وقد كانا يتحدثان

للآن يا للسعادة .. هل ستكتب اليه . هل سيسافر اليها فى بنزا ؟

وأفاق سافشنكو من أفكاره وهو على باب منزل كوروتييف .

أما سونيا فقد ظلت واقفة فى ممشى القطار تتذكر حياتها التى خلفتها وراءها . وأمها وأباها وأخاها وسافشنكو الوديع العاطفى الجميل .. هل سيكتب اليها ؟ هل سيحضر كما قال ؟ .. لعله ينساها بعد شهر ! ولكن على كل حال فان حضوره لتوديعى أسعدنى .

وابتسمت سونيا وأراحت رأسها ثم أغمضت عينيها .. والقطار يذرع طريقه الطويل بين المزارع والحقول اللانهائية الخضراء .

***

هد المرض قوى سوكولوفسكى وحطم أعصابه .. وكان من أكبر ما أرهق نفسه ما سمعه من فولوديا عن محاربة جورافليوف له ، وعن الاشاعات التى كان يطلقها دون تورع ، ولكنه حين علم بابعاد جورافليوف لم يشمت فيه وعذر ضعفه كما أنه كان مثل أجداده واثقا بأن العدالة لابد أن تأخذ مجراها .

كان فولوديا وفيرا يزوران سوكولوفسكى كثيرا وهو مريض ، وكان يفرح بزيارة فولوديا ويحدثه عن الرسم ، وفى ذات مساء أخذ يحدثه عن المدرسة الاسبانية فى الرسم •• واندفع فولوديا يقول : اننى أرسم الآن بضعة أطفال روس يبدو عليهم الابتهاج ، وفى أيديهم قطع من الشيكولاته من أحسن الأنواع •• أتريد منى وأنا أرسم هذه المناظر أن أتحدث معك عن جويا وأسلوبه فى الرسم ؟ •

وضحك فولوديا فى سخرية •• وسكت سوكولوفسكى والحسرة تملأ نفسه •

أما فيرا فقد كانت تزوره زيارة قصيرة كل صباح ، وكان حديثهما لا يتعدى المرض والدواء ولكن سوكولوفسكى كان يذكر دائما تلك النظرة التى لمحها فى عينيها يوم زارته لأول مرة ، وكان يود لو استعاد هذه النظرة الحنون ولو مرة واحدة أخرى •

وحين استرد سوكولوفسكى بعض صحته قرر أن يزور فيرا ليشكرها على عنايتها به •

واتجه سوكولوفسكى الى منزل فيرا ، وحين دخل وصافحها خيل اليه أن فيرا قد قابلته فى برود وعدم اهتمام : وسألها : لعلك مشغولة ؟ وأجابته بالنفى ثم دعته الى الجلوس •

وظل صامتا مدة طويلة ، وهو يخشى أن يتكلم فتضيق فيرا بكلامه ، هل يتحدث عن فولوديا الرسام ومناقشتهما عن جوريا ؟ هل يتحدث عن مرضه وقلقه ؟ هل يتحدث عن جورافليوف أم عن السياسة أو تشيكوف ؟

كان كل حديثهما سؤالا وجوابه ثم سؤالا آخر وهكذا ، لم تتصل بينهما مناقشة ، ودقت الساعة فى الردهة تعلن التاسعة ، وهب سوكولوفسكى واقفا وهو يقول : يا فيرا جريجوريفنا .. فى آخر مرة كنت هنا أخطأت فى فهم حديثى عن النباتات البرية فعندما كنت مريضا .

وصاحت به فيرا :

ـ لا تتكلم .. يجب أن لا تتكلم .

وحل الصمت ثانية ، وأولته فيرا ظهرها .. ثم قالت :

ـ يا سوكولوفسكى .. اننا لسنا أطفالا بعد..فلا تتكلم بهده الطريقة .

ودق جرس التليفون ، واستدعيت فيرا لعيادة احدى الأسر ،وارتدت فيرا معطفها ولفت منديلا حول رقبتها ، وعلم سوكولوفسكى أنهما سيفترقان لأيام طويلة ، فقال فى هدوء الى اللقاء يا فيرا .

ومد يده لمصافحتها ، فهزت رأسها وهى تقول :

ـ انتظرنى حتى أعود .. سأرجع سريعا .

وابتسمت فيرا ، وبدا وجهها صغيرا جميلا كأنها شابة فى مطلع العمر ، ونظر سوكولوفسكى فرأى نفس النظرة التى لمحها يوم كان مريضا .. نفس الحنان والمودة .

وانتظرها فى صبر وراء النافذة ، وكانت السماء رائقة ، وكان الثلج ـ وقد أذابه الدفء ـ ينساب على الأرصفة والطرقات واهنا نديا .. وابتسم سوكولوفسكى وهو يهمس لنفسه :

ـ ستعود فيرا بعد قليل ، وأنا لا أستطيع أن أفكر فيما سأقوله لها .. ولكننى لن أقول شيئا .. كل ما أستطيع أن أنطق به هو يا فيرا .. لقد ذاب الجليد .

***

لم تكن الممثلة تانشكا تتوقع أن ترى فولوديا فى ذلك اليوم ، فحين افترقا لآخر مرة كانا يعلمان أن علاقتهما لا يمكن أن تدوم ، وحزنت قليلا ، ولكن الحياة اليومية ما لبثت أن استغرقتها ، وطلب منها فولوديا أن تتهيأ للخروج ، وحين انطلقا فى الطريق سألته تانشكا : ماذا ترسم الآن ؟

وقال فولوديا فى أسى : لقد رسمت صورة لجورافليوف ..
ولكنه قد نقل من المصنع .

قالت تانشكا : لعل هذا أحزنك .

وأجاب فولوديا : بالعكس لقد فرحت .

وسألت تانشكا : وماذا يرسم سابوروف الآن ؟

وقال فولوديا : لقد اختار المسئولون صورتين من صوره للمعرض ، وهو يقول انهم قد اختاروا أسوأ الصــور .. وعلى كل حال فهذه بشرى طيبة .

أخذ فولوديا وتانشكا يتحدثان فى الفن ، وحاول كل منهما أن يبث الثقــة فى نفس زميله .. قالت تانشــكا لفولوديا انه يستطيع أن يكون أكثر من مجرد رجل يمزج الألوان ، وقال لها فولوديا ان سوكولوفسكى قد أعجب بها فى دور أوفيليــا فى مسرحية هاملت ، وانه لا يتصــور أوفيليا الا بهذا الشكل .. وكانا يتحدثان فى ألفة وهدوء .

وكان أمامهما عاشــقان يقتربان ويفترقان ثم يعودان الى الاقتراب ، وقال فولوديا لتانشكا : سيجلس هذان العاشقان ثم يتبادلان القبل .. أما نحن فسنظل نشكو ونلعن الحياة .

وقالت له تانشكا :

ـ لن نشكو ولن نلعن •• سنتمنى لهما السعادة •

ـ انى آسف لأنى لم أر وجهيهما ولكن لابد أنهما شـاب وشابة جذابان وجميلان وطيبان •

كان الجو يميل الى الدفء وكان الربيع قد خلع على كل شيء سحره ، وجلس فولوديا وتانشكا على ربوة عالية فى الحديقة وأمامهما ـ على بعد ـ كان العاشقان الصغيران يميل كل منهما على الآخر •

كانت لينا تتساءل : ما الذى غير فيرا هذا التغيير كله •• لقد زايلها جمودها وحذرها • وقد أصبحت باسمة سعيدة •• وكانت لينا تقارن بين حال فيرا وحالها •• لقد أحبت هى حبـا كذلك الذى تتحدث عنه الكتب ، حبا يمزق الحياة ، وكوروتيبيف الذى تحبه لا يحبها •• ماذا تستطيع أن تفعل فى هذه الحالة ؟

***

كانت تمشى فى الطريق الرئيسى قرب موقف الأوتوبيس ، وكانت هـذه الأفكار تزحم رأسها حين رآها كوروتيبيف ، وصاح بأعلى صوته : لينا :

وأخذ كوروتيبيف يعدو فى الطريق اليها •• ووقفت مبهورة

الأنفاس وتصافحا ، وهما ذاهـلان ، ثم سارا جنبـا الى جنب مرتبكين مسرعين يتحدثان دون تفكير ..

قال كوروتييف :

ـ لقـد كنت أتجـول ، وفجـأة رأيتـك قرب موقف الأوتوبيس .

وقالت لينا :

ـ لقد عرفت أنه أنت حالمـا سـمعت صـوتك .. انى لا أعرف لمـاذا خرجت مع أنى تعودت أن أظل فى البيت طيلة بعد الظهر .

ـ هل أنت فى عجلة ؟

ـ لا .. وأنت ؟

كان الطريق جميلا ، ومزدحما بالناس .. صبى يلعب ويأكل بعض المثلجات ، وفتـاة تحمل الأزهار ، وعشاق ، ومر بشجرة حديثـة العهد وكانت عارية .. ولكن المتـأمل كان يرى بعض البراعم الخضراء النامية .

وتساءلت لينا : ما هـذا اليوم من أيام الأسبوع .. انها لا تذكر .. لا تذكر شيئا على الاطلاق لا تفهم شيئا أيضا .. ماذا حدث ؟ أين هما ذاهبان ؟ .

وسألته : أين نحن ذاهبان ؟ •• ولم يجب كوروتييف ، ووجدت لينا نفسها أمام منزل من أربعة طوابق ، ودخــلا فى عجلة • وكانت الردهة ما تزال باردة فان الشتاء لم يرحل عنها بعد ، وكانت مظلمة ، ورفعت لينا رأسها وأومضت فى الظــلام عيناها الجميلتان •• وتناول كوروتييف رأسها وقبل شفتيها •• ومن الطريق كانت تصــل اليهما أصوات الأطفال ، وضجة ذلك اليوم الجميل من أيام الربيع •

الجـــلد

تـأليف

كروزيـو مالبارتـه

نشرت فى مجلة صباح الخير من ٩/١٢ الى ١٩٥٧/٩/٢٦

المؤلف والكتاب :

هذه الرواية يوميات مدينة مهزومة هدمت الحرب حياتها . مدينة كانت تقاتل فى بسالة ، فلما دخلها المنتصرون أذلوا شعبها بالجوع والمرض والحطة ، فتردت المدينة فى هاوية الدعارة والتسول .

والمدينة هى نابولى .. أول مدينة ايطالية دخلتها جيوش الحلفاء فى سبتمبر عام ١٩٤٣ ، جيوش جائعة للشهوة والمتعة وهى تبحث عن متعتها فى كل مكان وتجعل من كل شبر تنزل فيه ماخورة .

ومؤلف هذه الرواية هو كروزيو مالباتة الكاتب ايطالى الشهير ، ولد سنة ١٨٩٨ ومات فى العام الماضى(*) ، وقبل أن يموت كتب الى البابا يطلب مغفرته على كتابة هذه الرواية الصريحة التى كتبها على صورة فصول مستقلة تصور حياة مدينته التعسة بعد الحرب ولكن هذه الفصول جميعها تتكامل فى بناء روائى يترك فى النفس احساسا عميقا بكراهية الحرب .. الهزيمة فيها والانتصار .

(*) ١٩٥٦ .

ومالبارتة عرف الحرب معرفة وثيقة فحين شبت الحرب العالمية الثانية كان يعمل مراسلا لاحدى الصحف فى الجبهة الروسية ، فلما استسلمت ايطاليا واعتقل موسولينى عاد مالبارته الى وطنه كضابط اتصال بين حكومة بادوليو وبين قوات الحلفاء التى دخلت ايطاليا لتحررها تحت قيادة الجنرال كلارك الأمريكى .

ومن انطباعات هذه الأيام التى صحب فيها الكاتب جيوش الحلفاء كتب روايته هذه .

١

كنت الضابط الايطالى المرافق لجيش التحرير التابع للحلفاء فى نابولى بعد أن استسلمت ايطاليا .. وكنت أجوب المدينة يوما مع صديقى الكولونيل الأمريكى جاك هاملتون . وكان منظرنا بملابسنا النظيفة ، ووجوهنا التى يبدو عليها أثر الشبع يبدو غريبا بين الأنقاض والجوع ، وبين أهالى نابولى الممزقى الملابس الذين تنهال على رءوسهم الشتائم بجميع اللغات واللهجات الممثلة فى جيش التحرير .

ورغم الأحوال السيئة التى كان يعيش فى ظلها أهل نابولى الا أن أحدا منهم لم يكن يبدو عليه شعور المهزوم فى حرب ،

فبعد سنوات من الحرب ، وبعد الاستسلام ، وبعد دخول جيوش الحلفاء ، وبعد هذا المرض الذى يأتى فى أعقاب الحرب .. مرض الطاعون .. كان أهل نابولى لا يحسون أنهم خسروا الحرب . وكان هناك مئات من الايطاليين الذين جندوا مرة ثانية ليحاربوا فى صفوف الحلفاء بعد أن حاربوا الى جانب الألمان ، وكانوا يلبسون ملابس خاكية بريطانية يغلب على ظنى أنها كانت لجنود قد ماتوا فى ميدان القتال .. كان بعضها ملطخا بالدم وبعضها تفوح منه رائحة العرق .

أما أنا فقد كنت ألبس حلة ضابط بريطانى فيها ثلاثة خروق من أثر الرصاص .. ربما حاربت هذه الحلة فى العلمين أو على تلال طبرق .. وقد ذهبت بهذه الحلة لرؤية مواطنى من الجنود الذين لبسوا الخاكى للمرة الثانية ، وصاح فيهم الجاويش حين وصلت :

ــ انتباه .

ووقف الجنود صفا واحدا منتظما ثم نظروا الى فى عاطفة حارة .. كنت أنا الضابط الوحيد من أهل وطنهم الذى رأوه وتحدثت اليهم قائلا :

ــ اننا ندافع عن الحرية نحن جنود ايطاليا الجديدة من واجبنا أن نحارب الألمان ونطردهم من بلادنا .. ان عيون

الايطاليين فى جميع أنحاء ايطاليا تتطلع اليكم ، لأن عليكم أن ترفعوا هـذا العلم الذى مرغ فى التراب .

وخرجت الى الشارع حيث وجدت صـديقى الأمريكى ينتظرنى ، وانطلقنا لنكمل جولتنا فى المدينـة ، كانت هنـاك جماعات من النساء العاريات المتزينات .. يتبعن جماعات من الجنود السود الأمريكيين . وكانت النساء يصحن فى الجنود الزنوج هاللو ! .. هاللو ! يا جو ! .. وعلى الرصيف كان يجلس بعض النساء على مقاعد شبابيك المنازل ، كن ينظرن الى الجنود الزنوج ، وتتبع نظراتهن جماجمهم المستديرة الصغيرة وأحذيتهم وسيقانهم اللامعة كالتماثيل السوداء .

وأمام صناديق خشبية صغيرة كانت تجلس جماعات من الصبيان ، يدقون بفرشـاتهم على الصناديق ويصيحون : « مسح أحذية » .. « مسح أحذية » ويمدون أحيانا أيديهم الى ذيل بنطلونات الزنوج ، ثم ينظرون اليهم فى رجاء ، وعلى مفارق الطرق كان يقف بعض النساء العجائز يبعن البضـاعة الغريبة .. صبيان وبنات بين الثامنة والعاشرة ، فهذا يوافق مزاج الجنود المراكشيين والمدغشقريين .

وكان الجنود يتحسسون الصبيان والبنـات ، ثم يمدون أيديهم بين زراير بنطلونات الصبيان أو يرفعون رداء البنـات الصغيرات بأصابعهم والنساء يقلن فى صوت هامس للجنود :

ـ الولد بدولارين .. والبنت بثلاثة .

ووجدت فى نفسى رغبة عارمة لكى أسأل صديقى الأمريكى الكولونيل جاك هاملتون :

ـ أخبرنى بصراحة .. هل تريد بنتا صغيرة بثلاث دولارات ؟

ـ اسكت يا مالبارته .

وقلت له :

ـ ان ثلاثة دولارات ليست مبلغا كبيرا بالنسبة للبنت الصغيرة .. ان رطلين من اللحم يساويان أكثر من هذا .. وانى لواثق أن البنت الصغيرة تزن أكثر من رطلين من اللحم كما انى واثق أن سعرها فى نيويورك أو لندن أكثر من هذا بكثير .

واستطردت قائلا :

ـ ان بنتا صغيرة فى الثامنة والعاشرة تزن خمسة أرطال وثمن رطل اللحم فى السوق السوداء دولار وعشرة سنتات فثمن البنت اذن يجب أن يكون خمسة دولارات وخمسين سنتا .

وفى هذه المرة صاح هاملتون بصوت ملؤه الغيظ :

ـ قلت لك اسكت : اسكت أرجوك .

والواقع أنه لم تكن بى رغبة لاغاظة صـديقى الأمريكى فهو ليس مسئولا عن الحرب كما أنه من أحسن الأمريكيين الذين رأيتهم .. كان يكاد يكون أوروبيا ويتكلم الفرنسية بطلاقة ، ويحفظ بودلير ويؤمن بالمحبة المسيحية ، ولكن رؤية مواطنى أهل نابولى الجميلة بهذه الحالة أفقدتنى رشدى .

وفى خلال الأيام القليلة التى مرت بعد التحرير كانت أسعار الرجال والنساء والأولاد تنخفض باتنظام بينما ترتفع أسـعار الدقيق والسكر والزبد ؛ فمنذ أسبوع كانت الفتاة بين العشرين والخامسـة والعشرين تعرض فى الســوق بعشرة دولارات ؛ أما الآن فقد أصبحت بأربعة فقط ، وربما كان انخفاض سـعر اللحم البشرى فى نابولى راجعا لقـانون العرض والطلب .. فقد تدفقت من جميع أنحـاء جنوب ايطاليا خلال أسـبوع مئات من الفتيات كما عرض فى السوق كميـة كبيرة من لحوم صقلية البشرية .. وفى كل يوم كان يتدفق على الحمير وعلى عربات الجيب التابعة للحلفـاء أطنان أخرى من اللحم البشرى .. فتيات قويات فلاحات أغراهن سراب الذهب فى نابولى ، وهكذا انخفض سعر الانسان فى نابولى ، وكاد يخشى من هـذه المنافسة على اقتصاد المدينة .

ومن ناحية أخرى ارتفع سعر اللحم الأسود .. لحم الجنود الزنوج حتى أصبح أغلى من اللحم الأبيض .. لقد أصبح ثمن

الرجل الأسود أغلى من الأمريكية البيضاء . لقد أصبح الزنجى ثروة وارتفع سعره من مائتى دولار الى ألف . وكان هـذا السعر يرتفع بنفس السرعة التى يهوى بها سعر المرأة البيضاء . وأصبح حلم الرجل الفقير فى نابولى أن يشترى رجـلا أسود ولو لساعات قصيرة .

كان الرجل فى نابولى يتعرف على الزنجى ثم يأخذه ليدور به من حانة الى حانة .. ومن ماخورة الى ماخورة وقد يقابله فى الطريق كثيرون من جيرانه ويقولون له :

« هـل تبيع هـذا الزنجى .. عشرين دولارا فورا .. ثلاثين .. خمسين » .

وفى ساعات كان هذا الزنجى يشرب حتى يفقد وعيه ثم تخلع ملابسه ، وتنزع ساعته ونقوده ، ثم يترك عاريا فى الطريق. واذا وافق الرجل على بيع الزنجى فما عليه الا أن ينزع يده من يد الزنجى ثم يضعها فى يد المشترى الجديد ، ويختفى فى زحام الطريق ، كل هـذا والزنجى يبتسم فى وقار المنتصر ، ويدق بحذائه الأسـود اللامع على الأرض الصلبة ، دون أن يدرى أنه قد أصبح عملة فى سـوق نابولى الواسعة .

أما الحكماء من أهل نابولى فلا يبيعون الزنوج أبدا ، بل يأخذ الرجل منهم الزنجى الى بيته ، ويعامله كضيف مكرم ،

ويتركه ليرقص مع بناته وزوجته على ألحـــان جراموفون قديم ، ثم يسمح له أن ينـــام مع كل أفراد العائلة من الزوجـــة حتى الأطفال ، ويعود الزنجي الى منزله الجديد كل مساء ومعه هدايا من الســـكر والسجاير والأحذيـــة والملابس وملاءات السرير والمعاطف والدقيق والزبد واللحم المعلب والحلوى •

ويتأثر الزنجي بالجو العائلي الذي يسبغ عليه بالسهر في المساء ومائدة العشاء المعدة والنبيذ وابتسامات النساء والأطفال، ويصبح الزنجي بعد أيام عبدا للأسرة النابولية الجديدة دون أن يدري •

ومن الطبيعي أن يصبح الزنجي الذي يقود ســـيارة نقل تابعة للحلفـــاء أغلى الجنود ســـعرا ، فقد جلب بعض الجنود لعائلاتهم الجديدة سيارة كاملة محملة بالبضـــائع والهدايا ، بل ان بعضهم قد ترك السيارة نفسها عند أسرته الجديدة ، وبعد ساعات اختفت السيارة نفسها وأصبحت قطعا صغيرة •

ومازلت أذكر أن احـــدى سفن النقل التي تتبع جيوش التحرير وصلت ذات مساء الى ميناء نابولي ، وبعد ساعات لم تكن الحمولة •• فقط هي التي تسربت الى أزقة نابولي ، بل لقد اختفت السفينة نفسها •

ولم يسمع عنها أحد شيئا ، وظلت أزقة نابولى تضحك على هذا الحادث أياما ثم نسيته •

وزاد انتشار الطاعون ، هـذا المرض الذى يأتى دائما فى أذيال الحرب ، وكان الدواء الوحيد الذى اهتدت اليه السلطات البريطانية والأمريكية هو أن تمنع القوات المتحالفة من دخول الأماكن الموبوءة فى المدينـة •• فكنت تجـد على الحيطـان « ممنوع الدخول » وتحتها رسم •• لعظمتين متقاطعتين فى شكل صليب وبينهما جمجمة •

وبعد قليل من الوقت أصبحت نابولى كلها موصـومة بهذا الرسم ، ومكتوبا عليها « ممنوع الدخول » •

ولمـا كان من طبيعة الناس جميعا والجنود أيضا أن يحبوا كل ما هو ممنـوع • ولمـا كان النـاس لا يعرفون مصـدر العدوى •• هل هو أهل نابولى أم جنود جيش التحرير أنفسهم، فان أحدا من الجنود لم يلق بالا لهذه التحذيرات •

وظل اختلاط الجنود الظرفاء بأهل نابولى على أشـده ، وكانت نوبة جنونية من السـكر والرقص واللعب والضحك والأكل تنتاب جيوش الحلفاء وأهل نابولى وخاصة النساء كل ليـلة •

٢

سألنى صديقى الضابط الأمريكى ذات مساء ونحن خارجان من أحد المخابز نلتهم بعض الحلوى •

ـ هل رأيت عذراء قط ؟

ـ نعم ، ولكن عن بعد •

ـ هل رأيت عذراء عارية عن قرب ؟

ـ لا •

وصاح بى : اذن اتبعنى يا مالبارتة •

كنت لا أريد أن أصحبه • فقد كنت واثقا من أنه سيرينى شيئا مخجلا منحطا ، وأنا لا أريد أن أرى الانحطاط ولا أسر برؤية الناس وهم ينحدرون الى أسفل ، وأخشى ما أخشاه فى هذه اللحظات أن يلتفت أحد هؤلاء المنحطين الى ثم يبتسم فى سخرية :

لقد كنت أفضل الحرب على الاستسلام ثم الطاعون •

فقبل التحرير كنا نقاتل لكى لا نموت ، وهناك فرق عميق بين أن تقاتل لتتفادى الموت وأن تقاتل لتعيش • فالذين يقاتلون لكى لا يموتوا يحتفظون بكرامتهم ولا يجثون على ركبهم ، وهم يهربون فى الجبال والغابات ويعيشون فى الكهوف ،

ويحاربون الغزاة فى ضراوة الذئاب ، حربا شريفة وكريمة .. والنساء لا يلقين بأجسامهن فى السوق السوداء مقابل أحمر الشفاه والجوارب الحريرية والسجاير والخبز .. بل يعانين الجوع وقساوته فى صبر وتماسك .. لقد كان أهل أوربا قبل دخول جيوش الحلفاء من الأمريكيين والانجليز يحاربون فى شرف لكى لا يموتوا ، ولكى يحتفظوا بروحهم سليمة . ولكنهم بعد التحرير يحاربون لكى يعيشوا .. ولكى يحتفظوا بأجسامهم لا بأرواحهم .. لكى يحتفظ كل منهم بجلده وعظمه ولحمه فقط .. إنها لم تعد حربا ضد الطغيان ولا حربا فى سبيل الحرية أو الكرامة الانسانية أو الشرف .. بل هى حرب خسيسة فى سبيل لقمة خبز ، أو خرقة من الملابس الممزقة أو حزمة من القش،ليناموا عليها ، ولكى يعيش الانسان فهو لا يتحرج عن شيء .. قد يسرق ويغش ويدلس ويقود زوجته .. وقد يجثو على ركبتيه ويعلق حذاء كل من يملك لقمة خبز أو قطعة سكر .

كانت هذه الخواطر تدور بذهنى ، وأنا وصديقى الأمريكى ذاهبان لرؤية العذراء ، وكان على الباب حفنة من جنود الحلفاء بعضهم أمريكى وبعضهم انجليزى أو بولندى ، ووقفنا فى الصف فى انتظار دورنا .

وبعد انتظار نصف ساعة وجدنا أنفسنا على باب الغرفة وكان الباب محجوبا على أنظارنا بستارة من قماش ثقيل ،

وأمام الستارة وقفت امرأة كهلة تلبس السـواد ، وكانت نحيلة شاحبـة الوجه ، وكانت يداها اللتان تمتلئـان بأوراق النقد معقودتين على صدرها ــ دولار لكل منكما .

ودفعنا لها دولارين ودخلنا وكانت الحجرة رثة الأثـاث ذات باب آخر صغير فى أحد أركانها .. وكانت جدران الغرفة مغطاة بأفيشات السينما واعلانات أوبرا توسكا وعايدة وصور لنساء ورجال وأطفال . وفى ركن الغرفة كان شمعدان كبير على مائدة وبجانبه تمثال صغير للعذراء أم المسيح . أما السرير فقد كان مفروشا بملاءة زرقاء ناصعة اللون وعلى طرف الملاءة جلست فتاة صغيرة تدخن سيجارة .

كانت تجلس وقد تدلت قدماها على الأرض . وكانت تدخن فى سكون وقد اعتمدت بوجهها على مرفقيها . وتبدو صغيرة جدا وان بدت عيونها كعيون العجـائز وكانت ترتدى ثوبـا مفتوح الصدر .

لم يبد أن الفتاة قد رأتنا فقد ظلت تدخن فى سهوم وهى تتجه ببصرها الى الباب وكنا عشرة فى الغرفـة وأنا من بينهم الايطالى الوحيد .

وفجأة وصلنا صوت من وراء الستارة يقول « كفى .. اشتغلى » وألقت الفتاة السيجارة من فمها ثم سحقتها على الأرض

ومدت يدها الى ثوبها ثم رفعته وبدت ركبتاها أولا ثم فخذاها ، وبعد لحظة كانت تستلقى على السرير عارية تماما وكان وجهها جامدا وفمها نصف مفتوح فى ضيق .

وصاح صوت من ورائنا « انها عذراء ويمكنكم أن تلمسوا ولا تخافوا ، انها لا تؤذى أحدا ولا تعض ، انها عذراء .. عذراء حقيقية » .

ومد أحد الزنوج يده وضحك بعض النـاس ولم تتحرك العذراء بل ظلت تنظر الى الزنجى بعينين ملبئتين بالخوف واللعنة، ونظرت حولى الى وجوه المشاهدين وكانت كلها مليئة بالخوف واللعنـة .

وهبت الفتاة واقفة ثم لبست ثوبها وبحركة سريعة من يدها انتزعت سيجارة من بين شفتى بحار انجليزى .

وصاح صوت من ورائنا : « لقد انتهى العرض فاخرجوا من فضلكم » وخرجنا جميعا من الباب المغطى بالستارة . وكانت خطانا تتناثر على أرض الحارة مليئة بالخزى والمذلة .

وقلت لصديقى ونحن خارجان :

ــ ان أصحـابك يسرهم بلاشـك أن تتردى نابولى فى هـذه الهوة .

ــ من المؤكد أننى لست مسئولا عن هذا .

وقـلت :

ـ ولكن لابد أنكم مزهوون لأنكم قد قهرتم أمة الى هـذا الحد فبدون هـذه المنـاظر كيف كنتم ستحسون أنكم منتصرون ؟

وأجـاب :

ـ لسنا نحن الذين صنعنا نابولى ، ان نابولى هـكذا دائما .

ـ لا .. ليست نابولى هكذا . لقد صنعت نابولى جديدة من أجلكم ولكن أخبرنى يا صديقى .. لو انهزمت أمريكا فى الحرب ألم يكن من المحتمـل أن تجلس فتـاة من نيويورك أو شـيكاغو مكان عـذراء نابولى ليتفرج المنتصرون عليهـا مقابل دولار ؟

وقاطعنى صائحا : كف عن هذا الهراء .

ـ اننى أفضل أن أخسر الحرب وأن أجلس على مثل هذا السرير مثل هـذه الفتـاة المسكينـة عن أن أمد يدى لأمتحن بكارتها لمجرد الاحساس بالنصر والفرحة المجنونة بالسيطرة .

وسألنى الأمريكى قائلا :

ـ ولكنك جئت أيضا فلماذا صحبتنى ؟

وأجبتــه :

ــ لأنى جبان ولأنى أريد أيضا أن أشعر بالمذلة التى يشعر بها المهزوم .

وقال فى رنة سخرية :

ــ ولمــاذا اذن لم تجلس أنت أيضا على السرير ؟

وسألته بدورى :

ــ وهل كنت تدفع دولارا لترانى ؟

وأجاب الأمريكى :

ــ لا أدفع سنتا واحدا لكى أراك .

وقلت له :

ــ ولكنى ــ لو هزمت أمريكا ــ مستعد لأن أدفع أكثر من دولار لكى أرى أحد أحفاد جورج واشنطن وهو يعرى نفسه من ثيابه .. وانى لأؤكد لك أنى لو جلست على السرير لأتى جميع الجنود حتى الجنرال كلارك نفسه ليرانى ، لأن منظر الرجل المنهزم أشــد ذلة من منظر المرأة المنهزمة .. انكم تريدون أن تستمتعوا بانتصاركم .

وأغرق كلانا فى الصمت ثم انطلقنا فى الطريق .

٣

كنت حينئذ أفكر فى أمر الاستسلام الذى أذاعه الملك منذ أسابيع قصيرة :

« يا ضباط وجنود الجيش الايطـالى ، ألقوا بأسلحتكم وراياتكم كالأبطال تحت تدمى أول قادم » .. واذا كان هناك مجال للسخرية فى هذا الأمر فهو كلمة « كالأبطال » .. الأبطال يلقون سلاحهم لأول قادم سواء أكان من المنتصرين أو المنهزمين.. وكنا جميعا نفكر كيف يمكننا أن نلقى أعلامنا فى الوحل ببطولة.

وكنت أفكر أيضا فى كلمة « الايطاليين الأوغاد » التى سمعتها كثيرا بالانجليزية وبالفرنسية .. وكنت أتساءل : كيف يمكن أن تقال هـذه الكلمة بالروسية وبالصربية وبالبولنديـة وبالدانمركية والهولندية والنرويجية وبالعربية .. بل بالبرازيلية والصينية والهنديـة ولغـة مدغشـقر ، بل وحتى بالألمـانية لأن الألمـان ما يزالون أمة منتصرة ليست كمثل أمتى فى نابولى وأزقتها .. اننا الأمة الوحيدة التى انهزمت حقا .. وفجـأة ملأنى السرور لأننا وحدنا ، دون أمم العالم .. الأوغاد والفقراء وأولاد الخنازير كما تقول القوات المتحالفة .

وأخذت أتأمل الطريق الذى نمشيه صامتين كل منا يفكر فى عالمـه الخاص .. كانت درجات مدخل أحد المسارح مليئة

بالنساء الجالسات يتحدثن فى صـوت مرتفع ويضحكن ، كان بعضهن يأكل فاكهة أو يدخن أو يملأ فمه بالحلوى أو اللبـان الأمريكانى ، والأخريات يستند بمرفقهن على ركبهن وقد دفنت وجوههن فى أيديهن الشاحبة . وفى بعض الأحيان كانت احداهن تنطلق فى أغنية نابولية حزينة ثم يخفت صوتها كما بدأ .

وكان يمشى خلفنا جماعـة من الجنود الزنوج فى حلتهم الخاكيـة الجديدة وأحذيتهم الصفراء اللامعـة .. ثم أخذوا يصعدون السلالم فى زهو الزنوج ، ويمرون بين النساء بقاماتهم الطويلة القوية ، وسرعان ما علت الضجة « خمسة دولارات .. خمسة دولارات » واختلط الزنوج بالنساء .. وأخذت أسرع الخطى .. صديقى وأنـا لكى نبتعد عن الضجة .

وحين وصلنا أنا وصديقى الى الطريق الواسع ودعته دون كلام ، لكى أنطـلق مرة ثانية فى شـوارع نابولى التى ألقت أسلحتها وأعلامها فى بطولة تحت قدمى أول قادم .

رجعت الى منزلى بعد تلك الجولة فى شوارع نابولى ، وفى السادسة صباحا وقفت عربة « جيب » على بابى ونزل منها الملازم الأمريكى كامبل من البوليس الحربى ، وأخبرنى أن على أن ألحق بالكولونيل هاملتون خارج مدينة « كاسينو » ، ووضعت معطفى على كتفى وأخذت بندقيتى وقفزت فى العربة .

كان كامبل صديقى الأمريكى الثانى شابا غامق الشعر ؛ له عينان زرقاوان صافيتان ، وكان الحزن هو سمته المميزة كأنه يفكر دائما فى أنه لن يعود الى وطنه ، وأن لغما ربما انفجر تحت قدميه فى أرض روما أو ميلانو ، لذلك كان قليــل الكلام ، ونادرا ما كان يضحك .

وعبرنا جسر « كابــوا » فاستقبلتنا القافــلة الأولى من الجرحى ، وتتابعت القوافل ؛ فقد كانت المعركة بين جيش التحرير والألمــان تدور على مقربة منا ، وكانت بعض شظايا المدافع تصل وتتهاوى حولنا ، ولكن الملازم كامبل انطلق بالسيارة الجيب على الأرض الصخرية المنحدرة ، وفجــأة رأينا أمامنا نافورة من التراب والصخر تندفع فى الهواء ؛ وسمعنا ضجة انفجار مزعج وصاح كامبل : « هذا لغم » ، وبعد أن هدأت النافورة أخذ كامبل يتتبع خطى العربات التى سبقتنا فى حرص وحذر ، ثم سمعنا أصواتا حادة من خلال أشجار الزيتون ، ولمحنا على بعد مائة ياردة جماعة من الرجال وقد تجمعوا حول عربة جيب قد غاصت عجلتاها الخلفيتان واخترق مؤخرها شظايا الألغام .

كان الجنود ملتفين حول جندى قد استلقى على ظهره فوق الأرض وهو يئن ، وحينما اقتربنــا منهم ، نظر أحدهم وكان جاويشا الى بذلتى والى وجهى ، ثم قال لكامبل وهو يشــير نحوى :

ـ ما الذى أتى بهذا الوغد الى هنا ؟ .

وأجاب كامبل : « انه كابتن ايطالى فى الجيش الايطـالى الجديد ، وهو يرافق القوات المتحالفة » .

واتجه الجاويش الى ثم قال فى صوت هادر : « انزل عن العربة واترك مكانك لهذا الجريح » وقفزت من العربة وأنـا أقول : « ما باله » ؟

وقال الجاويش : لقد أصابته شظية فى بطنه ولابد أن ينقل الى المستشفى حالا .

وقلت للجاويش : « دعنى أراه » فسألنى « وهـل أنت طبيب » ؟

قلت : « لست طبيبا ، ولكنى رأيت كثيرا من الجرحى » .

كان الجريح صبيا فاتح الشعر ، وكان وجهه ينطق بالطفولة. أما الجرح الذى فى بطنه فقد كان غائرا رهيبـا ، ومنه كانت تتدلى أحشاؤه .

وقلت : « أعطونى بطانية » .

وأحضر لى أحد الجنود بطانية ، فمردتها على بطن الجندى الجريح ، ثم انتحيت بالجاويش جانبا وأخبرته أن الجريح لايمكن

نقله الى المستشفى وأن من الأحسن أن لا يلمسه أحد بل أن يترك فى مكانه فى حين ينطلق الملازم كامبل ليستدعى طبيبا .

وقلت له : « لقد حاربت فى أماكن كثـيرة ، ولقد رأيت عشرات وعشرات من الجرحى أمثال هـذا الجندى ؛ وفى رأيى أن واجبنـا الأول هو أن لا ندعه يتعذب ؛ فاذا حملنـاه الى المستشفى فسيموت فى الطريق وقد تعذب عذابا شنيعا . ومن الأجدى أن نتركه يموت فى مكانه دون عذاب ؛ وليس بامكاننا أن نفعل غير ذلك » .

كان الجنود فى ذلك الوقت قد تكاثروا حولنا ينظرون الى ساكنين .

وقال كامبل : « ان الكابتن مالبارتة على حق وسأذهب الى « كابوا » لأستدعى طبيبا » .

وصاح الجـاويش : « لا نستطيع أن نتركه هنا ، انهـا لجريمة ، وربما أمكنهم مساعدته فى المستشفى » .

وتدخلت قائلا : « سيعانى عذابا شديدا فى حالة نقله الى المستشفى ، وسيموت قبل وصـوله فدعوه يرقد حيث هو ، ولا يلمسه أحد منكم » .

وعندئذ التفت الى الجاويش ثم صاح : « انك لسـت طبيبـا » .

وأجبته فى هدوء : « لست طبيبا ، ولكنى رأيت عشرات الحالات مثل هذه الحالة » .

وأنهى كامبل المناقشة حين صاح : « انى ذاهب لأستدعى الطبيب » .. ثم قفز الى العربة .

وصاح به الجاويش : « انتظر دقيقة يا حضرة الملازم ، انك ضابط أمريكى وواجبك أن تقرر قرارا ، ولكنك قد شاهدت كل شيء ، فاذا مات هذا الصبى فانك تعلم أن الخطأ ليس خطأنا ، بل خطأ هذا الضابط الايطالى » .

وسألنى كامبل : « هل أنت على استعداد لتحمل مسئولية عدم نقل هذا الجندى الى المستشفى » .

وأجبته : « نعم ! انى أتحمل المسئولية كاملة ، فان هذا الجندى ميت لا محالة ، ومن الأوفق أن يموت دون عذاب » .

وانطلق كامبل بالعربة ، وما لبث أن اختفى بين أشجار الزيتون ، ونظر الجاويش الى لحظة ثم سألنى : « والآن ! ماذا علينا أن نفعل » ؟

وقلت له : « ان علينا أن نسلى هذا الصبى المسكين ، أن نقص عليه بعض الحكايات ، أن لا نترك له مجالا لكى يعرف أنه مجروح جرحا مميتا » .

وسألنى الجاويش فى دهشة : « نقص عليه بعض الحكايات » ؟

وقلت : « نعم نقص عليه بعض الحكايات المضحكة ، تجعله مبتهجا لأنك لو تركت له وقتا للتفكير فى جرحه فسيتعذب » .

وقال الجاويش : « لا أحب التمثيل ، ولست مهرجا هزليا .. لسنا ايطاليين أوغادا ، فاذا كنت أنت تريد أن تهرج فتقدم ، ولكن اعلم أنه اذا مات فستكون مسئولا أمامى » .

وقلت : « لماذا تشتمنى دون سبب ، لقد قلت لك انى مسئول عن عذابه لا عن موته » .

وقال الجاويش : « أجل » ثم التفت الى الجنود قائلا : « كلكم شهود ، لقد قال هذا الايطالى القذر » .

وصحت به : « اسكت ! كفى شتائم وقذارات ، هل جئت الى آوربا لتشتم الناس أم لتحررها من الالمان » ؟

وأغمض قبضته فى وجهى وقال : « كان ينبغى أن يموت أحد الايطاليين بدلا من هذا الصبى الأمريكى ، لماذا لم تخرجوا ــ بمفردكم ــ الألمان من بلادكم » ؟

وسألته بدورى : « ولماذا لم تظلوا أنتم فى بلادكم ؟ كان ينبغى عليكم أن تتركونا نحارب الألمان وحدنا » .

وقال الجاويش : « هون عليك ! انكم جميعا أيها الأوربيون أشرار ، ان الشيء الوحيد الذى يصلحكم هو أن تموتوا جوعا ».

وانطلق الجميع فى الضحك ، ونظروا الى فى هدوء ، وقلت ــ للجاويش : « انك ترانى هنا أخوض معك نفس المعركة، فلماذا تشتمنى » ؟

وقال الجاويش فى احتقار : « انكم أمة قذرة » .

وأجبته فى سخرية : « أما أنتم أيها الأمريكيون فأمة من الأبطال ومع ذلك فقد أمكن لعشرة من الألمان وصف ضابط أن يوقفوكم أمام الخليج ثلاثة شهور » .

وتقدم نحوى الجاويش وقد كور قبضته ، وفجأة سمعنا أنين الجريح والتفتنا جميعا نحوه وصاح الجريح فى صوت خافت « هاللو يا أولاد » ثم استند على مرفقيه محاولا أن يقوم من رقدته .

وابتسمت له وأشرت الى الجاويش قائلا : « انه يحسدك ويتمنى أن يكون جريحا مثلك لكى يعود الى الوطن » !

وقال الجاويش وهو يدق بيده على صدره : « لماذا تعود أنت الى الوطن ونظل نحن هنا » ؟

وابتسم الجريح قائلا : « الوطن » !

وقلت : بعد قليل ستحضر النقالة •• وسيحملونك الى المستشفى ، وفى خلال يومين ستكون على الطائرة الى أمريكا ، انك حقا رجل سعيد » •

وابتدءوا فى التهريج لاضحاك الجريح فتناول الجاويش حفنتين من الطين ومسح بهما على وجهه وهو يصيح : « هذا ظلم » ! انتزع أحد الجنود قبعتى من على رأسى ووضعها فى الأرض ، وأخذو يدور حولها راقصا وهو يقول : « مكرونة اسباجتى •• مكرونة اسباجتى !! سنيوريتا » •

وأخذوا جميعا يضحكون ، وابتسم الجريح ، وغمزنى الجاويش فى كوعى قائلا : « هيا » !

وتصاعد الدم الى وجهى خجلا ، فأنا لم ألعب دور المهرج فى يوم من الأيام ، ولكنى كنت أرى انسانا يتعذب ، ومن واجبى أن أخفف عذابه •• أن أقوم بدور المهرج لا فى سبيل الوطن أو الانسانية أو الشرف أو المجد أو الحرية ، بل لكى أجعل طفلا أمريكيا يموت فى هدوء •

وصحت : « امضغ اللبان ! امضغ اللبان » ! ثم أخذت أقفز أمام الصبى الجريح ، وكان الدور الذى اخترته دور رجل يمضغ قطعة هائلة من اللبان ، وقد التصق فكاه بحيث لا يستطيع أن يتكلم أو يتنفس أو يبصق ، وأخذت أرفع فكى الأعلى بكلتا

يدى وأنــا أدور وأقفــز وأصيح ، ثم فتحت فمى وصــحت : « تفوه ؟ تفوه » ! وكأنى أبصق قطعة هائلة من اللبان .

وضحــك الأمريكيون جميعا حتى الجريح ضحــك وهو يقول : « تفوه ! تفوه » ! ثم انطــلق الجميــع يؤدون هــذه التمثيلية التى ابتكرتها ، وارتفع صوتهم بين أشجار الزيتون يصيح : « تفوه ! تفوه » !

وفجأة سمعنا صوتا يصيح من بعيد .. وخرج الينا من بين الأشجار زنجى طويل القامة ، وحين رآنا نقف أخذ يهز رأســه فى حركة رتيبــة وهو يصيح صياحا عاليا ، ونظر اليه الجريح واستغرق فى الضحك .

كان الزنجى يحمل حقيبة على ظهره ، ونظر اليه الجاويش ثم صاح به : « افتح هــذه الحقيبة » وفتح الزنجى الحقيبة وأخرج منها زجاجة من النبيذ الأحمر ، ثم نظر اليها فى شغف ورفع سدادتها وتناول منها جرعة وانطلق يصيح صياحا مجنونا « أهو ! أهو ! » .

وصاح الجاويش : « أعطنى الزجاجة » .. ومد الزنجى يده بالزجاجة فتناولها الجاويش وفتحها ثم صب جرعة كبيرة فى كأس ناوله له أحد الجنود .. ثم نظر الى « فرد » الجنــدى الجريح وقال : « فى صحتك يا فرد » .

وقال الجندى الجريح : « أعطنى كأسا فانى عطشان » .

وتدخلت فى الأمر قائلا : « لا .. يجب أن لا يشرب » .

وقال الجاويش : « ولماذا لا يشرب ؟ .. ان كأسا من النبيذ تفيده بلا شك » .

وقلت فى صوت خفيض : « ان رجلا مجروح البطن يجب أن لا يشرب .. ان كأسا من النبيذ تقتله وتعذبه » .

وقال لى الجاويش : « انك قذر » .

ولم آبه لكلامه .. بل صحت : « أعطنى كأسا من النبيذ لأشرب فى صحة فرد وصحة أسرته التى تنتظره فى أمريكا » .

وقال فرد باسما : « وصحة مارى حبيبتى أيضا » .

وشربنا جميعا نخب مارى ، ثم قال الجاويش للزنجى : « غن أغنية لفرد .. أتعلم لماذا يجب أن تغنى .. لأن (فرد) سيعود الى الوطن بعد يومين » .

وأضاف : « وسينتظرنى بابا وماما وأخى بوب وأختى دوروثى وعمتى ليونورا .. » ثم سكت وبدا أنه يتنفس فى صعوبة بالغة .

وأكمل الجاويش قائلا : « ومارى الجميلة » .

وأطرق الجريح فى ابتسامة ذابلة ، والتفت الجاويش الى الزنجى وسأله : « ماذا تفعل لو كنت العمة ليونورا ؟ »

وأخذ الزنجى يأتى بحركات مضحكة ، كأنه امرأة عجوز واقفة فى أرض أحد المطـارات تنتظر مسافرا والصبى الجريح يبتسـم •

ونظرت أنا الى الجاويش مشيرا الى الجريح : « انظر الى الصبى ، ان خديه يتألقان بالابتسام » •

وقال الجـاويش : « انه يتعذب » وضغط بأصابعه على ذراعى •

وأجبته : « انه لا يتعذب أبدا » •

وقال الجاويش فى صوت أجش : « انه يموت •• ألا ترى أنه يموت ؟ »

وقلت : « انه يموت فى سلام دون عذاب » •

وصـاح الجاويش : « أيها الايطـالى القذر » ، وكانت الكراهية تموج فى عينيه •

وفى تلك اللحظة أطلق « فرد » تنهيدة ، وحاول أن يعتمد على مرفقيه ويقوم •• ولكن لون الموت كان يزحف على خديه وعينيه ، وكان الجميع صامتين ، الجنود والجاويش والزنجى !•• وكانت عيونهم مليئة بالدمع •

وغمغم الرجل الجريح : « انى أشـــعر بالبرد » وخلعت معطفى ولففته حول ساقيه ، وخلع الجاويش معطفه وألقاه على كتفى الجريح ، ثم سأله : « هل أنت بخير ؟ »

وأجاب الصبى : « نعم .. شكرا لكم » .

والتفت الجاويش الى الزنجى وقال له : « غن » :

وأجابه الزنجى : « لا .. لا .. أنا خائف » .

وصاح به الجاويش : « اذا لم تغن فسأقتلك » .

وجلس الزنجى على الأرض .. وانطلق يغنى أغنية حزينة عن عـــذاب زنجى مريض يجلس على ضفة نهر وأمامه حقول القطن الممتدة . وأخذ الجريح يئن والدموع تبلل وجهه .

وصاح الجاويش بالزنجى : « اسكت .. ان أغنيتك حزينة، ولا نغم لها .. غن أغنية ثانية » .

وقال الزنجى : « ولكنها أغنية جميلة » .

وأجابه الجاويش : « بل هى أغنية كئيبة » وأشـــار الى باصبعه ثم استطرد يقول : « حتى موسولينى لا تعجبه هـــذه الأغنيـــة » .

وضحك الجميع والتفت الجريح الى وجهى فى دهشة .. وصاح الجاويش : « اسكتوا جميعا ودعوا موسولينى يتكلم ».

وابتسم الجريح ، ونظروا جميعا الى ، وقال الزنجى : « انك لست موسولينى ؛ ان موسولينى رجل عجوز بدين » .

وقلت له : « انك تظن أننى است موسولينى ولكن انظر الى جيدا » ثم وقفت وقد باعدت بين قدمى ومددت عجيزتى للخلف ونفخت أشداقى وصحت : « الى جميع لابسى القمصان السوداء فى ايطاليا .. ان الحرب التى انهزمنا فيها بشرف قد كسبناها ثانية ، وان أعداءنا المحبوبين ، استجابة لدعوات جميع الايطاليين ، قد نزلوا أخيرا الى ايطاليا ليحاربوا حلفاءنا الأشرار الألمان ، يا لابسى القمصان السوداء اهتفوا « لتحيا أميركا » .

وهتف الجميع فى مرح : « ايحيا موسولينى » .. وضحك الجريح .

وصاح بى الجاويش : « استمر » . ولكننى كنت حزينا فلم أستطع أن أنطق ، وحاولت أن اعتذر للجاويش ولكنه هددنى بقبضة يده . وعندئذ لاحت بعض الفتيات الايطاليات ، والتفت اليهن الجميع .. وتقدم منهن الجاويش وصاح باحداهن : « هل نرقص يا سنيوريتا » .

وأخرج الزنجى آلة موسيقية صغيرة من جيبه ورفعها الى شفتيه وأخذ يعزف ، وابتدأ الجاويش الرقص مع احدى الفتيات، وسرعان ما نسى الجميع كل شىء الا الرقص . وجلست أنا على

الأرض بجانب الجريح وقلت له : « انهم ظرفاء •• ان الأمريكيين ظرفاء وأنا أحبهم » •

وقال الجريح : « والايطاليون أيضا ظرفاء ، لقد أحببتهم منذ نزلت ايطاليا ، ثم مد يده فأخذ يدى وضغط عليها ضغطا واهنا •• واحتفظت بيده بين يدى حتى أصبحت باردة كالثلج ، ونظرت فى وجهه •• وصاح الجاويش : « انه ميت » •

وصحت فى الراقصين ، فاقبلوا جميعا ونظروا فى وجهه ، وصاح الجاويش : « انه ميت » •

وقلت : « انه نائم •• لقد استغرق فى النوم دون أن يتعذب » •

وزأر الجاويش قائلا : « انك مسئول عن موته •• لقد قتلته يا أيها القذر » ثم ضم يده ولكمنى فى وجهى ، وصاح الجميع : « أيها القذر » ثم انهالوا على ضربا ولكما ، ولم أحاول أن أرد ضرباتهم أو أحمى نفسى من اللكمات ، ولم أنطق بكلمة •• لقد مات « فرد » دون ألم ، وقد كنت مستعدا أن أهب حياتى لكيلا يتعذب ـ لقد كنت ملقى على الأرض تحت أقدامهم ، وسعيدا لأنى منحت الموت انسانا دون عذاب •

وفجأة سمعنا صوت سيارة •• وصاح كامبل بعد أن ترجل عن السيارة : « ماذا هناك » ؟

وتراجع الجميع بعيدا عنى فى ســكون ، وتقدم الطبيب الذى كان يصحب كامبل وسأل مشيرا الى : « ماذا فعل هــذا الرجل الذى يسيل منه الدم » ؟

وقال الجاويش : « انه ايطــالى قذر ، لقد ترك الجريح يموت .. لقد منعنا من نقله الى المستشفى .. لقد تركه يموت فى الطين كأنه كلب » .

وســألنى الطبيب : « لمــاذا منعتهم من الذهــاب به الى المستشفى » ؟

وقلت : « لو نقلناه الى المستشفى لمــات فى الطريق بعد أن يعانى أشــد العذاب ، فلقد كان بطنه مشقوقا ، ولم أكن أريد أن يتعذب . وقد مات دون أن يدرى أنه يموت .. وكأنه طفل يستغرق فى النوم » .

ونظر الى الطبيب فى هدوء . ثم اتجه الى الرجل المريض ، ورفع البطانيــة ، ونظر نظرة طويلة فى الجرح الغائر المخيف ، ثم ترك البطانية واتجهت عينــاه الى ثم مد يده فمــددت يدى وصافحنى وهو يقول :

« أشكرك على عنايتك به .. أشكرك عن الجيش وعن أمه وأسرته » .

٤

كان الأمير كانديا وهو أحد أرستقراطيي نابولى قد أقـام حفلة عشاء دعا اليها بعض أصدقائه الأرستقراطيين والكولونيل الأمريكى وأنا .

والأمير بهذه المناسبة رجل نبيل حقا يتمتع بمكانة مرموقة بين مواطنيه ، وهـذه المكانة قديمة ترجع الى عام ١٩٣٨ حينما زار هتلر نابولى فرفض الأمير أن يحضر المـأدبة التى أقيمت تكريمة للفوهرر . وأصـدر موسولينى حينئذ أمرا باعتقـاله ثم بتحديد اقامته فى قريته ، وقد ارتفعت مكانة الأمير حين رفض هذه المرة أن يشترك فى الوفد الذى اختير لكى يسلم مفـاتيح المدينة للجنرال كلارك الأمريكى ، وقد قال الأمير انه ليس من عـادة نابولى أن تسلم مفتاحهـا لمن يغزوها ، فلما قيل له ان الأمريكيين محررون لا غزاة ، أجاب بقوله : كنت دائما رجـلا حرا والعبيد وحدهم هم الذين ينتظرون محررهم .

وجلسنا على مائدة الأمير ، وأخذنا نتحدث حتى سألت السـيدة ماريا تيريزا احدى نبيلات المدينـة الكولونيل جاك هاملتون قائلة : هل هناك كثير من الزنوج فى الجيش الأمريكى ؟

وقال الكولونيل : نعم هناك كثيرون .

وقال كونسيلو وهو ايطالى كان سفيرا لبلاده فى لندن زمنا طويلا : لقد أخبرنى أحد الضباط الانجليز أن هناك كثيرا من الزنوج الأمريكيين فى انجلترا نفسها وقال لى : ان السفير الأمريكى سأل مرة فى احدى المآدب سيدة انجليزية أرستقراطية عن رأيها فى الجيش الأمريكى فقالت : ان جنوده يعجبوننى ولكنى أتساءل لم أحضروا بينهم هؤلاء البيض الشبان .. لقد كانت السيدة تظن أن الجيش الأمريكى كله من السود .

وقال الكولونيل : « انى أعجب لماذا يفضل أهل نابولى صداقة الجنود السود على البيض » .

وأجاب الأمير فى هدوء : « لأن أهل نابولى قوم طيبون والسود طيبون كذلك » .

كنت أحس أن الحديث لا يعنينى ولذلك جلست ساكنا أسمع دون أن أتكلم ، وفجأة سمعنا صوتا فى السماء ، صوتا عرفته نابولى فى الأيام الأخيرة كثيرا ، لقد كان صوت طائرة ، وسكتنا جميعا ثم اهتزت الأرض وقمنا من على المائدة وفتحنا النوافذ فى سرعة .

وبدأت أصوات أخرى تقترب ، وكانت تتصاعد من البحر الساكن ثم تثب من منزل الى منزل عبر المدينة من شارع الى شارع حتى تراكمت أخيرا فى صرخة بشرية متألمة حادة الرنين .

وتراجعنا عن النوافذ ثم خرجنا الى الصالة التى تطل على الحديقة ثم البحر ، ومددنا أبصارنا الى هوة السماء الخضراء ومبانى الميناء التى تلوح كالأشباح والى بركان فيزوف ، وقد توسط القمر فوقه .. كان المنظر جميلا حزينا ..

وأحسست اقتراب الخطر كأن شيئا سيأتى من الخارج ليدمر روحى .. أستطيع أن ألمسه وأن أراه ، ومددت يدى لألمس يد كونسيلو كأنى أريد أن أخبره أن هناك خطرا مدمرا فى الأفق ، وأن علينا أن يشجع كل منا الآخر .

سقطت القنبلة قريبا منا على سور الحديقة الخلفى . وبعد بضع ثوان سمعنا الصوت المدوى لانهيار الحائط ثم أصواتا مختلطة مختلفة ، كان كل منها ينادى الآخر ، ثم سمعنا تلك الخطى المفزوعة المضطربة ثم أخذت هذه الأصوات تقترب . وعلى مدخل الصالة كانت جماعة كبيرة مذعورة من أهالى نابولى .

وعلى ضوء شمعدان يحمله أحد الخدم ويلقى ضوءا أحمر شاحبا على المدخل .. كانت تقف جماعة من النساء شبه عاريات .. لقد خرجن من الفراش الى الشارع ، وكن يسكتن برهة ثم يرتفع صوتهن فجأة كأنه عواء حيوان ، وكن جميعا يتلفتن بعيونهن نحو الباب الذى دخلن منه كأنهن يخشين أن يكون

الموت هو الذى ساقهن أمامه الى هـذا المكان ، وسيدخل هو بعد ذلك بوجهه البشع ، ليحصـدهن حصدا .. وأخذنا نحاول تهدئتهن دون جدوى ، وكان كثير منهن ما زلن شبه نائمات ، وكان الخجل يربكهن لأنهن عاريات تقريبا ، فكن يحاولن أن يغطين أكتافهن بأيديهن أو يحتمين وراء الأطفـال الذين كانوا ينظرون الينا فى ذعر ورهبة .

كان على المـائدة كومة من الصحف ، وأمر الأمير خدمه أن يوزعوها على النساء ليغطين بها أجسادهن العارية .

لقد كان هؤلاء جميعا جيران الأمير ، ورغم أن الدهشـة كانت تملؤهم لوجودهم فى هـذه الصالة الرائعة المموهة بالذهب والمزينة بصـور العصور الوسطى ، الا أنهم سرعان ما استردوا رباطة جأشهم ، وخاصـة بعد أن نثر الخدم الشموع فى أرجاء الصالة ، وأخذوا يتكلمون ، ويوجه بعضهم الشكر للأمير شكرا يا سنيور .. شكرا .

وأحضرت الكراسى ، وأمرهم الأمير فى صوت مرتفع أن يجلسوا ثم صب لهم الخدم النبيذ ونظر الأمير الى ثم قـال : « ليت عندى بعض الخبز لاطعامهم ، ولكنك تعلم أن الخبز قد أصبح نادرا هـذه الأيام » ، ولم أستطع أن أجيبه فأحنيت رأسى .

وعندما بدأ الخدم فى صب النبيذ فوجئنا برجل يخرج من بين الصفوف ثم يتجه الى المـائدة ويرفع بكلتا يديه احدى جرار النبيذ المليئة ثم يطوف بالنساء واحدة بعد أخرى ويملأ لكل منهن كوبها ثم يتجه الى الأمير ويقول فى صـوت ساخر : « بعد اذنك يا صاحب السعادة » ثم يملأ لنفسـه كوبا كبيرة ويجرعها مرة واحدة •

كان الرجل أحدب فى الخمسين من عمره ، ذا وجه نحيل وشارب صغير ، وكانت هيئته مضحكة ، وأخذت الأصـوات تعلو فى الصالة تنادبه « جنزيلو » • والتفت الأحدب الى الأمير ثم قال له بنفس الصـوت السـاخر : « بعد اذنك يا صاحب السعادة » ونظر الى النساء جميعا بأسى ، ثم اندفع يجرى فى الصالة ، وهو يلوح بذراعيه ، ويدق صدره بيديه المضمومتين ، كأنه يحـاول أن يمسك شيئا فى الهواء •• طائرا أو سحابة أو ملاكا أو زهرة ملقاة من نافذة ، وابتسمت احدى النساء ثم امرأة أخرى ثم أضاءت وجوههن البيضاء جميعا بالابتسام ثم قامت احداهن ووقفت أمامه وأخذت تجـارى حركاته ثم امرأة أخرى ثم ثالثة ثم قمن جميعا وأخذ الأحدب يقفز بينهن والجميع يضحكن ويرقصن حتى الأطفال •

وفجأة اهتزت الجدران مرة ثانية ثم انطفأت الشموع وأخذ الغبار يتراكم فى مدخل الصالة ، ثم سقطت بعض الجدران وسمع

صراخ ونحيب وعويل وصاح الأمير : « لا تخافوا .. لا تخافوا » وأسرع الخدم بانارة الشموع .. وكان هنـاك كوم من النساء ملقى على الأرض بلا حراك .. جامد الأعين ، وفى وسطهن كان الأحدب أزرق الوجه وقد تمزقت ثيابه وحالمـا أضيئت الأنوار أسرع فوثب فوق أجساد النساء وأخذ يجرى مذعورا خـلال البـاب .

وصاح مضيفنا : « لا تخافوا ، لا تخافوا لا تتحركوا من أمكنتكم » كانت النساء قد أخذن أطفالهن فى أيديهن وتدافعن نحو الباب فى رعب : « أين تظنون أنكم تهربون ؟ بينما مـد الخدم أيديهم وهم يحاولون ايقاف هـذا القطيع من النسـاء المندفع نحو الباب . وفجـأة سمع صـوت من بعيد ثم اقترب الصوت وظهر على مدخل الباب جماعة من الرجال يحملون فى ذراعهم بنتا صغيرة مغمى عليها .

وصاح الأمير بالخدم : « دعوهم يدخلون » . وتقدم بنفسه ليشق لهم طريقا وهو يدير عينيه فى الصـالة ليتخير لهم مكانا يستطيعون فيه أن يرقدوا الصبية الصغيرة .

ومد يده الى المـائدة ، وأخذ يزيح الزجاجات والأكواب التى تناثرت الى الأرض متحطمة حتى أوسـع مكانا للفتاة ، ثم قال : « ضعوها هنا » .

وعندما مدد الرجال الفتاة على المـائدة تبين لهم أنها ميتة. كان أحد ذراعيها ملقى الى جانبها بينما انعقد الآخر على ثديها الأيسر الممزق . ولكن ميتتها الشنيعة لم تمح من وجهها صفاء العينين ولا ابتسامة الفم . كان كل شيء فى جسدها ووجهها باردا ما عدا الابتسامة والنظرة كانتا كلهما حياة وتألقا . وكان جسدها الملقى على المـائدة يلقى فى المكان كله ظلالا من الهدوء والسـلام .

وتقدم مضيفنا فجس نبضها واتجهت اليه جميع العيون كأنه هو وحده الذى يستطيع أن يقرر مصير الفتاة التعسة ، وحين قال : « لقد اصطفاها الله » ارتفعت أصـوات البكاء والعويل وأخذت النسـاء يشـددن شعورهن ويلطمن الوجوه ويصحن باسمها « كونشتى كونشتى » .. كانوا جميعا يعرفون الفتـاة ويحبونها .. وتقدمت امرأتان عجوزان الى الجسد الملقى على المـائدة ، ثم أخذتا تقبلان ذلك الجسد ، وتعانقانه فى شـبه جنون ، وهما تصيحان « قومى يا حبيبتى قومى » كانت المرأتان تعانقان الجسد وتقبلانه فى عنف وجنون ويأس ، وكانتا تصيحان فى تفجع وقسوة حتى توقعت أن أراهما فى النهاية تنهالان على الجسد الميت ضربا .

وصاح مضيفنا : « خذوها الى حجرة داخلية » ثم تقدم فدفع المرأتين الباكيتين ، ورفع الجسد الميت بين يديه فى رقـة ووضعه فى أيدى الخدم الذين حملوه الى غرفة داخلية .

كانت الفتاة الصغيرة الميتة شبه عارية •• ولف مضيفنا جسدها بمفرش المائدة والخدم يقبلونها بين أيديهم ثم تقدمت ماريا تيريزا وقالت له : « استرح أنت ودعنى أتم هذا العمل » وسارت ماريا تيريزا وراء الخدم ومعها بعض النساء •

كان الفجر قد أشرف على البزوغ ، والسماء على امتدادها تهتز بنسيم الصباح والطيور وحفيف الأشجار وبركان فيزوف من بعيد ، ونقوش الأرابيسك فى الصالة ومدخل غرفة المائدة التى استلقى فيها الجسد الميت أمام ناظرى •

كان منظر غريب يلوح لى من خلال باب الغرفة ؛ لقد استلقت الفتاة الصغيرة عارية تماما •• وكانت ماريا تيريزا تغسل جسدها وتجففه يعاونها بعض النساء يحملن لها حوض الماء وزجاجات الكولونيا وقطعة الاسفنج وكان كل شىء فى الغرفة ينعكس على وجه الفتاة • نور الشمعدان الشاحب وانعكاس المرايا والنجف والصينى وضوء الفجر الشفاف وكان كل ما حولنا ساكنا ، حتى بكى طفل فبكت بعض النساء فى هدوء دون صوت •

فى ذلك الحين كانت النساء فى الغرفة يضعن على الفتاة ثيابا حريرية جميلة ويزينها ويمشطن شعرها ، وتسللت بعض النساء الأخريات من الصالة الى غرفة المائدة ، ثم وقفن أمام

الفتاة الميتة ، وهن يصحن : « ما أجملها ما أجملها » ، وتقدمت واحدة فركعت أمام المائدة وتمتمت بالصلاة وتبعتها أخريات ، وصاح صوت واهن فى شغف : « انها معجزة .. انها معجزة » .

وتلقف الآخرون الكلمة « معجزة .. معجزة » وابتعدوا قليلا عن المائدة كأنهم يخشون أن تلوث هلاهيلهم وأسمالهم القذرة روعة المعجزة ، ومن شفة الى شفة ومن غرفة الى أخرى ومع الصباح كان كثير من الفقراء من « فيكو لادل بالنو » وغيرها من القرى المجاورة يتجمعون أمام الباب ليشاهدوا روعة المعجزة . وكانت بعض النساء العجائز يحملن الشموع المضاءة وينشدن التراتيل .. وتبعتهن نساء أخريات وأطفال بلا عدد يحملون الزهور البيضاء والحلوى التقليدية التى يأكلها أهل نابولى فى الأعياد الدينية ، وكان بعض النساء يحملن أوانى النبيذ أو سلال الليمون .. وبعد قليل جاءت نساء يصحبن معهن أطفالا مشوهين وعرجا وعميانا ومرضى ووقفن جميعا أمام الباب فى انتظار المعجزة .

***

قبل هذا اليوم بأيام قليلة كان الجنرال كلارك الأمريكى قد أقام مأدبة عشاء تحية لمسز فلات وهى سيدة أمريكية تعمل فى الصليب الأحمر وتشرف على كثير من أعمال الخير .

والجنرال كلارك رجل حازم جاد ، ولكنه يجب أن تزدان مائدته فى كل وليمة يقيمها بصنف غريب من الطعـام ، ولمـا كان حوض الأسـماك فى نابولى مليئا بالأسماك الغريبة ، فقد تعود الجنرال كلارك كلما زاره زائر ذو أهمية أن يزين مائدة الطعام بصنف غريب من السمك •

وفى تلك المرة نادى الجنرال كلارك طباخه وأمره أن يختار نوعا غريبا من السمك كالعادة ليكون فى وسط المـائدة ، وقال له الطباخ انه لم يبق فى الحوض ـ بعد الولائم التى أقامهـا الجنرال لتشرشل وفشنسكى وغيرهما ـ الا عروس البحر •

وسأله الجنرال : « وهل طعمها لذيذ ؟ » وأجابه الرجل : « لذيذ جدا يا سيدى الجنرال » وجلسنا على المـائدة فى انتظار الطعـام وتقدم الطبـاخ والسفرجى فوضعا صحنا كبيرا أمام الجنرال والمسز فلات ، ثم تأخرنا خطوتين وما كدنا ننظر فى الصحن حتى شحب وجهنا وندت صرخة فزع من شفتى المسز فلات وتراجع الجنرال فى مقعده •

كان فى الصحن فتاة صغيرة فى الثامنة أو العاشرة من عمرها أو ما يشبه فتاة صغيرة أكبر الشبه ، وكانت عيناها مفتوحتين وشفتاها نصف مغلقتين ، وكانت عارية تلمع بشرتها الداكنـة كما يلمع ثوب المسز فلات الغامق وكان جسدها ناميا •• صدرها

وعجزها حتى ليخيل اليك أنها فى الخامسة عشرة من عمرها ، ولكن الطهى والغليان كانا قد هدلا تماسك جسدها . وكانت هذه أول مرة فى حياتى أرى فيها فتاة صغيرة بعد طبخها ، ولذلك فقد عقد الرعب لسانى مثلما عقد لسان الجميع .

وقال الجنرال كلارك فى صوت مرتعش : « ولكنها ليست سمكة .. انها فتاة صغيرة » . وقلت : « لا .. هى سمكة » .

وسألنى الجنرال : « هل أنت واثق أنها سمكة ؟ سمكة حقيقية » .

وأجبته : « نعم انها سمكة .. انها عروس البحر الشهيرة التى أهديت للملك ايطاليا من بحار الحبشة » .

وصاحت المسز فلات : « ابعدوا هذا الشىء الفظيع عنى.. أنا لم آت الى أوربا لأكل الفتيات الصغيرات » .

وقال الجنرال كلارك : « ولكنها سمكة .. ليست فتاة صغيرة فقد أكد لنا مالبارتة انها سمكة » .

وأجابت السيدة الأمريكية فى صوت بارد : « انى لا أصدق تأكيداتك ولا تأكيدات صديقك مالبارتة .. هل جئت الى أوربا لأكل لحم الفتيات بالمايونيز ؟ أرجوك .. ارفع هذا الصحن عن المائدة » .

وصاح الجنرال كلارك فى الطباخ : ارفع هـذه الفتاة .. أقصد هذه السمكة عن المـائدة .

وفجأة صاح أحد الجالسين على المـائدة واسمه الكولونيل براون وهو من كبار الوعاظ فى الجيش الأمريكى : « ينبغى أن ندفنها .. هذه الطفلة المسكينة » .

وصاحت مسز فلات : « ماذا » ؟

وقال الواعظ : « لقد قلت ندفنها » .

وقال الجنرال فى دهشـة : « ولكنها سـمكة يا صاحب القداسة » .

وأجاب الواعظ : أتتم تقولون انها سمكة .. ولكنها تشبه الفتاة الصغيرة أشد الشبه .. ومن واجبنا أن ندفن هـذه البنت الصغيرة .. من واجبنا كمسيحيين ألسنا مسيحيين ؟

وقالت مسز فلات : « انى أميل الى رأى صاحب القداسة ».

ووجدت الفرصـة سانحة للتدخل فقلت : ولكن ليست هناك مدافن للسمك فى نابولى ، ان أهل نابولى يأكلون السمك ويدفنون الناس ، ولكنهم لا يأكلون الناس ويدفنون السمك .

وقال الواعظ وكأنه لم يسمع كلامى : نستطيع أن ندفنهـا فى الحديقـة .

وأحنى الجنرال رأسـه موافقا وأطرقت المسز فـلات ثم انحدرت الدموع فى عينيها وصاحت : شكرا لله .

جريتـــا

تـــأليف

ارســكين كولدويـــل

نشرت فى مجلة صباح الخير من ١٤/٧ الى ٥/١٢/١٩٥٧

ارسكين كالدويل

بزغ اسم كالدويل فى الاربعينات معبرا عن ازمة المجتمع الأمريكى خلال اوائل الثلاثينات ، او ما سمى بالانهيار العظيم . وعن هـذه الفترة اخرج روايتيـه « طريق التبغ » و « ارض الله الصـغيرة » ثم ما لبث ان اتجـه الى تصـوير المجتمع الجنوبى ، وما يعانيه من تخلف حضارى يتجلى فى مظاهر التجربة العنصرية او الشعوذة الدينيـة .

واخيرا ، فهو يتجـه فى هـذه الرواية الى دراسة امراة مقضى عليها .. بالرذيلة .

كان رذاذ ثلج الشتاء يعلن مقدم الفصل القاسى ، والريح الشمالية تهب باردة بطيئة حين خرجت جريتا من عملها فى طريقها الى المنزل ، ظلام الأصيل الواهن .

وكان الجو قد ابتدأ فى الاظلام منذ الرابعة فى هذه المدينة التى لم تر صفاء الشمس منذ أيام ، والمــارة فى الطريق يعدون كأنهم على موعد مع الدفء فى المنزل ، نســاء يحملن ربطــات البضاعة التى ابتعنها فى أول الأصيل . رجال وصبيان وكلهم يسرع الخطى ، ولا أحد يلتفت الى الآخر ، وكانت جريتا تعدو مثلهم ، وقد تورد خداها بالبرد .. ان اليوم الجمعة .. وغدا وبعد غد هما عطلة الأسبوع ، وعطلة الأسبوع تدفع فى نفسها الاحساس بالوحدة عميقا عميقا .. وارتعشت جريتا من البرد ، أو خوفا من الوحدة المرتقبة .

كانت جريتا تعمل موظفة فى شركة الجــاز ، وتعيش وحيدة فى مدينة « يونيو نفيل » فى شقة مكونة من غرفة ومطبخ صغير ، وقد مات أبوها فى حادث سيارة وهى فى الثامنة وتزوج اخوتها الكبار وهم كثيرون ، وهى الآن فتاة وحيدة فى الثالثة والعشرين.

وفى خلال السنة التى أقامت فيها جريتا فى هــذه المدينة

« يونيونفيل » تعرفت بعدد من الفتيات ولكنهـا لم تستطع أن تكون صديقة لأى منهن ، ورغم أنها لا تذكر أشياء كثيرة عن أبيها وأمها الا أنها تعرف أن الحنـان الذى كانت تلقاه منهما .. كأصغر الأبناء ، لا يمكنها أن تجد مثله من أحد .

وفى أثناء سير جريتا اصطدمت برجل واعتذر لها الرجل مسرعا ، لقد كانت تتمنى ان يطول اعتـذاره ، وأن يتحدثا ، وأن يذهبا معا الى مكان دافىء .. وأن تحبه ، وتهبه حياتها .. ولكنها لم تستطع تبين وجهه .

ان تجاربها مع الرجال منذ حلت هـذه المدينة تجـارب غريبة .. هما تجربتان ، أولاهما مع دان أويل أحد زملائها فى العمل ، لقد خرجا الى السينما مرتين وجلسا فى عربته متجاورين بعد السينما ، ولكنه لم يقبلها أو يعانقها قط .. وقد كانت كل مرة تتوقع أن يطارحها الحب قبل أن ينتهى الليل .. وفى الموعد الثالث سألت دان أن يصحبها الى المنزل ، ولمـا أصبحا فى غرفتها تخلت عن كل تحفظها وعانقته ولكنه ظل ربع ساعة وهو يمـانع أن تقبله ، وكان ينبغى عليها حينئذ أن تتراجع ولكنها ــ لسبب لا تدريـه ــ تمـادت ، وحاولت أن تستثيره بشتى الطرق ، فلم تفلح .

وأخـيرا صاحت به : « اخرج من المنزل .. انك لسـت رجلا » .. ثم قذفته بمنفضـة التبغ ، وخرج دان وهو يقول

بصوته الرقيق : « انى لم أشهد أبدا امرأة مثلك . انك متوحشة » !

أما تجربتها الثانية فهى أشد غرابة ، ان تجربتها الثانية مع رئيسها فى العمل جرادى ستانتون ، لقد داعبها مرة ، وقال لها انه يتشوق الى أن يخرج معها فى عطلة آخر الأسبوع الى الريف ، ومر على هذا الوعد حوالى عام ، ولم يتحقق وهى تعرف أن جرادى متزوج وله أولاد فوق العشرة ، ولكنها ما زالت تنتظر ، وما زال هو يكرر وعده .. دون تحقيق .

كانت جريتا فى عطلة آخر الأسبوع تذهب وحيدة الى السينما وكانت تبكى وتجز بأصابعها على أسنانها حين تشهد قصة غرامية على الشاشة ، وكانت تتخيل نفسها البطلة التى تتمنع على البطل فى أول الأمر ثم لا تلبث أن تصبح مستعبدة له ، وكانت واثقة أنها تستطيع أن تمنح من الحب والحنان ما لا تستطيع أى فتاة من فتيات الشاشة أن تمنحه ، وكانت أحيانا تتخيل نفسها زوجة لرجل رشيق أنيق واسع التفكير وأنها ترتعش لجواره ، وكانت تفيق من تلك الأحلام لتجد نفسها ملقاة على مقعد وهى تبكى مكسورة القلب .

وفى هذه الليلة أحست جريتا أنها لا يمكن أن تعود الى المنزل لتعانى من الوحدة والبكاء ، ان عليها أن تجد أنيسا .

انسانا يقول لها انها جميلة ، ويداعبها وتشعر بقربه بالدفء الذى يتمتع به جميع الناس فى غرفهم وراء الجدران •

ودخلت حانة « راوندابوت » ولم يكن فى الحانة نساء غيرها ، لم تكن تقصد أن تدخل هذه الحانة بالذات ، ولكنها انتبهت وهى فى طريقها فجأة فوجدت نفسها متجهة الى المنزل ، وهى لا تكره شيئا فى الحياة قدر هذا المنزل ولياليه الموحشة الطويلة ، ودون حماس ولجت جريتا باب الحانة •

لقد كانت هذه الليلة ليلة فاصلة فى تاريخها • ففى مدينتها الصغيرة عرفت الرجال وهى فى العاشرة من عمرها ، كان أبوها وأمها قد ماتا وكانت هى تقيم فى منزلها بين اخوتها الكبار ، لم يكن أحد يعنى بها ، وذات يوم قابلها رجل وداعب شعرها فابتسمت له ، ثم اشترى لها بعض الحلوى وأعطاها قطعة صغيرة من النقود وسألها أين أنت ذاهبة يا طفلتى الجميلة ؟ •• وقالت له : « انها ذاهبة الى المنزل » ، وان كانت لا تريد ذلك ، وصحبها الرجل الى منزله وأعطاها قطعة أخرى من النقد ، وأسمعها الموسيقى •• واسترخى هو على سريره ، ثم أمرها أن تخلع جواربها ، فجلست على الأرض بجانب سريره ومدت يدها فكومت جوربها الصوف فى قدمها ثم رمته الى الأرض ، وابتسم الرجل وقال لها « ان طريقتك فى خلع الجورب مثيرة » !

هكذا كانت كلماته ، وبعد ذلك أعطاها قطعة أخرى من النقد لتخلع ملابسها .

كانت هذه الذكريات تداعب رأس جريتا حين جلست على الكرسى الطويل أمام البار منهكة وحزينة ، لقد كانت ترتعش خوفا من أن يقضى عليها فى هـذا المساء أيضا آن تعود الى غرفتها الكئيبة لتعانى الوحدة والبكاء المرتجف ، وحين نظرت فى المرآة الممتدة أمامها وجدت حوالى ستة أو سبعة من الرجال يحتسون كئوسهم على البار مثلها ، ولم ينظر اليها أحد منهم ، يعرض عليها أحد صداقته ، كان كل منهمكا فى شرب كأسـه ، وكان بعضهم يحدق فى قرارة الكأس ، وبعضهم ينفث الدخـان فى شراهـة وعصبية .. انهم جميعا منهكون ووحيدون مثلها ، فلمـاذا لا يعرض عليها أحدهم صداقته .

وشربت كأسـا من الويسكى ، وطلبت آخر ، وجاءهـا « فيل » خادم البار ، وحياها وسألها : ما اسمك ؟

ـ جريتـا .

ـ انك لم تحضرى هنا من قبل .. أليس كذلك ؟

ـ نعـم !

ـ يكون جميلا لو حضرت كل يوم .. ان المحل بحاجة الى سيدة جميلة لكى تجتذب الزبائن !!

وكان يجب أن تغضب ، ولكنها ابتسمت ، وقالت شكرا لك ، وأنت ما اسمك ؟

ــ اسمي فيل ، ان الجميع هنا يعرفونني .. وبعد قليل تقدم رجــل ناحيتها ، وجلس على المقعد المستطيل بجوارها ، وصاح : « هالو .. هل تودين أن تعرفي فيم كنت أفكر ، وأنت جالسة على البار وحيدة » ؟

ولم تجب ، ولكنه استطرد قائلا : « أنت وحيدة وأنــا وحيد ، ومن الواجب أن نجلس معا لكي يسرى كل منا على الآخر » .

واستجابت لحديثه ، وشرعا في الكلام ، وأخيرا قال لها : « ان لدى عربة ، وهي واقفة في الخــارج ، فدعينا نأخذ بعض الشطائر ونذهب الى أي مكان » .

وسألته : أي مكان ؟

وقال لها : لنذهب الى منزلك .

كانت تريد أن تقول ان علاقتهما لم تتوثق بعد ، وان من العسير عليها أن ترضخ بهذه السرعة ، ولكنها خشيت الوحدة وبرد الليل فالتفتت اليه في حيرة مشــوبة بالسرور ، ثم أطرقت رأســها .

وحين أصبحا فى المنزل تحدثا فترة قصيرة من الوقت جلست جريتا على الأرض ومدت يدها لتخلع جوربها فكورته فى قدمها ، ثم ألقت به بعيدا وقال لها الرجل :

ــ ان هذا لغريب يا جريتا ، انك تخلعين جواربك بطريقة مثيرة ! ان رجلا ما سوف يتزوجك فى الحال حين يراك تخلعين جوربك بهذه الطريقة .

فى تلك الليلة لم تشعر جريتا بالوحدة ، وخرج الرجل الغريب من غرفتها فى الصباح ، لقد ترك لها هدية .. مقدارا قليلا من النقود ، ولم تره بعد ذلك .

وبعد تلك الليلة ، كل ليلة ، كانت جريتا تذهب الى حانة « راوند أبوت » وتجلس قليلا ثم ما تلبث أن تصطحب رجلا الى غرفتها وكانت كل ليلة تجلس الى الأرض ، ثم تخلع جواربها وتزحف نحو السرير .

وذات يوم تحققت نبوءة الرجل الغريب ، وعرض عليها الزواج رجل حين رآها تخلع جواربها .. كان هذا الرجل هو الدكتور « جلين كنورثى » أحد أطباء مستشفى المدينة .

وكان طبيعيا أن تعترف جريتا للدكتور جلين بكل حياتها ، وسامحها جلين ، وقال لها : « ان كل انسان لابد أن يرى فى

حياته الكثيرين قبل أن يهتدى الى الانســان الذى سيشاركه حياته » وقال لها أيضا ، انه لا يأبه للماضى ، وان كل ما يهمــه هو المستقبل .

كانت جريتا سعيدة لزواجها من جلين ، وأحبت هى هــذا الرجل الكريم الذى عرض عليها اسمه ، والذى حاول فى خلال الشهر الذى توثقت فيه علاقتهما قبل الزواج أن يبعدها عن ماضيها ، وأن يقطع كل صلة بينها وبينه .

وتزوجا وسافرا فى رحلة شهر العسل الى ضاحية قريبــة ، ونزلا فى فندق صغير ، وكانت أيامهما فى هــذا الفندق مليئة بالسعادة والسرور ، وكانت لياليهما مليئة بالمتعة . عندما يكتشف انسان أن انسانا يحبه ، وأن كل ما يفعله يجلب له السعادة ، فانه لا يضن عليه بشىء .

وذات ليلة كانا ينامان متجــاورين ، وكان الليــل هادئا حولهما ، وفجأة قامت جريتا مذعورة .. كانت تصرخ وتنشج ، وسألها جلين : « ماذا حدث يا جريتا » ؟

فأجابته : « لقد رأيت حلما .. مفزعا » .

ابتسم لها جلين ، وربت على شعرها وقال لها : « حدثينى بكل شىء عن هــذا الحلم المزعج ربما لا أستطيع أن أفسر لك

تفســيرا علميا ، ولكنى قد أستطيع أن أخبرك ببواعث هــذا الحــلم » .

ونشجت جريتــا وهى تقول : « لا أستطيع أن أقصــه عليك .. لا أستطيع » .

ثم نظرت اليه بعينين منــديتين بالدمــوع وقالت : « ألن تتركنى يا جلين ؟ ألن تتركنى مهما حدث » ؟

وقال لها جلين وهو يقبلها فى رقه « لا ! لن أتركك مهما حدث .. سأظل أحبك دائما .. سأظل أحبك مادمت تحبيننى .. لا تتخلى أنت عن حبى اذا شئت لى أن أعيش .. لو تركتنى أنت فسأموت » !!

وعانقته جريتا ، وخبأت رأسها فى صــدره ، وهى تصرخ « الحلم ! الحلم » !

وقال لها جلين فى توسل : « أرجوك أن تقصى على هــذا الحــلم » .

ومسحت جريتا عينيها وهى تقول « لقد حلمت أنك تركتنى ، أنك قلت انك لا تريدنى كانت عباراتك التى قلتها هى : لا أريد أن أراك مرة ثانيــة ، وقد حدث ذلك فى نفس هذا المكان فى شهر العسل هــذا الذى نقضيه الآن .. لقد كان ذلك لأننى فعلت شيئا .. ارتكبت عملا طائشا مع رجل آخر .. لقد كنت

فى الحلم واثقة أننى قد دفعت الى هـذا العمل دفعا ، دفعنى شىء لا أدريه ، شىء أقوى منى لا أستطيع قهره ، ولكنك لم تقدر ذلك ، وطردتنى شر طردة ، لقد كان ذلك فى الحلم » .

وأخذ صوتها يتحشرج ، وانخرطت فى البكاء .

وقال لها جلين : « ان ماضيك قد انتهى يا جريتـا ، اننا نعيش فى حاضرنا الجميل ، وقد غفرت لك كل شىء .. انى أحبك أكثر من الحياة » .

وقالت جريتا : « انك قد غفرت لى ما قلته لك ، ولكن هناك أشياء لم أقلها .. لقد دخل أول رجل حيـاتى وأنـا فى العاشرة كما حدثتك من قبل ، ومن يومها وأنـا أعرف الرجال . بلا نهاية ، ولا أظن أنه ستكون نهاية .. كلما انفردت برجـل ينتابنى احساس غريب . كأنى عطشى وأمامى المـاء ، كأنى جائعة وهذا طعامى ؟ وهـذا ما يجعلنى أخشى أن يتكرر هـذا مرة ثانية ، انى لا أذكر عدد الرجال ولا وجوه معظمهم وأسماءهم .. انى شقية معذبة .. لمـاذا اختارتنى السماء لهذا المصير .. لقد كان الحلم مفزعا لأنه كان صورة من الحقيقة » !

وقام جلين من جانبها ، ومد يده فأشعل سيجارة ، وصب لنفسه قدحا من الخمر ، وكان وجهه مربدا وعيناه محملقتان ، ثم قال لها : « لا تخافى يا جريتا ؟ انى معك دائما ، وسأحاول كطبيب أن أعالجك » ثم استدار اليها واحتضنها وهو يقول :

« انى أحبك يا جريتا •• أحبك •• لن أتركك أبدا مدى حيــاتى » •

بعد أسبوعين عادت جريتا وجلين الى المدينــة واستأجرا شقة صغيرة أنيقة فى أحد الشوارع الهادئة ، ثم أقاما أول حفل استقبال لزمــلاء جلين فى المستشفى ، وكان كل طبيب يصحب زوجته معه ما عدا الدكتور ريود فيلمور •• كان الدكتور ريود يصحب معه نورما تانر كبيرة الممرضات فى المستشفى وصاحبة أكبر نفوذ فيها •• كانت تقاريرها عن ســلوك الأطباء هى التى تحدد مصيرهم •

كان الدكتور ريود فى نحو الأربعين من عمره رجلا قوى البنية غامق الشعر ، وكانت له ابتسامة غامضة تتخايل دائما على شفتيه ، وحين ابتدأت الحفلة وشرب الجميع بضــع كئوس من الكوكتيل لاحظت جريتــا أن ريود يتابعهــا بنظراته وينتهز الفرصة للاختلاء بها •

جلست جريتــا على المقعد الطويل بعد آن قالت لزوارها « ليتصرف كل منكم كأنه فى بيته » وما لبثت أن رأت ريود نحوها ثم يزاحمها ليجلس جنبها •

سألها ريود وابتسامته الغامضة على شفتيه : ألم ير أحدنا الآخر من قبل ؟ وأجابته جريتا فى هدوء : « متأسفة لا أذكر » •

وسألها فى جرأة : « كيف لا تذكرين ذلك يا جريتا .. لقد تقابلنا فى « الرواند أبوت » وذهبنا الى المنزل .. الى منزلك وخلعت جواربك وثيابك .. أوه .. انك مثيرة وأنا لا أنسى ذلك أبدا .. لقد قلت لى انك أحببتنى وانى أستطيع أن أراك كلما أردت » .

وحدقت جريتا فى وجهه مذعورة .. فكانت تحـاول أن تتذكره ، ولكنها لم تستطع .. لاشك أنه صادق فى كلامه ، ولكن ما باله لا يرحمها ويريحها من هـذه الذكريات المؤلمة ، وقالت جريتا وهى تهم بالقيام من جانبه : « لا أذكر شيئا .. قلت لك لا أذكر شيئا .. لابد أنك مخطىء » .

وجذبها ريود من ذراعها فى عنف وقال لها : « اجلسى .. سنتفق على أن نلتقى ثانيـة وأن نستأنف السعادة التى مارسناها ذات ليلة » .

وقالت له جريتا فى غضب :

« انك مخطىء .. أرجوك أن تدعنى أنصرف » .

وقـامت جريتا متجهـة الى المطبخ ووقفت تمـلأ بعض الأقداح .. كانت تتوقع مجيئه خلفها ، وحاولت أن لا تلتفت الى الخلف ولكنها فوجئت بيديه على كتفها ، والتفتت اليه غاضبة ، ولكنه مال بجسمه عليها ، وقال لها : لن أستطيع أن أستغنى

عنك .. انى أنا الرجل الذى يلائمك . أما هـذا الرجل جلين كنورثى فهو لا يصلح لك .. انك امرأة مثيرة .. كل من عرفك لا يستطيع أن ينساك .

وروعت جريتا لحركاته ثم وجدت نفسها دون وعى وقد رفعت يدها وصفعته على وجهه ، وانتبه الجميع على صـوت الصفعة ، وتعلقت عيونهم بجريتا وريود ، وكانت جريتا ترتعش واتجهت الى زوجها ، وقالت له فى همس :

« لقد صفعت أحد ضيوفك على وجهه » .

وسألها جلين : « لمـاذا يا جريتا » ؟

وقالت جريتا فى رجاء : « أرجوك لا تطالبنى بالسبب » .

ولف جلين ذراعه حولها ، وهو يقول « لابد أن هنـاك سببا معقولا لمـا فعلت » .

أما ريود فقد اخترق الزوار غير عابىء .. ولم يتحدث الى أحد حتى وصل الى المـائدة التى كانت جريتـا وجلين يقفان وراءها ، ثم استند الى المـائدة بقبضتى يديه وقال :

ـ لقـد صفعتنى زوجتـك يا دكتور !! أتـدرى مـاذا سأفعل ؟ .. سأنصرف حالا .. ولكن هب هـذا حدث لك يا دكتور .. ماذا كنت ستفعل ؟

ولم يجب جلين .

وسأله ريود فى صوت واضح .. وابتسامته الغامضة على شفتيه : « لماذا لا تجيب عن سؤالى يا دكتور » ؟

وتصاعدت همهمة الحاضرين ، ورفعت جريتا يديها ، وغطت بها وجهها ، والتفت ريود الى نورما التى صحبته الى الحفلة ، وقال لها : « هيا بنا يا نورما » وأخذت نورما معطفها ثم وضعته على كتفها وتهيأت للانصراف .

وفجأة وقف ريود وهو يقول : « لماذا تغطين وجهك بيديك يا جريتا ؟ انه أنا الذى صفع على وجهه لا أنت .. ويجب عليك كمضيفة أن تسمحى لى أن أشكرك قبل أن أنصرف .. ولكن الوداع يا جريتا .. بل الى اللقاء .. سأراك ثانية .. ربما رأيتك ثانية فى حانة راوند أبوت .. أتذكرين » .

ثم التفت ريود الى جلين وقال : « الى اللقاء أيها المخدوع .. ألسنا جميعا مخدوعين ؟ الى اللقاء » .

وسكت جلين ولم يجب ، ولكن ريود استطرد قائلا : « ألسنا مخدوعين .. وأنا وأنت يا جلين .. لقد خدعت جريتا كلانا..أنا قد قضيت معها ليلة وأعطيتها عشرة دولارات.. ماذا أعطيتها أنت حين قضيت معها الليلة الأولى ؟ عشرة دولارات أيضا ؟ ولكن أرجوك لا تسىء فهمى » !!

واحمر وجه جلين بالغضب وكاد أن يتقدم الى ريود لولا أن حال بينهما الزملاء وسحبت نورما تانر ذراع ريود واتجهـا الى الباب .

وفى تلك اللحظة انسحبت جريتا الى غرفة النوم ، وارتمت على السرير تبكى ، وتبعتها زوجات الأطباء المدعوات ، وظل جلين مشغول البال بحالها ، حتى تفرق الضيوف واستأذنوا فدخل اليها فى غرفتها .

واقترب جلين من جريتا فوجدها منكفئة على وجهها فوق السرير وصوتها يجهش بالنحيب المكتوم . وعندما جلس بجوارها على السرير لفت ذراعها حول وسطه مثل طفل مذعور ، ثم أخذت تبـــكى .

وقال لها :

ـ جريتا .. أرجوك أن تتكلمى .. ان الكلام سيساعدك كثيرا .

وهزت جريتا رأسها ولم تنبس بحرف .

وأعاد جلين رجاءه فى لهفة ، وقالت جريتا :

ـ لا أستطيع أن أتكلم الآن .. لا أستطيع أن أنظر الى وجهــك .

ـ ولكنى أريدك أن تنظرى الى وجهى يا جريتا ، ليس الأمر على هــذه الدرجة من السوء ، انى مازلت أحبك ولن يغير من حبى ما قاله سكير مأفون فى لحظـــة طيش •• لا تدعى هذه التوافه تعكر عليك مزاجك •• لن يصدق أحد ما قاله هــذا الســكير !

ـ لابد أنهم سيصـــدقونه •• ان ما قاله كله صـــدق •• ولذلك فهو فظيع •• انى أتمنى لو كنت قدمت من قبل !

ومسح جلين رأسه فى شعرها ثم قبل الدموع التى انهارت على خديها ثم قال : « لا يهمنى ان كان هــذا صحيحا أم غير صحيح انــك الآن زوجتى •• وأنــا أريـــدك أن تنظـــرى لى يا جريتا » •

وصاحت جريتا : « اننى امرأة فاسدة •• امرأة فاسدة » •

ثم استطردت وكأنها تحدث نفسها : « لمــاذا كنت فاسدة الى هذا الحد ؟ انى لا أريد أن أكون كذلك •• لم أرد قط أن أكون فاسدة » •

وقاطعها جلين قائـــلا : « ان هنـــاك شيئا واحدا يعنينى يا جريتا •• وهو أنك تحبيننى الآن وأنك زوجتى » •

وسألته : « أنت اذن مازلت تريدنى رغم ما سمعت » •

وأجابها : ان ما سمعته كله أعرفه من قبل ولن يتأثر حبى لك أبدا .. وأنا أقصد كل كلمة مما قلت يا جريتا .

وهمست جريتا وقد ثوى جسدها فى صـدر جلين : انى أحبك .. أحبك جدا .

وقال لها جلين : اذن كفى عن البكاء ودعينا نستأنف حياتنا فى هدوء .. ان كل شىء سيعود كما كان .

***

بعد ثلاثة أيام من هذا الحادث قدم ريود فيلمور استقالته من المستشفى ، وحزم حقائبه وأدواته استعدادا للرحيل الى بلد آخر يستأنف فيه حياته .

وكان الجميع يعلمون أن ادارة المستشفى قد قررت بناء على تقرير قدمته نورما تانر أن توعز الى الدكتور ريود فيلمور بتقديم استقالته . وفى خـلال هـذه الأيام القليلة التى سبقت استقالة ريود كان يتوق أن يقابل زمـلاءه أو يتحدث معهم ، وكان يقضى وقته فى حجرته الخاصة يشرب ويقرأ .

أما جلين فقد ذهب فى ذلك اليوم الى بيته ، وقال لجريتـا ان ريود قد استقال ، ولم تعلق جريتا بشىء على الأمر ، وان كانت قد أخذت تفكر فى وقع هـذا الخبر على زملاء جلين فى المستشفى .

وعندما انتهيا من تناول العشاء عرض عليها جلين أن يذهبا الى السينما ، ولكنها ظلت صامتة ، وعندما ألح عليهـا رفضت ، وقالت : ان السينما تضر بأعصابها ، ثم بدأت تبكى فى صمت .

والتفتت جريتا بعد قليل الى جلين وقالت : لقد عرفتك لمدة شهر قبل الزواج وقد مضى شـهر على زواجنـا : أتعرف ماذا حدث ؟ .. لقد شعرت بالاطمئنان لأول مرة فى حياتى . وهـذا هو الشعور الذى كنت أطلبه دائما .. ها أنا ذى أحس به .

وقضيا تلك الليلة فى منزلهما .

وفى اليوم التالى كان جلين فى المستشفى فى فترة بعد الظهر وفجأة ظهر ريود فيلمور على باب شقة الزوجين وكانت جريتـا وحدها فى الشقة ، وحين دق جرس الباب اتجهت جريتا اليه ، دون أن تعلم من عساه يكون الطارق .. وحينما فتحت الباب طالعها وجه ريود وعلى وجهه ابتسامته الغامضـة ورائحة الخمر القوية تهب من فمه وكانت عيناه محمرتين كأنه لم ينم منذ أيام .

ولم تستطع جريتا لدهشتها أن تقفل الباب ، ودفعه ريود فى قوة فانفتح ، ثم خطا فى سرعة الى الداخل ، وكان يرتدى معطفا ثقيلا وعلى رقبته وشاح غامق ، ولكنـه كان كالعادة .. بلا قبعة .

وقال لها : « دعينى أقل لك لمـــاذا جئت ، فلاشـــك أنك مندهشـــة » •

وكتمت جريتا أنفاسها ولم تجب بحرف •

ـ لقد جئت لأعتذر •• ان هذا هو الشىء الوحيد الطيب الذى أستطيع أن أفعله ، ولابد أن يصنع الانسان شيئاً طيبــا ولو مرة واحدة فى حياته •

وأغلقت جريتا الباب ثم وقفت تنظر اليه فى حيرة وهو يذرع الصالة ذهابا ورجعة ، ثم يتجه الى النافذة وينظر الى الســماء الغائمة الداكنة الصفحة •

أجابته جريتا وهى تؤمل أن يقنع باجابتهــا ثم ينصرف فى التو :

ـ لم يكن من الواجب أن تتعب نفسك وتأتى للاعتذار ، وعلى العموم قد قبلت الاعتذار •

ـ شكرا يا جريتا •• لم أكن لأستطيع أن أرحل دون أن أعتذر اليك •

كانت جريتا واقفة ولم يكن فى نيتها أن تدعو ريود الى الجلوس ، وكانت تفكر فى وسيلة للهرب وتتلفت فى أنحــاء المنزل ، وفجأة قـــال لها ريود : « لا تنظرى الى بهـــذا الخوف

يا جريتا ليس هناك مبرر لهذا فلم آت هنا لاغتصابك » ثم مد يده الى أزرار معطفه ففكهـا وألقى المعطف على أحد المقاعد وقـال :

ـ دعينى أشرح لك حـالتى •• ان لـدى فلسـفة فى حياتى •• هل تريدين أن أشرح لك فلسفتى • ولم تجب جريتا •

ـ حسنا • سأخبرك على أى حال •• انى أومن أن على الانسان أن يكسب قلب المرأة أولا ثم يدع الطبيعة البشرية بعد ذلك تكمل ما بدأ به •• والانسان اذا ارتكب خطأ كخطئى فان عليه أن يعتذر •

وأجابته جريتا :

ـ انى شاكرة لأنك قد جئت للاعتذار قبل مغادرة المدينة ، ولكنى كنت أفضل أن تأتى وجلين موجود ، وهو سيعود فى الخامسة •

وضحك ريود وهو يقول : « لا تكونى قاسية ورسمية الى هذا الحد يا جريتا •• اهدئى قليلا لقد تبددت بيننا الرسميات منذ زمن طويل وأظن أنها لن تعود •• اهدئى » •

وجلس ريود على أحد المقاعد ومد رجليه ونظر فى ساعته وقـال :

ـ سأغادر المدينة قبل الخامسة ولكن هنـاك شيئا واحدا يمكن أن يغير من خططى ، أتريدين أن تعرفيه يا جريتا ؟

ولم تجب بحرف

ـ ألست مشوقة الى معرفته ؟ ولكنى سأخبرك على أى حال ، سأغير خططى اذا وجدت انسانا واحدا فى المدينة لا يرغب فى سفرى .. هـل تعتقدين أن فى يونيونفيل انسانا واحـدا يريدنى ... ؟ فكرى جيدا قبل أن تجيبى .. أرجوك لا تخطئى فى الاجابة .

وقالت جريتا : لا أعرف !

وقال لها ريود : ربمـا كنت تعرفين ولكنـك خائفة من الاجابـة .

ثم مد يده الى جيبه وأخرج سيجارة أشعلها ومد قدميه فوضعهما على مقعد مجاور ثم قال :

ـ لقد كان يوما جميلا يا جريتا ، ولكنى أفسدته بما فعلت يوم السـبت المـاضى .. ربمـا كنت غيورا ولكن زوجـك لا يستحقك .. انه رجل بارد جامد .. انى لا أطيق أن يختص بك هذا الـ « جلين كنورثى » .. انى أريدك وهـذا هو ما جئت لأجله .. لقد جئت حقيقـة لأعتذر ولكن هنـاك شيئا أهم من هـذا .

وسكتت جريتا ولم تجب .

ـ لقد سمعت ما قلته وأنت تعرفين ما أفكر فيه .. لقد كنت أفكر فيك منذ تلك الليلة التى قضيناها معا .. انك أنت الفتاة التى أتمناها ولا أستطيع أن أبعدك عن ذهنى قط .. ان كل شىء فيك يعجبنى وخاصة عندما تجلسين على أرض الغرفة ، وتخلعين جواربك ، ولكنك قد تزوجت هذا الانسان الكريه ، وكنت أظن أن بامكاننا رغم هذا الزواج أن نكون أصدقاء مثلما كنا ذات ليلة .. ولو تأكدت من ذلك لما غادرت المدينة قط ، ولما فارقت مكانا أنت فيه يا جريتا .

وهزت جريتا رأسها فى عنف وقالت : « أرجوك أن تغادر المدينة من فورك .. انك لا تستطيع أن تقيم فى يونيو نفيل .. أرجوك أن تذهب وتدعنى أنا وزوجى » .

قال لها ريود : « انه من القسوة يا جريتا أن تقولى لانسان انه غير مرغوب فيه .. ان هذا ليؤلم النفس » .

وأجابته جريتا : ان هذا هو شعورى لا أستطيع أن أكتمه .

وقال ريود : ولكنك لم تقولى ذلك فى تلك الليلة .. كانت ليلة مطيرة .. أتذكرينها يا جريتا .. لقد قلت لى انك وحيدة

وتشبثت بى فى غرفتك ، وقلت لى ان فى امكانى أن أراك حينما أريد .. اننى أيضا رجل وحيد .

وصاحت جريتا فى فزع :

ـ أرجوك لا تقل هذا .. اخرج اخرج .. اخرج .

ثم اتجهت الى الباب وفتحته ووقفت بجانبـه منتظرة أن يخرج ولكنه قام من مقعده واتجه الى الباب فأغلقه ثم مد ذراعه الى جريتا وجذبها وأجلسها بجانبـه على المقعد المستطيل وقد طوقها بذراعين عصبيتين .

وحاولت جريتا أن تخلص نفسها من ذراعيه دون جدوى .

وصاحت : « أنت مجنون .. انى الآن زوجة وسأستمر فى رعاية حياتى الزوجية أرجوك أن تذهب » .

وصاح فى صوت حازم : لا .. انى مجنون بك ، ويجب أن تذهبى معى ، سنغادر المدينة معا ، وسنبنى حيـاة جديدة .. انى لا أستطيع أن أنسى تلك الليلة الوحيدة التى عرفت فيهـا طعم أن يكون الانسان مع الناس .

وأخذت جريتا تصرخ واستجمعت قواها وهبت مندفعـة وقد أفلتت من ذراعيه وهى تصيح :

اخرج ! . اخرج !

ونظر ريود اليها فى انكسار وتلاشت الابتسامة الغامضة من شفتيه ، وتضاءل فى مقعده وهو يقول :

ـ لابد أنى أخطأت . لقد كنت أظن أنه يكفى أن تقنع امرأة بحبك حتى تتبعك . ولكن هناك خطأ .. اننى أخطىء دائما كلما حاولت أن أتصرف .

وسادت فترة طويلة من الصمت ونظرت جريتا الى ريود فاذا به قد جلس وقد أطرق برأسه وأرخى ذراعيه بجانبه وكانت الدموع تنهمر من عينيه .

وأخيرا قال : « حسنا يا جريتا .. لقد كسبت .. وقد خسرت أنا وتحطمت .. لقد طردت من عملى وسأذهب الى مكان آخر بدونك .. لقد انتهيت .. لقد انتهى الدكتور ريود فيلمور » .. وهب ريود واقفا وعبر الغرفة بعد أن أخذ معطفه وظهره منحن كأنه يحمل عليه حملا مرهقا ، ودون أن يقول كلمة ، اتجه الى الحمام ففتح بابه ودخل ثم أغلق الباب وراءه فى ضجة .

وبينما كانت جريتا جالسة تتوقع خروجه من الحمام سمعت طلقة مسدس ، واهتزت جدران الصالة بصدى الطلقة ، ووثبت جريتا ففتحت باب الحمام لتجد ريود فيلمور ملقى على الأرض ، والدم يشخب منه ، وقد قبضت يده على المسدس .

وصاحت جريتا : ريود .. ريود ماذا فعلت بنفسك ؟

ولم تعرف بعدئذ كم لبثت ذاهلة حتى اتجهت الى التليفون ثم خاطبت جلين قائلة :

ـ احضر سريعا .. ان شيئا مريعا قد حدث .

***

من أسبوع على انتحار الدكتور ريود فيلمور فى حمام شقة جريتا ، وكان الشتاء قد تقدم وأصبحت السماء داكنة غائمة .. أما جريتا وجلين فقد كانا طيلة الوقت منكسرين منحرفى المزاج ، لقد تبددت بهجة حياتهما معا ، وحل محلها ذلك الشعور بالانزعاج والقلق .

كانا أحيانا يضحكان لكلمة يقولها جلين عن سلوك أحد المرضى فى المستشفى ، أو يبتسمان للشمس حين تشرق من بين السحب أو يطلان من نافذتهما الى أرض الشارع يرقبان المارة باهتمام ، ولكنهما سرعان ما يعودان الى نفسيهما فى حزن واستغراق .

وأصبحت الشقة الجميلة التى أشرفت جريتا على اعدادها ، والتى كان يخيل اليهما أنها لا تكاد تتسع لحبهما ، أصبحت

هذه الشقة كأنها سجن ضيق يضم روحين معذبتين ، كانا أحيانا يجلسان الى الراديو وأحيانا يقرآن ، وفى كثير من الأحيان كان جلين يجلس فى الصـالة ليلة بعد ليلة ولا يأوى الى فراشه ، وكلاهما مملوء بالترقب والخوف ، وكأنما يخشيان أن يتكلما فتقودهمـا أفكارهمـا الى تلك المنطقـة التى كانا يحـذران الاقتراب منها .

فى المخدع فقط ، كانت أذرعهما تمتد من تحت الغطاء كأن كلا منهمـا يبحث عن أمنه واطمئنانه ، فاذا تلاقت اعتنقت فى اصرار ، وحين يشرق النور تفترق الأيدى والأجسام ليوم مرهق طويل .

وذات يوم سألت جريتا جلين فى حذر .

« هل سيمكنك يوما ما أن تنسى ماضى حياتى » ؟

وأجابها جلين :

« يجب أن لا نتحدث فى هـذا الموضوع يا جريتا ، انه ماض لن يعود » .

وقالت جريتا :

« حقا ، انه ماض ، ولكنه قد يتكرر مرة ثانية ، وهو ماض طويل ، لم يكن ريود فيلمور وحده ، ولكن ريود فيلمور هو

الانسان الوحيد الذى ظهر مرة ثانية فى حياتى ، وربما ظهر ، يوما ما ، انسان آخر ، وتكررت الحكاية » .

وأجابها جلين :

« ان كل فتـاة تلتقى بكثير من الرجـال قبل أن تجد رجلها .. أنا نفسى التقيت بكثير من الفتيات قبل أن ألقاك » .

وقاطعته جريتا قائلة :

« ولكن الفتيات لا يفعلن مثل ما كنت أفعل » !

وسألها جلين :

« وماذا كنت تفعلين » ؟

وأجابته جريتا :

« كنت أطلب نقودا ، وألح فى طلبها ، وأفعل أى شىء لأحصل عليها » .

وسألها جلين فى دهشة : « لمـاذا يا جريتا ؟ انك لست فى حاجة الى النقود » !

وعندئذ قالت جريتا باكية : « انى مريضة ، انى انسانة ساقطة لأننى مريضـة .. هل تستطيع أن تشفينى ، انك زوجى ، وأنت طبيب أيضا ، هل تستطيع أن تشفينى » .

وربت جلين عليها ، ومسح شعرها فى رفق ، وقبل وجهها المندى بالدموع ، ثم ذهبا الى سريرهما متشابكى الأذرع ، وبعد ساعة كان جلين يرقد فى السرير ، وقد حدقت عيناه الكليلتان فى ظلام الغرفة الدامس •

***

وفى المستشفى ، كان جلين يتعذب بنظرات الزملاء والممرضات ، كانوا كلهم يتجاهلون الأمر كله ، ولكنه كان يحس بأن هذا التجاهل يتضمن الاتهام والتجريح ، وكأنهم يعتبرونه مسئولا عن مصرع ريود فيلمور ؛ وفى يوم من الأيام انتهت دورة العمل ، وخرج جلين من مكتبه بعد أن ارتدى معطفه وقفازه ، وكان الممشى فى خارج المستشفى لامعا بثلج الشتاء فى تلك الليلة الباردة •

استقل جلين سيارته ، وبعد دقائق كان أمام شقته ، وفتحت له جريتا الباب •

وقال لها وهو يضع معطفه على أحد المقاعد :

« الليلة باردة ! لقد ابتدأ الثلج فى التساقط منذ ساعة تقريبا » •

وقالت جريتا : « يالله ! متى يأتى الربيع ، يبدو أن الربيع لن يعود ثانية ابدا » •

وذهبت جريتا الى المطبخ ، ثم عادت اليه بعد أن أعـدت الطعام ، وبعد أن انتهيا من عشائهما قال لها جلين « أظن أن علينا أن ننتقل من هـذه الشقة يا جريتا » •

وسألته : « لمـاذا » ؟

وأجابها : « ان هذا أفضل » !

وقالت جريتـا : « ان هـذا كله بسببى أنـا ، اننى أنـا المسئولة •• ان هذه نتيجة أخطائى » ! •• وأجهشت بالبكاء •

وقال لها جلين فى صوت حازم :

ـ لا تفوهى بهذا مرة ثانية •• أبدا •

ولكنها لم تأبه لكلامه ، واستطردت تقول : « نعم •• ان كل هـذا بسبب أخطائى ، لو تزوجت أنت كما يتزوج جميع زملائك لمـا حدث شىء من هـذا ! هل تعرف ماذا يقولون عنى؟ ألم يقل لك أحدهم شيئا من ذلك » •

وقال جلين فى هدوء « أنا لا أبالى بثرثرة الناس •• ان الناس يثرثرون حول كل شىء • ولكن تأكدى يا جريتا أننى لن أتخلى عنك أبـدا •• لقد ارتبطنا معا وتوثق ارتباطنا بهـذا الحـادث » •

***

بعد أيـــام قليلة كان الجو بالنسبة لجلين قد تحســـن فى المستشفى ، وقل اعراض الزملاء والممرضـــات عنه كأنما أدرك الجميع أنه غير مسئول عما كان ، واسترد جلين تماسكه وبشاشة نفســـه ، وحين انتهى فى ذلك اليوم من عمـــله خف مسرعا الى شـــقته .

وفتح جلين باب الشقة ، وخطا بداخلها ، وحين ألقى نظرة على الشقة أدرك أن شيئا غير عادى قد حدث ، فان جريتا لم تخف للقـــائه حين دخل فضـــلا على أنهـــا كانت مستلقية على الأريكة ، وقد دفنت وجهها ورأسها فى يديها ، وكان يبدو عليهـــا كما لو كانت نائمـــة أو مريضـــة ، وناداها جلين « جريتـــا .. جريتا » ! ولكنها لم تجب .

وخلع جلين معطفه وقفازيه ، ثم جلس بجانبها على الأريكة ، وجس نبضها ودرجة حرارتهـــا كانا عاديين الا أنها استمرت فى تجـــاهله .

وقال لها جلين :

« أرجوك يا جريتا تكلمى ، حتى أعرف أنك بخير » .

ولم تجب جريتا ، وانحنى جلين فقبل رقبتها ، وحين مست شفتاه الدافئتان لحم جسدها ارتعشت ولكنها لم تتكلم ، وقال لها جلين

« اذا لم تردى على كلامى أو تقولى أى شىء فسأعتقد أنك لم تعودى تحبيننى ، وأنت لا تريدين ذلك ، هه » !

واختلج جسدها كله ، ولكنها لم تنطق بكلمة .

وأخذ جلين يفكر فيما عساه أن يكون سبب هذه الحال ، واستند بظهره الى حافة الأريكة ، ثم أخذ يجيل بصره فى الغرفة منتظرا حتى تجيبه جريتا بكلمة ما ، ورأى على المائدة المنخفضة بعض الأكياس والأشياء الملقاة دون اهتمام ، وكان على المائدة أيضا قبعتها البيضاء وقفازاها ومفاتيحها ، ثم بعض الأوراق المالية المثنية التى يبدو عليها كأن يدا قد ضمت عليها مدة طويلة .

وحين طال صمت جريتا مال عليها جلين ، ولثم ظهرها ورقبتها مرة ثانية ، ولكنها لم تتحرك .

وقال لها جلين : « لقد عدت الى المنزل يا جريتا ، وأريد أن أراك ، لقد مرت فترة طويلة منذ رأيتك فى الصباح لقد كدت أنسى شكلك . أمازال لك هاتان العينان الحلوتان وهذه البسمة الوضيئة » .

ولم يبد أن جريتا قد سمعت كلامه .

وقال جلين مرة ثانية : « أرجوك يا جريتا .. تكلمى .. انى بحاجة الى أن أسمع صوتك » .

ولم يسمع جلين اجابة على كلامه سوى أن يدى جريتا تقلصتا فى وسادة الأريكة .

ونظر جلين مرة ثانية فى الغرفـة ، وتعـلق بصره بالنقود الملقـاة على المـائدة ، وعدها فاذا بها خمس ورقات من فئـة الدولار ، متسخة بالعرق ، ومثنية الأطراف ، وقديمة .

وساءل جلين نفسه لم كانت خمس ورقات ولم تكن أربعا أو ثلاثا أو ستا مثلا ، وساءل نفسه لمـاذا وضعتها جريتـا على المـائدة بعد عودتها رغم أن من عادتها أن تضـع نقودها فى كيس ، كما أنه يعرف أن من عادتها ألا تقبل من الباعة هـذه العملة القديمة الممزقة ، وكان جلين كلما أمعن النظر فى النقود أدرك قذارتها وقدمها .

ومد جلين يده حول كتفى جريتا ، وأدارهما اليه ، ونظر فى وجهها ، ولكنها أسرعت وغطت وجهها براحتيها ، وتكلمت لأول مرة قائلة : « لا أستطيع أن أخبرك ! لا أستطيع .. انه شىء فظيع .. لا أستطيع » ! ..

وحدق جلين اليها ، وهو مضطرب لهذه الاجابة ثم قبل شفتيها قبلة طويلة ، ولكنهما كانتا باردتين جافتين ، ولا تردان القبلة .

وصاحت جريتا « دعنى وحدى •• أرجوك دعنى وحدى •• لا تلمسنى ! لا تلمسنى قط » !

وسألها جلين : « لماذا تطلبين منى أن أتركك يا جريتا ! لماذا تطلبين منى أن أدعك وحدك » ؟

وقالت جريتا : « لأنى •• لأنى أريد ذلك » •

وقال لها جلين : « انظرى الى وجهى ! وقولى يا جريتا » •

وأجابته : « لن أستطيع أن أنظر فى وجهك بعد الآن » !

وسألها : « هل هذا لأنك لا تريديننى » ؟

وأجابته جريتا « لا » !

وقال لها جلين « اذن تكلمى » !

وقالت جريتا : « ماذا أقول ! انك تستطيع أن تخمن كل شىء ! لا تعذبنى بالكلام •• انك تستطيع أن تعرف » •

وقال جلين : « لا ! لا أستطيع أن أعرف •• تكلمى » •

وأجابته جريتا : « لقد فعلتها ! لقد فعلت ما كنت أفعل قبل أن ألقاك » •

وقال جلين فى دهشة : « ماذا » ؟

وأجابته جريتا فى صوت مكتوم : « لقد خنتك اليوم يا جلين » •

كان ينظر اليها والكلمات القليلة التى فاهت بها تهز أعماقه ، ومال جلين بجسمه على مسند الأريكة ، ونظر اليها ، وكانت غارقة فى فرش الأريكة الداكن ، رمد يده اليها فأمسك بها كأنه يخشى أن تفلت من أمامه وتختفى .

كان يعلم أنه لو لم يستطع أن يحتفظ بها الآن فسيخسرها الى الأبد .

وبدأت هى بسؤاله : « هل سمعت ما قلت ؟ هل استرحت الآن » ؟

وسألها بدوره : « وماذا يعنى هذا .. تكلمى بوضوح » .

وقالت له : « لم أستطع أن أقاوم يا جلين .. لقد حدث هذا كما كان يحدث فى الماضى .. لم أستطع أن أقاوم .. لم أستطع .. ألا تصدقنى يا جلين ؟ لم أستطع أن أقاوم » ؟

وأجابها جلين : « انى أصدقك طبعا ، ولكنى أسألك من هو يا جريتا » ؟

وأجابته قائلة : « لا أعرف من هو » .

وكرر السؤال ، وقالت له : « أقسم لك أنى لا أعرف .. ولم أكن أريد أن أعرف » .

وأحس جلين برغبة فى الضحك رغم أنه لم يكن هناك

ما يضحك ، وحين زالت تلك الرغبة وجد عقله وجسمه خاليين من كل شيء ، وسألها دون أن يفطن الى أنه يكرر نفس سؤاله :

« ولكنى أود أن أعرف يا جريتا » .

وأجابته : « أنا نفسى لا أعرف ! لم أرد أن أخونك ، لقد عاهدت نفسى منذ يوم زواجنا أن أكون وفية ، لأنى أحبك يا جلين » .

وسألها : اذا كنت تحبيننى فلماذا فعلت ذلك ؟

وأجابته : لم أستطع أن أقاوم يا جلين .. انى مريضة .. مريضة ، هل تدرك ذلك ؟ .

وسألها جلين : « أنبئينى ماذا حدث » ؟

***

وقالت جريتا : « لقد كنت أسير أمام أحد الفنادق عائدة الى المنزل ، ثم فجأة كلمنى أحدهم ، ونما فى نفسى ذلك الاحساس القديم .. الرغبة فى أن يقول لى أحدهم انى جميلة وجذابة ، وكلمته ، ثم صعدنا الى الفندق وأخذنا غرفة » .

وسأل جلين « من هو هذا الرجل » ؟

وأجابته جريتا : « لم أره من قبل .. ولا أريد أن أراه » .

وسألها ثانية : « هل هو أحد أطباء المستشفى » ؟

وأجابت جريتا : « لا » !

وقال جلين : « اذن صعدتما معا الى الغرفة .. وماذا فعلتما بعد ذلك » ؟

وارتعش جسدها ، وقالت فى عصبية : « أنت تعلم ماذا تم بعد ذلك ! أرجوك لا تعذبنى » !

ومد جلين يده فأشعل سيجارة ، ثم ضغط العلبة فى أصابعه وألقاها بين قبعة جريتا وقفازيها ، وفجأة استرعت النقود الملقاة بصره ، والتفت الى جريتا وقال لها :

« حسـنا ! انك لا تريدين أن تقولى .. لقد ذهبتما الى الغرفة وجلست أنت على الأرض ، ثم مددت يدك فخلعت جواربك بهذه الطريقة المثيرة .. أليس كذلك يا جريتا » ؟

ــ نعـم .

وأخذ نفسا عميقا من سيجارته .. واستطرد يقول :

« وقال لك الرجل انه لم يشهد قط منظرا كهذا ، وأنك رائعة ومثيرة » ، وضحك فى عصبية ثم استطرد : « هذا ما فعلته أول مرة تلاقينا فيها قبل زواجنا .. وقد قلت لك ذلك وقد قاله هذا الصباح رجل غيرى .. غريب ! لماذا لا يقول ذلك ، لقد

قلتها أنا ، وقالها ريود فيلمور وقالها الرجل الغريب ، ورجال آخرون ، وهى الطريقة الوحيدة لكى يجعلك أى انسان تخلعين ثيابك بلا مبالاة ، ولديك دائما العذر الواضح .. انك لم تستطيعى المقاومة ، وان ذلك شيء ابتدأ منذ كنت طفلة ، ولم يكن لك أبوان ليرعياك .. لقد سمعت هذه الحكاية مرات كثيرة ، وأكاد أحفظها » .

وانخرطت جريتا فى البكاء ، ولكنه لم يلتفت اليها ، بل استطرد قائلا : « لقد نسيت جزءا من القصة .. بعد أن استمعتما طلبت منه بعض المال ، وألححت فى الطلب ، وجئت أنت بالمال وألقيته على المائدة .. ووضعته هنا بقصد معين .. لكى أراه » .

وبكت جريتا ، وكانت تنشج وترتعش ، وقالت له : « أرجوك .. ساعدنى .. أحبك ، وصدقنى .. لم أستطع المقاومة .. انى فى حاجة الى العلاج .. ماذا ستصنع لى » ؟

وقال لها جلين : « ربما كان علاجك فى يدك .. لا أحد يستطيع أن يعالجك الا أنت .. انى لا أعرف ماذا سأفعل الآن » ؟

***

كان شهر فبراير قد تقدم ببرده وكآبته ، وفى ذلك اليوم خرج جلين كنورثى من غرفته قبل موعده بساعتين ، وكتب مذكرة صغيرة لرئيسه فى العمل ينبئه فيها بعجزه عن مواصلة العمـل وحاجته الى الراحة ، وسار الى الجنـاح الغربى دون آن يلقى بالا لتحيات الزملاء والممرضات وابتساماتهم ، وفى اللحظة التى كان يفتح فيهـا باب مكتبه وجد احدى الممرضـات « مارتـا هولواى » تخطو فى الممر نحو غرفة الاجتماع .

وأطرقت مارتا حين رأته فى ابتسامة هادئة ، ثم خطت مسرعة دون أن تتـكلم ، وكانت مارتا قد قضت سـنة فى المستشفى تتمرن فيه على العمل ، وكان سلوكها يتميز بالحياء والتحرج من مخاطبة الناس كأنها طفلة صغيرة ، والواقع أنها كانت فى مطلع الشباب لا تكاد تتعدى العشرين من عمرها .

نادها جلين بصوت عال : « مارتا ! تعالى .. أتسمعيننى » .

ولكن مارتا مضت فى طريقها دون أن تلتفت اليه ، وكرر جلين النداء ، ولم تلتفت اليه الممرضـة الشابة ، وحين أعـاد جلين النداء وقفت مارتا ثم استدارت اليه وخطت نحوه .

قال لها جلين : لنشرب بعض القهوة يا مارتا .

وأجابته مارتا : « ولكن يا دكتور كنورثى..لا أستطيع » .

وسألها جلين : « لمـاذا » ؟

ــ « لأنى مشغولة بكتابة تقاريرى » .

ــ دعك من التقارير .. أنت تعرفين أنى أستطيع أن آمرك بذلك .. والآن اذهبى واحضرى لنا بعض القهوة .. وسأنتظرك فى مكتبى .

وظل جلين يراقبها وهى تستدير ثم تخطو مسرعة فى الممر ، وحين غابت عن نظره اتجه الى باب مكتبه ثم دخل وأغلق الباب ، وأضاء النور ثم أرخى الستائر على النافذة ، وكانت ظلمة أصيل الشتاء تبسط ظلها على الكون .

وأخذ جلين يذرع الغرفة وهو ينتظر عودة مارتا ومعها القهوة ، لقد كان ينوى أن يغادر مكتبه فور كتابة المذكرة ، ويتجه الى المنزل ، ولكنه فى هذه اللحظة أدرك أنه لا يريد العودة الى المنزل اليوم ، بل لعله لا يريد العودة اليه الى الأبد ، وبعد دقائق أدرك أن قراره بعدم العودة الى المنزل كان قرارا قاطعا ونهائيا ، ودخلت مارتا الى المكتب وفى يديها قدحا القهوة ثم أغلقت الباب ، ولم يتحدث كلاهما . بل نظرت اليه نظرة موجزة فيها الخشية والحذر من انفرادهما معا ، ووضعت مارتا الأقداح على المائدة وصبت القهوة ، واتجه جلين الى الباب وأحكم اغلاقه فالتفتت اليه مارتا فى جزع وقد استدارت عيناها الجميلتان .

وسألته مارتا : لمـــاذا فعلت هذا يا دكتور كنورثى ؟

ــ مـــاذا ؟

ــ لمـــاذا أغلقت الباب ؟

ــ لقد أغلقت الباب لأننى لا أريد أن يزعجنا أحد .

ــ ولكن هذا ضد التعليمات يا دكتور ؟

ــ أى تعليمات ؟

ــ لا يصح أن تمكث الممرضـــة :فى غرفة مريض أو مكتب طبيب مهما كانت الأحوال والباب مغلق .

ــ انى أعرف التعليمات كما تعرفينها يا مارتا .. فلتذهب التعليمات ومن وضعها الى الجحيم ! انى أريد أن أتحدث معك.. أتحدث معك فقط .

وتناول جلين قدحه ورفعه الى فمه ، ثم سأل مارتا :

ــ هل لك أسرة يا مارتا ؟

ــ نعم يا دكتور .

ــ وهل أبواك مازالا على قيد الحياة ؟

ــ نعم يا دكتور .

ــ وهل هما يعاملانك فى حنان لأنك ابنتهما المدللة ؟ ..

ـ نعم .

وهنا قال لها جلين فى صوت مختلج :

ـ اذن ينبغى لك أن تركعى على قدميك ثم تشكرى الله الى آخر حياتك .. ونظرت اليه مارتا فى دهشة ، ثم سألها :

ـ هل لك حبيب ؟

ـ لا !

ـ لماذا ؟

ـ لا أدرى .. ليس لى حبيب ، ولا أدرى لماذا .

ـ هل أحببت يوما ما ؟

ـ لا !

ـ هل أنت عذراء ؟

وأطرقت مارتا وقد احمر خداها .. وكرر جلين السؤال ، وزاد تورد خدى مارتا ، واستطرد جلين يقول :

« لاشك أنك مازلت عذراء .. وانى لمسرور لمعرفتى ذلك، والآن اليك نصيحتى يا بنية .. ظلى كما أنت عذراء .. بلا حب .. وعندئذ ستكونين قد حققت عملين عظيمين .. أن تجنبى نفسك الشقاء وأن لا تجلبى الشقاء لأحد » .

وتحركت مارتا فى قلق ، ولكن جلين نظر اليها وقال :

« لم أتم حديثى بعد يا مارتا .. انى أريد أن أسألك

سؤالا .. اذا قال لك رجل انه يحبك ويريدك ، فهل تطلبين منه مالا » ؟

ـ بالطبع لا .. ولكن لمــاذا تسألنى هــذا السـؤال الغريب ؟

ـ لقد كنت أريد أن أعرف هل كل النساء مثل المرأة التى أعرفها .. والآن هل أنت سعيدة يا مارتا ؟

ـ نعم يا دكتور !

ـ لمــاذا ؟

ـ أعتقد أنى سعيدة لأنه ليس هناك ما يشقينى .

ـ أنت لا تعرفين مدى سعادتك يا بنيتى .. ان أردت أن تعرفى مدى الشقاء الذى يعانيه النــاس فاليك رجل شقى .. انظرى الى وجهى .. والآن شكرا يا مارتا على حديثك .. ان امرأتى تطلب نقودا من الناس .. هل تريدين أن تنظرى الى وجه زوج عاهرة .. ها هو ذا .. ان جميــع النــاس هنا فى المستشفى يتحدثون عنى بلا ريب ، وأنت تسمعين كلامهم .. والآن أكرر شكرى لمساعدتك لى..لقد كنت عطوفا ، وتستطيعين اذا أردت ان تنصرفى الآن ، اذكرى دائما أنك قد أسديت خدمة رائعة الى انسان ، ان المناقشة شىء جميل حتى ولو كانت من جانب واحد مثل مناقشتنا هذه .

وسألته مارتا فى قلق : ــ ماذا ستفعل الآن يا دكتــور كنورثى ؟

وأجابها جلين :

سأغلق باب مكتبى ، ثم أنام ، انى فى حاجة الى فترة طويلة من الراحة .. والآن شكرا للقهوة ، لقد هدأت أعصــابى بعض الشىء .. لقد أعطتنى القهوة بعض الشجاعــة التى كنت فى حاجة اليها .

وخرجت مارتا ، وأغلق جلين الباب ، ثم اتجه الى المــائدة وصب لنفسه قدحا من القهوة ، وكانت باردة ، ثم تذكر فجــأة ما كان فى نيته أن يفعله ، فمد يده الى دولاب صغير وفتحه ، وأخذ زجاجة من على أحد الرفوف ، ثم صب بعضها فى قدح القهوة ، وجرع قدحه دفعة واحدة ، وفى أحد أركان الغرفــة استلقى لينام .

***

مر الشتاء الطويل وانقضت أيامه .

وكانت جريتا واقفــة فى ظل جــدار تنتظر التاكسى الذى استدعته ، وحين جلست فى المقعد قال لها السائق : « ستكون ليلة باردة يا سيدتى ، انها ليلة طيبة لسائقى التاكسى ، ولكنهــا بلا شك ليلة كئيبة للانسان الوحيد » !

ونظر اليها السائق ليرى وقع كلامه ، ثم قال لها :

ـ لم يسبق أن رأيتك من قبل ؟

وقالت له :

ـ ربمـــا !!

وســألها :

ـ منذ متى وأنت تسكنين هذه المدينة ؟

وأجابتــه :

ـ سنة أو اثنتين •

ووصلت جريتا الى حانة « الراوند أبوت » ، وجلست على أحد المقاعد العالية ، لقد مرت حوالى خمسة أشهر منذ أن كانت هنا لآخر مرة ، وكان المكان كما عهدته منذ آخر مرة •

قالت جريتا : ويسكى يا فيل •

وأسرع اليها فيــل ، خادم البــار ونظر فى وجههـــا كأنه لا يعرفها ، ثم حدق فيها أخيرا عرفها وصرخ فى دهشة :

ـ جريتا •• أين كنت طوال هذه المدة ؟ •• أوه لقد عادت الأيام القديمة •

وشكرته وهى باسمة ، واستطرد فيل يسألها :

ـ هل كنت فى المدينة طيلة هذه المدة ؟

وقالت جريتا نعم !

واستطرد فيل قائلا : لقد قرأت عنك فى بعض الصحف .. لا أذكر الآن التفاصيل بالضبط .

وجرعت جريتا كأسها دون أن تلتفت اليه .

وسألها فيل : هل أنت متزوجة الآن يا جريتا ؟

ـ لا ..

ـ لمـــاذا ؟

ـ لأنه مات .

وسكنت جريتا واستطرد فيل قائلا : « على كل حال فان من الخير لك أنك قد آتيت الى هنا ، ان شيئا فيك لم يتغير .. نظراتك ما زالت حـــلوة وما زالت لك القدرة على اجتـــذاب الرجـــال » .

وفى تلك اللحظة تقدم اليها رجل طويل القامة وجلس بجانبها ثم حياها :

ـ هاللو ..

ـ هل أنت طبيب ؟

ـ لا .. لمـاذا تسألين ؟

ـ مجرد سؤال .

ـ على العموم فالأطبـاء قـوم نابغون ولا غنى عنهـم للانسانيـة .

وبعد قليل قاما ، وسألها أين تذهبين ؟

وأجابته جريتا : الى منزلي !!

واستقلال عربـة تاكسى ، واتجهت بهما الى المنزل ، وفى المنزل جلست جريتا على الأرض ومدت يدها لتخلع جواربهـا فالتفت اليها الرجل الغريب قائلا :

ـ « ان طريقتك فى خـلع جواربك مثيرة حقـا .. انك فاتنة » !!

والتفتت اليه جريتا والبهجة فى عينيها !!

خريف امرأة أمريكية
فى روما

تينسى وليــامز

نشرت فى صباح الخير ١٩٥٩/٩/٣

هـــذه القصـــة هى آخر ما كتب المؤلف الأمريكى الموهوب تينسى وليامز ، الذى أخرجت له السينما فى السنوات الأخيرة : وشم الوردة ، والزوجة العذراء ، وعربة تدعى اللذة ، وقطة على سطح صفيح ساخن .

وكل هـــذه الروايات كتبها المؤلف على هيئة مسرحيات ، وعرضت قبل اخراجهــا للسينما فى أشهر مسارح برودواى . اما هـــذه القصـــة فهى العمل الفنى الوحيد لتينسى وليامز ، الذى كتبه فى الشكل الروائى .

ومحور القصـــة هو الفراغ الذى تتعرض له المراة حين تجاوز الأربعين .. وتخلو حياتهـــا من الزوج او العمل او الأولاد .. فلا تجد امامها الا الانحدار .

كان وجهه يرتفع بين زحام البشر ، الغادين والرائحين ، فى ساحة بيازا ، كأنه يتوقع أن يتلقى اشارة ما من نوافذ الفيللا التى يقف أمامها . وكان محياه جميـــلا الى حد يلفت النظر ، وجماله من ذلك النوع الذى تراه فى تماثيل الرجال التى تقف شامخة حول نافورات مدينته الخالدة .. روما .

أما حلته فقد كانت بالغة الرثاثة ، حلة سوداء أصغر من مقاس جسمه ، يبدو من ياقتها لحم رقبته العاجى ، وكانت قدما البنطلون ممزقتين وأصابعه تطل من خروق حذائه .

ورغم أن رأسه كانت تتدلى أحيانا فوق صـــدره ، فقد كان على ملامحـــه سيماء التحفز ، كأنه على وشـــك أن يرفع صوته أو ذراعه محييا أو صائحا ، وعندما بدا شبحان فى شرفة الفيللا التى يقف أمامها زادت حدة تحفزه . وكان الشبحان يقفان فى « التراس » لسيدتين تتحليان بالفراء ، وتنظران الى الطيور الأليفة التى تملأ الساحة . وراقبهما الشاب فى اضطراب كأنهما طائران جارحان يتأهبان للانقضاض عليه ، وأخذه بين مناقيرهما ، ثم تذكر انه لم يذق طعاما منذ أيام .. منذ تلك الليلة التى زحف

فيها على روما من قريته وراء التلال ، وهو لا يملك الا وجهه الجميل •

وكانت ساكنة الفيللا هى « مسز ستون » • وهى نجمة مسرح أمريكية ، كانت رائعة الجمال فى يوم من الأيام • وكانت ذكرى جمالها الذاهب تحز فى نفسها ، وخاصة اذا التقت بأولئك الذين كانوا يعرفونها أيام شبابها ، ولهذا هربت من أمريكا بعد وفاة زوجها ، واعتزلت حياتها الفنية ، وجاءت الى ايطاليا •

وكانت فى تلك الليلة تقيم فى منزلها حفلا لبعض أصدقائها الايطاليين ، ولكنها أحست بالملل أثناء الحفل ، فانسلت من بين المدعوين الى الشرفة ، حيث لحقت بها احدى المدعوات ، فاستأذنت منها مسز ستون الى غرفة نومها ، حيث أخذت تنظر الى ملامحها فى المرآة ، ثم وقفت فى وسط الغرفة تفكر •• لماذا تركت مدعويها ؟ وما الذى ستصنعه فى غرفتها ؟ ••

لم تكن تقصد شيئا معينا بالذات حين أقامت هذه الحفلة ، ولم تكن كذلك تقصد شيئا حين تركت مدعويها ودخلت غرفتها ، وهى لن تقصد شيئا اذا تركت غرفتها وخرجت مرة ثانية الى المدعوين •

ان كل حياتها بلا هدف • وكأن عقد حياتها قد انفرط ولا سبيل الى نظمه مرة ثانية • لقد كان المسرح خيطا رفيعا

يربطها بالحيـــاة • ولكنها لم تكن تحب المسرح كثيرا • وكان نجاحها يعود الى جمالها لا الى مواهبها ، وحين ابتدأ الجمــال يذوى بدأ النقاد يتهامسون ان « مسز ستون » ليست فى أحسن حال •• وبدأ أصدقاؤها يسألونها عقب بعض الحفــلات « هل كنت متعبة الليلة » • وكانت تتعلل بالأعذار ، وهى وحدها التى تعرف السبب •

واندفعت الى الحمام ، وفى يدها كوب من المــاء المعدنى ، وشربت منه قليلا ، ثم اندفعت مرة ثانيـــة الى غرفة النوم . ومنهــا الى الشرفة ، ثم الى الصـــالة فوجدت مدعويهــا قد انصرفوا ، واندفعت مرة ثانيــة الى الشرفة ، وكان نور الساحة قد خفت ، ولكن الرجل الصغير الجميل ، مازال يقف فى مكانه ، كأنه ينتظر •

ونظرت اليه فى ازدراء ، ثم اندفعت مرة ثانية الى الحجرة الخاليـــة •

كان من ضمن من عرفتهم « مسز ستون » فى روما سيدة ايطالية عجوز تدعى « الكونتيسة » •

وذات يوم اصطحبت الكونتيسة معها شــابا ايطاليـــا فى الخامسة والعشرين من عمره ، اسمه « باولو » أنيق أناقة لا حد لها ، تفوح من حوله روائح اللوسيون • وحين خرجت الكونتيسة

يصحبها باولو ، وجدت أنه قد ترك بطاقته ، وعليها رقم تليفونه على مائدة صغيرة بالصالون •

ومرت الأيام ، ولم تتصل « مسز ستون » « بباولو » ولم تذكره أمام الكونتيسة التى كانت تزورها كل يوم • حتى اعترفت الكونتيسة فى سريرة نفسها أن خطتها المألوفة لم تفلح مع « مسز ستون » •

وقالت الكونتيسة لباولو « ان هذه المرأة مازالت مزهوة ، وكأنها لم تدرك بعد كم تقدمت بها السن » •

واتفقت الكونتيسة مع « باولو » أن يبدأ هو بالاتصال « بمسز ستون » ، ودق جرس التليفون فى ذات صباح ، وعرفت « مسز ستون » الصوت وكانت المكالمة ودية ، ولكنها لم تدعه للعشاء أو الكوكتيل كما توقع « باولو » ومستشارته الكونتيسة العجوز •

وزارها « باولو » بعد ذلك أكثر من مرة • ودعى الى حفلاتها مع الكونتيسة ، ولكن « مسز ستون » كانت تتحفظ معه دائما •

وكان « باولو » فى ذلك الموسم فى حالة يرثى لها • كان قد أنفق ثمن زراير قميص من العقيق أهدتها له سائحة أمريكية

فى الموسم المـاضى ، وكان كل يوم يضيعه يسبب له كثيرا من القـلق •

وصاح « باولو » ذات يوم بالكونتيسة : انى أعلم أن هذه المرأة تريدنى ، ولكنهـا يجب أن تفعل شيئا •• أن تقول شـيئا •

وقالت له الكونتيسة : « صبرا •• وان روما لم تبن فى يوم واحد ، ويلوح لى أن أيام الجوع بالنسبة لى ولك ستنتهى عما قريب » •

ولم يكن « باولو » هو أول شاب ايطـالى عرفته مسز ستون • فقد قدمت لها الكونتيسة ثلاثة شبان من قبله •• ولم ترد علاقتها بأحدهم عن وظيفة « المرافق » الذى يصحبها فى الطريق ويقضى لها حاجاتها ، ولكنهم جميعا كلفوها كثيرا • وكانت « مسز ستون » تطردهم واحدا بعد الآخر ، كان لكل منهم خطة لا تختل أبدا ، وهى أن يأتى اليها فى يوم من الأيام حزينا ، ويقول لها انه فى حاجة الى سلفة صغيرة • وفى كل مرة كانت مسز ستون تعطيهم السلفه ، ثم تطلب منهم ألا يعودوا اليها مرة ثانية •

ولم تكن مسز ستون تعرف أنهم يقتسمون هـذه المبالغ

مع الكونتيسة العجوز التى لم يبق لها فى الدنيا الا لقبها وعلاقتها بمجتمع روما الأرستقراطى ، ولكنها أخيرا أدركت ذلك ، ولم يحزنها الأمر كثيرا ، فقد أصبح كل شىء فى نظرها سواء .

***

طال الزمن بصداقة « مسز ستون » « بباولو » فهما يلتقيان كل يوم ، ويتناولان عشاءهما معا فى المطاعم أو المنزل ، دون أن تسمح له مسز ستون بأكثر من الحديث معها أو تأبط ذراعها فى الطريق .

ولم يتعجل « باولو » طلب المال من مسز ستون ، ولذلك خامرت الظنون الكونتيسة ، وظنت أن « باولو » قد خدعها . وقررت أن تنتقم منه .

وفى حفلة اجتمعت فيها المرأتان وأقامها أحد منتجى السينما الأمريكية الذى كان يصور أحد أفلامه فى روما ، انتحت الكونتيسة « بمسز ستون » جانبا ، وقالت لها :

ـ انى أقدم صديقة لك فى روما ، وقد عرفت انك تقابلين « باولو » كثيرا ، وتخرجين معه . وهو ولد جذاب ، بل لعله أكثر الشبان جاذبية فى روما ان لم يكن فى العالم أجمع ، ولكن الجاذبية ليست كل شىء .

وقالت « مسز ستون » فى لجهــة تبرم : وهــل هنــاك أشياء أخرى ؟

وقالت الكوتيسة : نعم •• ان الخصــال الحقيقية لأهل روما تنقصه • ورغم أنه ينحدر من أسرة كريمــة ، وعمه كان بارونا ، ورث هــذا اللقب منذ خمس وسبعين سنة ، الا أنك يجب أن تحذرى منه ، فانه غشاش قليلا •• لقد خدع السيدة كوجان فى العام المــاضى ، وأخذ جواهرها التى كانت تتركها فى الحمام •

وأطرقت مسز ســتون ، ولم تنطق بكلمــة ، وسألتهــا الكوتيسة فجأة : هل أنت متدينة ؟

وقالت مسز ستون : لا ••

وقالت لها الكوتيسة : اذن فسيحكى لك باولو حكاية صديقه الذى خدعه أحد الرهبــان ، وأخذ منه ١٠ ملايين ليرة ليتاجر بها فى السوق السوداء • وسوف يحــاول أن يثير عطفك على هذا الصديق لكى تدفعى العشرة ملايين ليرة •

وقالت مسز ســتون : لا أعتقد أننى سأتأثر كثيرا بهــذه القصة ، وخاصة اذا كلفنى هذا التأثر عشرة ملايين ليرة •

***

وبعد هذه الحادثة بأيام ، كانت مسز ستون وباولو يجلسان فى شرفة منزلها حين غرق باولو فى حزن عمرق ، وحين سألته مسز باولو عن سبب حزنه قال لها حادثا مؤلما قد حدث لأحد أصدقائه .

وسألته مسز ستون :

ـ ماذا حدث له ؟

وقال باولو :

ـ لقد كان يتاجر فى السوق السوداء وقد دفعه الى هذا المسلك راهب له مكانة عالية جدا فى الفاتيكان ، قال له ان لديه بعض بضائع أمريكية وانجليزية من مخلفات الاحتلال . فأعطى صديقى للراهب عشرة ملايين ليرة . وأخذها الراهب ، واحتفظ بالنقود لنفسه . وقد تبين له بعد ذلك أن الراهب يتعاطى الكوكايين . وأنه قد أنفق النقود على الكوكايين والنساء . ولذلك فان « فابيو » صديقى ذهب الى راهب آخر أعلى منه فى الفاتيكان وقال له اما أن تعطونى نقودى أو أن أذهب الى الحزب الشيوعى وأحكى لهم القصة بحذافيرها . وتصبح فضيحة تؤثر على الأحزاب المسيحية فى الانتخابات القادمة ، وذعر الفاتيكان ، وقالوا له .. لا تذهب الى الشيوعيين ، لا تذهب الى الشيوعيين ، لا تذهب الى الشيوعيين ! وركعوا على أقدامهم .

وتوسلوا الى صديقى . ولما كان صـديقى متدينا وعـدهم ألا يذهب الى الشيوعيين .

وسألوه : أين الايصال الذى أخذته من الراهب ، وأعطاهم الايصال . ودخل به أحدهم غرفة غاب فيهـا فترة طويلة ، ثم خرج . وسأله فابيو : أين النقود ؟

فقال له : أى نقود !

وسأله فابيو : واين الايصال ؟

فقال له : أى ايصال ؟

وهدأت أنفاس « باولو » ، وهو يقول :

ــ وخرج صديقى ، وقد صمم على أن ينتحر ، لولا أننى وعدته أن أعاونه فى الحصول على هذا المبلغ .

ونهض « باولو » ، ومـد يده الى جاكتتـه ، كأنه يهم بالخروج .

وسألته مسز ستون : ولمـاذا أخذت على عاتقك أن تعطبه هذا المبلغ .. انه مبلغ كبير .

وقال باولو :

ــ ان الصداقة أكبر من كل شىء .

وقالت مسز ستون ، فى سخرية :

ـ من علمك هذه العبارة .. مسز كوجان ؟

وقال باولو فى دهشة :

ـ مسز كوجان ؟

وأجابته مسز ستون :

ـ نعم .. اعلم أيها الصبى أنى لا أمتلك مجوهرات أتركها فى الحمام ، وأننى اذا لم أستطع أن أكون مرغوبة من الرجال لنفسى ، فلا أريد أن أكون مرغوبة لسبب آخر .

وتركته مسز ستون فى الشرفة ، ودخلت حجرتها ، وهى تتوقع أن تسمع صوته ، وهو يفتح المصعد ، وتعود هى الى وحدتها وفراغها .

ثم اندفعت مسز ستون الى الحمام ، فملأت قدحا من الماء المعدنى ، ثم عادت الى غرفة النوم لتجد باولو جالسا على طرف السرير .

وسألها باولو :

لماذا طلبت اذن أن تسمعى قصة صديقى .

وقالت مسز ستون :

لأنك شاب صغير جدا ، وجميـــل جدا ، وساذج جدا .
ولأنى لم أعد صغيرة ولا جميلة بعد . وقد كنت اوشكت أن
أصبح عاقلة .

واستلقت مسز ستون على السرير .

***

فى كل مكان كانت « مسز ستون » تذهب اليه كانت تجد
ذلك الشـــاب الجميل الرث الثياب يلاحقهـــا ، وكأنه يتوقع أن
تشير اليه .

وذات مساء ذهبت مع باولو الى الترزى لكى تصـــنع له
حلة من قماش (الفانلة) الفاخر الداكن . وكان باولو يتحسس
القماش فى فن صبيانى ، وطلب من الترزى حلتين بدلا من حلة
واحدة ، وأطرقت « مسز ستون » تعلن موافقتها ثم انسحبت
لتنظر من خـــلال زجاج المحل الى الطريق الواسع الممتد أمامها .
فلاحظت أن ذلك الشاب الجميل يقف وراء الزجاج ، وهو ينظر
اليها محدقا ، وهمت مسز ستون أن تنادى الترزى أو باولو .
لولا خجلها وترددها .

***

بعد ذلك بأيام ، كانت مسز ستون فى غرفتها فى انتظـار
« باولو » وكانت قد أتمت زينتها وارتدت ثوبا فاخرا اشترته

بالأمس من فرع روما لأحد بيوت الأزياء الكبرى فى باريس •

كانت « مسز ستون » تتوقع أن يبدى « باولو » اعجابه بثوبها الجديد ، ولكن « باولو » اندفع فى الغرفة ، ثم اتجـه الى المرآة لينظر الى حلته هو ، ودون أن ينظر فى اتجاه « مسز ستون » وقف يحدق فى المرآة وهو يتلفت ، ولمـا وجد أن زجاج المرآة لا يتسع لكليهما همس قائلا : معذرة ، ثم دفعها دفعة خفية بعيدا عن المرآة ، وأدار للمرآة الطويلة ظهره ، وقد رفع الجاكتة فوق مؤخرته ليرى طولها بالنسبة للموضة •

ولم تملك « مسز ستون » نفسها من الضحـك • فانفجر غضب « باولو » وألقى بعلبة سجائره الأمريكية على السرير ، وهو يقول :

« أتظنين أنى لست متعودا على ارتداء هـذه المـلابس الغاليـة » •

وانسحب باولو الى الحمام ، فنظر فى مرآته لحظات ، ثم ذهب الى الصالون •

وهمهمت مسز ستون لنفسها : يجب أن أحتمله فان هنـاك خمسا وعشرين سنة فرقا بين عمرينا ، ثم اتجهت الى الصالون : وملأت كأسين من الشراب ، ووضعتهما على المـائدة •

ولم يمد باولو يده الى قدحه ، بل قام متجها الى الشرفة ، ووقف يحدق فى الساحة الواســعة الممتدة أمامهــا ، ثم سألها فجــأة :

ــ من هذا الصبى الذى يتبعك دائما فى هذه الأيام ؟

وسألته مسز ستون :

ــ أين ؟ ..

وأجاب باولو :

ــ انه يقف هناك تحت المسلة المصرية .

وهبت مسز ستون لتلقى نظرة ، ولكنها لم تستطع أن ترى فى الظلام . وعادت هى وباولو الى الصالون .

وقال باولو :

ــ لابد أنك عملت على لفت نظره بطريقة ما ..

وأجابت مسز ستون فى حدة :

ــ انى لا أعلم شيئا قط عن هذا الموضوع .

وقال باولو :

ــ انى لم أعرف امرأة أمريكية تعترف بالحقيقة أبدا . وانى أنذرك أنك بسلوكك هذا سوف تندمين .

وتراجعت مسز ستون ، وهي حريصــة على ألا تنقضى الليلة فى هذه المشاحنات الحــادة ، وقالت له ، وهى تمد يدها بالكأس :

ــ كن هادئا ، واشرب .

ولم يمد باولو يده ليأخذ الكأس ، بل زم شفتيه ، ونظر اليها فى برود ، ثم أزاح الكأس بيده ، فانسكب بعض الشراب على ثوبها .

واجهشت مسز ستون بالبكاء ، ثم اندفعت الى غرفــة نومهــا .

وبعد لحظات قصيرة أدركها باولو فى غرفة النوم حيث جلس بجانبها ، ثم مد اليها فمه ، فقبلته وقد لفت ذراعها حول عنقه .

وخرج العاشقان ، واتجها الى مطعم « روزيتى » وكان « باولو » طوال الطريق مزموم الشفتين ، أما هى فكانت تعانى من أعصابها المتوترة اثر هذه المشاجرة الحادة .

ودخلا المطعم المزدحم ، وجلسا فى البار وسط مجموعة من الايطاليين لا تعرفهم « مسز ستون » وكان من بين الجالسين على المــائدة فتاة ايطالية عسلية الشــعر ، لوحت بقبضتها فى وجه « باولو » حين جلس على المــائدة ، ثم مدت يدهــا فى كأس الكوكتيل ، وأخرجت كرزة صغيرة حاولت أن تدسها فى فمه .

كانت « مسز ستون » غريبة وسط هذه المجموعة من الناس فجلست صامتة لا تتكلم ، وطاف حولهم عازف على كمـان ، وارتفعت ضجة الرقص والغناء ، وأخذت الفتاة الصغيرة تدفع فى فم « باولو » كرزة بعد كرزة • و « مسز ستون » تنظر أمامها كأنما لا يعنيها من الأمر شيء ، وفجأة فطنت الى أن قدمى « باولو » والفتاة تتعانقان من تحت المـائدة •

كان الجميع يضحكون ويشربون ، ولم يفطن أحد غيرها لقدمى الشاب والفتاة ، ولم يفطن أحد الى أن يد « باولو » التى كان يضعها فى حجره قد انتقلت الى حجر الفتاة ، بل لم يفطن أحد ــ حتى باولو نفسه ــ الى أن « مسز ستون » قد نهضت عن المـائدة ، وشقت طريقها الى الخـارج ، وهى على وشـك الاغماء ، وكان صدرها ثقيلا بالهم ، كانت ليلتها مثل تلك الليلة التى قررت فيها أن تعتزل المسرح اثر فشلها فى دور جولييت ليلة سقط الوهم عن عينها لأن فتنـة الجمال قد ولت • وهمسـت لنفسها ، وهى تقف خلف زجاج باب المطعم الخارجى : وماذا يعنى كل هـذا •• مازلت أعيش •• وسمعت بضع دقات معدنية على الزجاج وكأنها صدى همهمتها ، فالتفتت خلال الزجاج لترى ذلك الشاب الجميل الرث الثياب يقف خلف الزجاج مواجها لها ، ويطرق عليه بشيء معدنى فى يده •

والصقت وجهها بزجاج النافذة ، ثم نظرت اليه وقالت فى لهجة مريرة خافتة :

ــ لمــاذا تتبعنى •• أنظر الى وجهى ! ألا ترى وجهى العجوز ؟

وهمس الشاب لها من خلال الزجاج بألفاظ لم تتبينها ، ثم استدار ، وقد لف ياقة معطفه حول رقبته ، وتوقف بعد قليل ، وهو ينظر اليها ، وكأنه يدعوها للحاق به •

وفى تلك اللحظة خرج « باولو » من المطعم ، وسألها :

ــ لمــاذا تركت المــائدة ؟

وقالت له « مسز ستون » :

ــ أرجوك أن تستدعى سيارتى •

وانطلقا بالسيارة فى صمت • حتى ظنت « مسز ستون » أن تلك العاصفة من الغضب والحزن قــد انكشــفت ، وكان باولو » يجلس مبتعدا ، وقد وضع يديه فى معطفه ، ومد ساقيه فى حلته الجديدة • وعندما كانت السيارة تجتاز نهر التيبر تجرأت « مسز ستون » ووضعت يدها على احدى ركبتيه ، ولم يبد « باولو » استجابة •

واتجها الى مطعم « الفريدو » ، وما كادت تشرع فى تناول طعامها حتى هب « باولو » واقفا وهو يقول :

ــ يا الهى .. هل نسيت ؟

وسألته :

ــ ماذا نسيت يا باولو ؟

ــ هل نسيت أنك دعوت الكونتيسة وبعض الأصدقاء ليشاهدوا بعض الأفلام السينمائية فى بيتك .

ــ أنا دعوت ؟ !

ــ أنت دعوت .. أنا دعوت ! لا فرق . ولكنهم سيكونون بانتظارنا بالفيللا بعد خمس دقائق .

وهمت « مسز ستون » أن تبدى احتجاجها ، ولكن « باولو » كان قد نهض واقفا ، وابتعد عن المائدة . ودفعت « مسز ستون » الحساب ، وتبعته الى السيارة ، وهى تتميز من الغيظ .

لقد أهان كرامتها هذه الليلة الى أبعد الحدود ، وهى لن تسمح له بذلك مرة ثانية ، ولو كان ثمن ذلك أن يهجرها .

كانت السيارة تنطلق بهما نحو الفيللا وحين مد « باولو » يده اليها وداعب خدها بشفتيه الدافئتين ألقت بجسمها كله بين ذراعيه ، وهمست فى ضراعة :

ـ باولو .. باولو .. اننى لست المسز كوجان .. أنــا لست الا امرأة عجوزا لا تملك الا خمس شـعرات فى رأسـها وسنتين فى فمها ، وليس لديها ما تعطيه لك الا النقود .

وأجابها باولو فى ضيق :

ـ لست أفهم عم تتحدثين .

ـ أنظر الى .. يا باولو .

ـ لمـاذا .. ما الأمر ؟

ـ لأنى أريدك أن تعرف انى لست مثل المسز كوجان .

ـ لم أقل انك مثلها .

ـ انك تعاملنى كأنى يا باولو .. فى أمريكا مازالت لى شهرتى .. شهرتى كامرأة جميلة وموهوبة .. ومازالت محـلات الأزياء تضع صورتى على أغلفتها ، ومازالت صورتى تظهر فى اعلانات السجاير والملابس النسائية .. لقد كتب كثير من المؤلفين رواياتهم من أجلى .. وكتب بعضهم كتبا كاملة عنى ، اسأل أى انسان ذهب الى لندن أو نيويورك أو باريس عنى . اسـأل صديقتك الكونتيسة .. عندما نعود الى البيت يا باولو .. ليس الليلة فعندنا ضيوف .. وليكن غدا .. سأريك مجموعة من صورى على المسرح ومقالات المجلات عنى .

ودمعت عيناها ، وتحشرج صوتها .

وكانت السيارة تقترب من الفيللا ، وفجأة أمر « باولو » السائق بأن يوقف السيارة ، ثم قال لها :

ـ مادمت قد تحدثت عن صورك فى مجلات الأزياء فدعينى أقل لك اننى أيضا ظهرت صورتى فى كثير من مجلات أزياء الرجال ، كما رسمنى كثير من كبار فنانى أوروبا ، كما أنك لست أول سيدة مشهورة أعرفها ، ففى العام الماضى سافرت مع مسز جاميسون ووكر الى مراكش والأندلس.. وهى قد ظهرت صورتها فى المجلات فى شهر واحد أكثر مما كانت صورك تظهر فى سنة بأكملها .

وأمر باولو السائق بالسير ، واندفعت السيارة صوب الفيللا ، و « مسز ستون » تقول فى صوت كسير :

ـ انك على حق يا باولو . ان أسوأ ما فى الحب بين شاب صغير وامرأة تكبره فى السن .. انه لا مكان للكرامة فيه .

***

كانت الكونتيسة ، وثلاث سيدات صغيرات ينتظرن فى صالون « مسز ستون » وكانت احدى الضيفات ممثلة أمريكية شابة ، أعلنت الكونتيسة أن السهرة قد أقيمت لتكريمها .

كانت الكونتيسة قد قررت أمس فقط أن تزيل سوء

التفاهم الذى نشب بينها وبين « باولو » .. فاختارت الممثلة الأمريكية الشابة التى تعرفت اليها منذ أيام لكى تكون هى ثمن الصلح .

وكانت الكونتيسة قد طلبت من مسز ستون سلفة مقدارها ألف دولار . فاعتذرت « مسز ستون » بأن معظم أموالها مازالت فى أمريكا .

وهكذا طلبت الكونتيسة من « باولو » أن يقيم هذه السهرة فى منزل « مسز ستون » .

ودخلت « مسز ستون » يتبعها باولو ، وتصافح الجميع ، وشربت الكونتيسة وحدها زجاجة من الكونياك ، ثم أطفئت الأنوار . وبدأ عرض الأفلام .

كان « باولو » يجلس الى جانب « مسز ستون » وفجأة أعلن ضيقه بالأفلام ، وأضاء النور .

وقال « باولو » للممثلة الأمريكية الشابة :

ـ هل رأيت المنظر من هذه الشرفة ؟

وقالت الأمريكية .. لا :

وصحبها « باولو » الى الشرفة ، ومكثا فيها بضع دقائق ، ثم عاد « باولو » وحده .

وسألته « مسز ستون » :

ـ وأين فتاة الشاشة الحسناء ؟

وقال « باولو » :

ـ لقد انصرفت من باب الشرفة .

وسكتت « مسز ستون » ، ووجم الحاضرون .

وبعد قليل استأذن بقية الضيوف ، وقال « باولو » انه يحس بالصداع ، وطلب أن تأذن له « مسز ستون » بالانصراف .

***

ـ لقد كنت أعلم انك ستقول انك لن تستطيع البقاء معى الليلة ، وستتذرع بالصداع ، ولكن الصداع ليس هو السبب ، فانك على موعد مع هذه الرخيصة الحقيرة .

وقال « باولو » :

ـ ان كلمة رخيصة وحقيرة من الكلمات التى لا يجوز أن تجرى على لسانك .

وقالت « مسز ستون » :

ـ هل تظن اننى لا أعلم لماذا حضرت هذه المرأة الى هنا الليلة .. لأن صديقتك الكونتيسة تتجر فى الرجال ، وقد أرادت أن تبيعك لمن تظن أنه سيدفع أكثر .

وأجابها « باولو » :

ـ لم أكن أظن أن تفكيرك يصـل الى هذا الانحطاط •

ـ ذلك لأنني اختلطت بأمثالـ •••

ـ كفى ••

ووضع باولو يده على فمها ، وبيده الأخرى ضغط على كتفها العارى ، ثم صاح بها :

ـ لمـادا توجهين لى هذا الكلام البذىء •

وقالت « مسز ستون » فى انكسار :

ـ أنا لم أقل الا ••

ووضع يده مرة ثانية على فمها ، ثم قال لها :

ـ لقد قلت الكثير • انك امرأة محدثة نعمة ، مغرورة بمجدك وثروتك وصورك على المجـلات ولكن هذه المدينـة مدينة قديمة جدا ، أن عمرها ثلاثة آلاف سنة ، كم عمرك أنت•• خمسين وهمست لنفسها •• خمسين •

ثم بكت •

وهم باولو أن يمسح دموعها بيده ، ولكنهـا عضت يده بأسنانها ، فسحب يده وهو يسب بألفاظ ايطالية ، ثم صفعها بيده الأخرى •

***

كانت « مسز ستون » وحدها فى الفيللا •

واندفعت من الصالون الى حجرة النوم . ونظرت الى السرير الأبيض الواسع ، وهى ساكنة صامتة . وكان النوم يزحف على المدينة القديمة كان كل شيء يزحف حتى الوقت والوجود . لم يكن هناك شيء واحد يقف فى مكانه .

أوه . نعم . هناك الشبح الذى يقف تحت المسلة المصرية ، انه يقف نفس الوقفة ، وزحفت هى الى غرفة خلفية ، ثم زحفت الى الحمام حيث ملأت كوبا من الماء المعدنى ، ثم زحفت الى البار فوضعت الكوب على قاعدته .

وكان الشبح مازال واقفا تحت المسلة .

وزحفت الى السرير ، ذلك السطح الثلجى الأبيض ، وارتمت عليه ، ثم قامت مرة ثانية متجهة الى الحمام ، وملأت كوبا ثانية من الماء ، وشربت منها بضعة جرعات على غير عطش. ثم وجدت نفسها تقف فى الشرفة .

وفجأة بدا شيء ما يحدث ، شيء لم تعد له أو تفكر فى حدوثه ، ولكنه كان يحدث رغم ذلك وكان يحدث تحت ارادتها . لأنها هى التى أشارت بمنديلها الأبيض ، ورفعته وخفضته بسرعة فى هواء الليل ، ثم ألقت فيه مفتاحان معدنيان ثقيلان .

وهناك فى أسفل الميدان ، كان الشبح المنفرد يتحرك من مكانه تحت المسلة المصرية ، ثم يقف ليلتقط المفاتيح ، وهو يشير برأسه الجميل .

النساء حين يتحطمن

تـأليف

سيمون دى بوفوار

نشرتهـا دار المعـارف سنة ١٩٨٤

٢٠٩
(م ١٤ ــ القصة والشعر)

ليس هناك كثير جديد يقال عن سيمون دى بوفوار ؛ فهى الروائية المسرحية الفيلسوفة ، وأذكى نساء عصرنا وألمعهن فى مجال الثقافة والفكر وصديقة سارتر الروحية والجسدية .

وفى هذه المقدمة القصيرة نتتبع انتاجها حتى نصل الى عملها الروائى الجديد .

بدأت سيمون دى بوفوار حياتها الأدبية بثلاث روايات فلسفية الطابع . كانت أولها رواية « المدعوة » التى أصدرتها عام ١٩٤٣ ، واستغلت فيها مجموعة من الحوادث العارضة فى حياة طائفة من الممثلين والممثلات والمثقفين لتوضح ما قاله الفيلسوف هيجل من أن وعى الانسان بذاته يستتبع الوعى بالكون .. وكانت ثانى رواياتها « دماء الآخرين » . وهى تتبع فيها أسلوبا سرديا مستمدا من رواية فوكنر الشهيرة « الصوت والغضب » لتوضح قول دستويفسكى « ان كل انسان مسئول عن كل شىء يحدث فى العالم قبل أى انسان آخر » أما ثالث رواياتها الفلسفية فهى روايتها « كل البشر فانون » وقد كتبتها لتوضح أن الحياة البشرية التى لا تنتهى بالموت تفقد معناها ، فالغياب متمم للحضور ، والنفى وجه آخر من وجوه الاثبات .

فلقد عاش رجل يدعى « ريمون فوسكا » من القرن الرابع عشر حتى الآن . لقد ولد فى ايطاليا منذ خمسة قرون ، وطاف بالعالم وتولى المناصب وحاك الدسائس والمؤامرات وأحب وعاشر كثيرا من النساء .

توهم ريمون فوسكا حين وهب الخلود أنه سيستطيع تحقيق كل شيء ، لقد تصور أنه سيكون الها ، وسيستطيع السيطرة على العالم ، وتنظيمه . واذا به لا يجنى الا خيبة الأمل مرة أخرى .

لقد مات رفاقه جميعا وأصدقاؤه وأولاده وحفدته « كل الماضى قد سقط منى ، ولم يعد شيء يقيدنى . لا ذكرى ولا حب ولا واجب . لقد أصبحت مجردا من كل التزام » .

وهكذا تكون تعاسة الخلود !

كانت تلك هى المرحلة الأولى من نتاج سيمون دى بوفوار، حتى فاجأت الحياة الأدبية بروايتها الكبرى « المثقفون » أو « الحكماء » وعنوان الرواية بالفرنسية هو « المانداران » ، وهم هؤلاء الحكماء الصينيون الذين يحيطون بالامبراطور ويشغلون أنفسهم بالتأمل المجرد النزيه ، وقد رمزت دى بوفوار بهؤلاء الحكماء الى مثقفى فرنسا أو اليسار الفرنسى على التحديد فى أيام الحرب العالمية وبعدها ، وتتبعت مواقفهم السياسية

والعاطفية ؛ حتى يستطيع القارىء حين ينظر خلال قناع الفن الذى أسدلته الكاتبة على الشخصيات أن يميز شخصية جان بول سارتر وألبير كامى وريمون آرون وغيرهم من أعلام الفكر الفرنسى .

لقد انتهت الحرب ، وكانت المقاومة توحد بين اليسار وتصهره فى بوتقتها والآن آن وقت الاختلاف والتمزق لاعادة تشكيل اليسار الفرنسى وتوزعه بين شيوعيين ووجوديين مسئولين ووجوديين فلاسفة ، بل وعدميين .

وقد كانت المقاومة أيضا هى منبع مسرحيتها الوحيدة « الأفواه اللامجدية » التى تحكى قصة مدينة ضرب عليها الحصار حتى نفد أو كاد ينفد طعامها والمدينة تواجه الاختيار بين أن تطعم الأفواه اللامجدية .. أفواه النساء والأطفال .. أو تقضى عليها بالموت جوعا .

وتنصرف دى بوفوار بعد ذلك الى الفكر ، فتصدر كتابها « الجنس الآخر » وهو دراسة فلسفية نفسية بل وبيولوجية أيضا لوضع المرأة فى عصرنا الحديث .. ان المرأة تواجه الحياة من « موقف » فرضه عليها الرجل .

ثم تكتب سيمون دى بوفوار سيرة حياتها الباكرة حتى لقائها بسارتر فى « مذكرات فتاة رصينة » وتخرج خلال ذلك كتابا

عن الصين الشعبية بعنوان « المسير الطويل » ، وكتابا عن زيارتها لأمريكا بعنوان : « أمريكا من يوم الى يوم » ، فضلا عن عشرات المقالات الأخرى •

وهى تعود الى حقل الرواية بهذا العمل الروائى « النساء حين يتحطمن » وهو ثلاث قصص متوسطة الطول عن ثلاث نساء يتحطمن •• الأولى تحطمها الوحدة الناجمة عن سوء ظنها وغيرتها ، والثانية يحطمها هجر من تحبه ؛ والثالثة يحطمها تقدم العمر •

وتتبع دى بوفوار فى كل قصة من هذه القصص أسلوبا أدبيا يتفق ومحتواها ؛ ففى القصة الأولى تتبع أسلوب التداعى، أو المونولوج الداخلى ؛ وفى الثانية تتبع أسلوب المذكرات •

أما الثالثة ، فتتبع الأسلوب التقليدى فى حكاية القصة •

المرأة الأولى

ان حديثها لنفسها هو وسيلة انتقامها .

فلوبير

تنبع تعاسة هذه المرأة من سوء ظنها بالبشر جميعا .. انها ضحية كراهيتها للبشر . وتوهمها انهم جميعا يبغون بها السـوء ، وقد ورثت هذا الطبع عن طفولتها الباكرة ، ولم تجد الكاتبة اسلوبا يعبر عن هذه النفسية ادق من اسلوب التداعى ، ولهذا اختارته.. ان البطلة تتحدث الى نفسها فى ليلة تعيسة بالنسبة لها هى ليلة وحدتها فى احتفالات رأس السنة . ومن خلال تداعياتها نستطيع ان نلم باطراف قصتها .

هؤلاء الأوغـاد الأغبيـاء ! لقد أرخيت السـتائر لأمنع مصابيحهم الملونة الغبية وأضـواءهم الشريرة التى أوقدوها فى عيد رأس السنة من أن تتسلل الى شقتى . ولكن الضجة تخترق الجدران . وأصـوات فرامل السيارات وانطلاقها تفزعنى ، لقد وضعت نظـارتى السوداء على عينى ولففت رأسى بمنديل كبير ، ولكنهم يأبون الا ازعاجى بأضوائهم السخيفة وأبواقهم النابحة.. لو اصطدموا جميعا بعضهم ببعض تحت نافذتى لغدوت سعيدة.. تعاطيت كثيرا من الأقراص المنومة . ولكنها كانت بلا جـدوى

كان الطبيب مريضا بالسادية حين أعطاها لى فى هيئة أقماع فحاولت أن أحشو نفسى كأنى بندقية .. يجب أن أحصل على بعض الراحة ، فلدى حديث هام مع تريستان غدا .. يا للأوغاد انهم يقفزون ويقفزون فى رأسى . لقد حشوا بطونهم بالفواجراه الرخيص والدجاج المحترق ، ثم انطلقوا يدقون رأسى .. ان أخى (السيدة) نانار (زوجة) (١) السيد آتينيت .. هذا المخنث كان يفضل زوجى الأول « آلبير » على .. انه النبت السيىء لأمى السيئة . كان أبى يرفع نانار على كتفيه ليرى صواريخ عيد رأس السنة ، وأنا ملقاة على الأرض بينه وبين أمى .

وتقول أمى : ها هى ذى لا تكف عن البكاء بلا سبب . كان نانار هو الملك .. وكان من عادتها أن تأخذه الى سريرها فى الصباح بعد أن يخرج أبى ويظلان يتهارشان .. يا له من أمر مقزز .

هو يقول ان هذا لم يحدث ، ولكنه طبعا لن يعترف ، وربما كان قد نسى ، فالبشر ينسون دائما ما يجدونه لا يلائم الصورة الكاذبة التى رسموها لأنفسهم ، لا أريد لفرانسيس ابنى أن يكون مخنثا مثل نانار . أريد أطفالا سويين . انك لابد أن تكره النساء لأن واحدة منهن تزوجت هذا البقرة . أخى

---

(١) تسخر البطلة من اخيها وتتهمه انه انثى .

البقرة .. ولكن كم منهن فى الحياة . مئات بل ألوف فى شوارع باريس . ألوف أخرى فى كل مدينة من العالم . ثلاثة آلاف مليون ، وغدا يصبح الأمر أسوأ ، فالمجاعات والأوبئة وحدها لا تكفى للقضاء عليهن . لم أكن أبدا مثل بقية النساء . لقد كنت دائما فتاة نظيفة مستقيمة غير مهادنة . لا غش على الاطلاق. كان هذا الطبع المستقيم فى دمى منذ كنت طفلة . كانت أمى تقول : أنت تحبين أخاك الصغير ؟ وكنت أقول بهدوء :

أنا أكرهه .. أوه ، الضجة زادت ، حتى من البناية فوق شفتى وحولها وتحتها . ماذا بحق الشيطان يفعلون ، انهم يضحكون جميعا فى ساعة معينة من يوم معين لمجرد أنهم بدءوا يستعملون تسجة حائط جديدة . طول عمرى ، وأنا أكاد أجن من هذه المظاهر الهستيرية .. يجب أن أكتب قصة حياتى ، فنساء كثيرات يفعلن ذلك ، وهناك ناس يطبعونها وناس يقرءونها ، وناس يتجادلون حولها . ستكون أكثر امتاعا من كل هذا الهراء .. انها تجعلنى أتصبب عرقا حين أذكرها ، ولكنى قد عشتها ، دون أكاذيب أو خداع ، وكم يغيظ أعدائى أن يروا اسمى على الكتاب وصورتى فى نوافذ المكتبات ، وعندئذ يعرف كل انسان الحقيقة ، ويقف أمامى صف من الرجال يركع تحت قدمى ، فالرجال يتدافعون نحو المرأة الشهيرة ، وربما التقيت عندئذ برجل يعرف كيف يحبنى .

كان أبي يحبني .. لم يحبني غيره ، أما ألبير زوجي الأول فلم يكن يهتم الا بالسرير . ورغم أنني كنت صغيرة وساذجة الا أني همت به حبا . وكم عانيت فى تلك الأيام وأنا الفتاة المستقيمة الصغيرة حين عرفت أنه يعرف غيري . لقد خانني مع كل صديقاتي . أو معظمهن . أوه ، انهم يرقصون فوق رأسي . لقد ضاعت ليلتي وسأكون غدا كالخرقة الممزقة حين أقابل تريستان (١) . انهم سيكسرون السقف ويسقطون فوق راسي.. أكاد أراهم من هنا وكل منهم يحك بطنه ببطن مراقصته ، وكل منهم مستعد أن يصنع زوجا من أفخر القرون لأعز أصدقائه .

انى أكاد أموت عطشا ، وجوعانة أيضا .. ولكنك تذبحني ولا أغادر هذا المقعد وأذهب الى المطبخ . ان ماريت لن تأتى غدا لتنظيف المنزل والمطبخ ، وحسنا فعلت ، فأنا قد ضقت ذرعا بقصة سرطان أبيها . كما أن ما تطبخه لا يعجبني على أية حال ، وعلى أن أوجهها كما يوجه الكبار الأطفال الصغار . ان تريستان لا يوجه فرانسيس الى شيء . سيأتيان غدا ، وسيقول فرانسيس الكلام الذى لقنه له أبوه وسيكذب كأنه رجل كبير . سأقول لتريستان ان الطفل حين يحرم من أمه ينتهى به الأمر الى أن يصبح مجرما أو مخنثا . قالت لى ديدى الى متى تظلان منفصلين وزوجين . هو فى شقة وأنت فى شقة . الى متى تظلين

---

(١) تريستان هو زوجها الثانى .

محرومة من طفلك . هددته بالطلاق فقد يغير موقفه . ولكنه ضحك كثيرا حين حدثته . ان القانون فى صف الرجال . لقد قال ان النفقة الشهرية والشقة فى مقابل وجود فرانسيس معه .. انى تحت رحمته . ما أجمل أن أصحب طفلا فى الحادية عشرة من عمره الى السيرك أو حديقة الحيوانات . سيكون أسهل فى تربيته من سيلفيا .. كانت عنيدة وماكرة كأبيها « ألبير » لا ألقى اللوم عليها ، فقد ملأوا قلبها ضدى ، وكانت فى السن التى تكره فيها جميع البنات أمهاتهن . لقد ذعرت اتينيت زوجة أخى حين نصحتها أن تقرأ مذكرات كلودى ابنتها .. لم توافق . انها مثل النساء اللاتى يرفضن الذهاب الى الطبيب حتى لا يكتشف مرضهن بالسرطان . ولذلك فهما ما زالتا تتبادلان الخداع ، يا أمى الصغيرة العزيزة .. نعم . يا ابنتى الصغيرة العزيزة ، ولكن سيلفيا لم تكن تعرف الخداع لقد عرفت ذلك حين قرأت مذكراتها . وعرفت عندئذ أن كل ما أستطيع أن أفعله هو أن أنتظر حتى تكبر ، وعندئذ كانت ستفهمنى وتعرف أنى كنت على حق .

لقد خفت الضجة ، لا ترتفع الا حين يصفق باب سيارة ، ولكن هذا الصوت بقلب معدتى وأنا آكل عادة طعاما صحيا ، ولكن ليس فى العالم من الهواء النقى ما يكفى ، ان الهواء لم يتسمم بالسيارات والمصانع فحسب . بل بملايين الأفواه

الكريهة الرائحة التي تنشقه وتزفره من الصباح للمساء ، وعندما أتخيل أنى أسبح فى أنفاسهم أحس كأننى ملقاة فى وسط صحراء . كيف تستطيع أن تحتفظ بجسمك نقيا وسط هذا العالم المقزز الموبوء . ولكن كيف أستطيع أن أعيش وحدى . ثم أموت وحدى . انى أريد رجلا . أريد تريستان انه زوجى حتى الآن . ان سن الثالثة والأربعين ليست كبيرة . لكى أعيش فيها وحيدة . أنا مريضة مريضة مريضة مريضة .

تريستان الوغد . يجب أن يصحبنى الى مطعم أو مسرح . كل ما يفعله هو أن يأتى هو والطفل لمدة ساعة ثم يتسللان . سأنام لأقتل الوقت . ولكن كيف أنام وهذه الضجة حولى ، وفى رأسى أسمعهم يضحكون ويقولون انها وحيدة تماما . سيعود تريستان الى . سأجعله يعود . سأعود الى الحياة ، سأقيم حفلات الكوكوتيل ، وستظهر صورتى فى المجلات . وحول عنقى قلادة تكشف أنى أملك أجمل صدر .

لقد أزاحتنى أمى وزوجتنى لألبير وأنا صغيرة ليخلو لها الجو .. لمباذلها . ولكنى لم أكن أسمح لسيلفيا أن تتزوج وهى صغيرة . حقا كنت قاسية عليها ، ولكنى كنت دائما مستعدة للتحدث معها . ولكنها ماتت . سيلفيا ماتت . ان الموتى ليسوا قديسين . لم تكن سيلفيا على استعداد للتفاهم . لم تثق بى

على الاطلاق . لقد غضبت حين أديت واجبى كأم وفتشت فى أدراجها . ماذا أفسد هذا الجيل ؟

لمــاذا أتت الشرطة حين ماتت . لقد كانت سيلفيا مخطئة . لعله من المستحسن أن أحشو نفسى بهذه الأقمــاع المنومة ثم آوى الى الفراش . ليس فى عيونى نوم . يجب أن أكون مستعدة فى الرابعة بعد الظهر غدا لاستقبال تريستان وفرانسيس.سأذهب لشراء بعض الفطائر التى يحبها فرانسيس . كانت ديدى تقول لى : انك تسيئين التعامل مع تريستان . وكنت أقول لها : اننى صادقــة ولا أستطيع أن أجــامل أو أنافق ولا أحسب حسابا الا للحقيقة . لقد تزوجته لأننى قلت فى نفسى ان سيلفيا ستكون سعيدة حين يضمها بيت فيه رجل يقوم مقام الأب بعد أن طلقنى البير . تريستان مدير كبير فى بنك ، ولكن ماذا يهمنى حين أرى كثيرا من الرجال يخافونه . أنا لا أعرف الا الحق . أنا لا تهمنى الثروة أو المركز . بل لا يهمنى أى شىء . لا تهمنى الانسانيــة كلها . ماذا يعنينى وقد ماتت ابنتى وسرقوا منى ابنى .

ما زالت موسيقى الرقص تتردد فى البناية . ولكنهم قد كفوا عن الدق بأقدامهم فوق رأسى انى أعرف ماذا يفعلون الآن . انهم يمارســون الحب على الأرائك وفوق الأرض . انى آكاد أتقيأ . لقد ماتت سيلفيا دون أن تفهمنى . هــذه الرائحة التى شممتها يوم الجنازة .. ماتت ، مستحيل . جلست لساعــات

وساعات بجوار جثتها وأنا آمل أن تنهض • كل جهودى كل تضحياتى راحت عبثا ، تبدد جهد أيامى الى دخان • لم أترك شيئا للصدفة ، ولكن الصدفة تسللت الى بيتى وصرعتنى • هذه سيلفيا ميتة •

ميتة منذ خمسة أعوام الآن • ميتة للأبد يجب أن أحدث أحدا فى التليفون • من أحدث • أحدث ألبير • انه تبدد كلمحة فى ليلة كهذه • هـذه ليلته • ليلته مع العاهرات • هل أتحدث الى أمى • لكنها شتمتنى ولعنتنى ، ولكنى سأطلبها فى التليفون • من يتحدث ، أنت • دعينى أنام فى هدوء • لا تصرخى بهـذا الشكل • لقد أقفلت السكة •

لكم تكرهنى هـذه المرأة ، كانت تقول لى : أنت سـيئة الظن • ولكن الغيرة فى رأيى ليست سوء ظن • للحب الحقيقى منقار ومخالب • ولست من النساء اللاتى يرضين بالمشاركة • كنت أريد أن نكون زوجين نظيفين • ولم أكن أخشى الحـديث فى اى موضوع ، أو خلق أى موقف مما يسميه تريستان مشاحنة مادمت على حق •لا أريد أن أسمح لأحد أن يجعلنى موضـع سخرية من وراء ظهرى • انى أستطيع أن أنظر الى ماضى وأنـا مطمئنة فأراه ناصعا نظيفا •• وأنا أعلم أن صديقاتى العزيزات لا مانع لديهن من خيانتى مع زوجى •• فالنسـاء خنزيرات • أنا الطائر الأبيض الوحيد فى سرب الطيور السود •

مسكين أيها الطائر الأبيض .. انك فريد فى هذا العالم . وهذا ما يثير جنــون من حولك . انى شيء أبعد منهم بكثير وأرفع .. لقد أخطأت طريقى الى هذا الكوكب .

أوه .. لمــاذا يحدثون كل هــذه الضجة تحت نافذتى . انهم يقفون بجوار سيــاراتهم .. لمــاذا لا يحزمون أمرهــم ويضعون أقدامهم الملعونة فى سياراتهم الملعونة .. سأرش جردلا من المــاء على رءوسهم .. لقد انصرفوا جميعا فى لحظات .. لم تبق سيارة . لم تبق خطى أقدام على الطريق ، لم يبق صوت فى البناية . الصمت . صمت غرفة الموت والعيون تتهمنى . عيون أمى وأخى وتريستان وألبير ، حزنى لا يشفع لى . ستظل كل حياتى هى الســاعة الثانية بعد الظهر من يوم ثلاثاء فى شــهر يونيو .. حين جاءت ماريت لتقول « الآنسة مستغرقة فى النوم ولا أستطيع أن أوقظها » .. دق قلبى بالنذير . واندفعت الى غرفتها (سيلفيا .. هل أنت مريضة) ؟ وكانت تبدو كأنها نائمة ، وكان جسمها ما يزال دافئا .. « سيلفيا لمــاذا فعلت هذا بى » . كان بجوارها زجاجة منوم ورسالة الى أبيها تقول فيها انها لم تعد تحتمل . تحتمل ماذا ؟ ماذا فعلت بك يا سيلفيا .. لقد جاءوا جميعــا وقبلوك وبكوا ، ولم يقبلنى أحد ، ولم يعزنى أحد ، وقالت لى أمى : أنت قتلتها .

وأحاط بى حقدهم .. السفلة . لست ضحيتهم ، ولست

ذنبكم وندمكم •• ابحثوا عمن أساء اليها • من أفسد عقلها •• صديقة أو مدرسة مدعية ثقافة أو صديق عابث •• أحد هؤلاء من قتلها لا أنا •• لقد أهلتم التراب على •• وضعتهم الطين على رأسى • أوقفتمونى ازاء ابنتى •• نظرتم اليها كشهيدة والى كمجرمة ، المجرمون •• لقد قتلوا سيلفاى •• حبيبتى الصغيرة • لقد أحببتها ، ولم أفكر فى شىء الا فى سعادتها ، بنت السابعة عشرة قتلوها •

لقد أراحنى البكاء •• وبدأت أحس بالنوم ، سأحشو نفسى بأقماع المنوم ، ثم أذهب للسرير ولكن لماذا أنتظر للغد•• فسأخاطب تريستان بالتليفون الآن •• لأرجوه أن يعود •

المرأة الثانيــة

تحكى لنا سيمون دى بوفوار فى هذه القصة ، حكاية امرأة يقع زوجهــا بعد بضعة وعشرين عامــا من الزواج فى حب امرأة أخرى ، ويقسم وقته برضائها بين زوجته وبين صديقته ، والزوجة ترضى بهذا الوضع الذى يشبه تعدد الزوجات عندنا امــلا فى أن تسترد زوجها بهدوئها وتعقلها .

ماذا يحدث بعدئذ . ؟ هل يعود الزوج الهاجر ؟

لنقرأ صفحات من مذكراتهــا بدءا من ايام الســعادة حتى أيام الشقاء . !

الاثنين ١٣ سبتمبر

لم أفترق عن موريس قط ، وأنا خفيفة القلب . سيستمر المؤتمر أسبوعا واحدا ، ولكن غصة كانت فى حلقى رغم ذلك وأنا أقود السيارة من موجان الى نيس لكى يطير موريس منها الى المؤتمر فى روما . وعندما أعلن الميكروفون أن على مســافرى روما أن يتوجهوا الى الطائرة ، ضمنى موريس بقوة وقال لى : اياك أن تموتى فى طريق العودة . وقلت : ايــاك أن تموت فى الطائرة « وابتسمنا » والتفت الى وهو يصعد سلم الطــائرة .. وأخذت السيارة متجهة الى باريس .. واستردت هدوئى فى

أثناء رحلة العودة ، وقررت أن أنفق نهاية الأسبوع متجولة فى الطريق فابنتاى ليستا معى ، وبجوارى فى السيارة خريطة لفرنسا ، ودليل الطرق الأزرق ، وبعض الكتب وسجائرى .

الثلاثاء ١٤ سبتمبر

مما يعجب موريس فى طبيعتى ذلك الشيء الذى يسميه « الاحساس بالحياة » .. وبعد أن تزوجت ابنتى كوليت وسافرت أختها لوسيان الى أمريكا قال لى موريس « عليك أن تبحثى عن عمل » ولكننى لم أتحمس ، فأنا أريد أن أعيش لنفسى ولموريس ، وفى ذهنى آلاف الخطط لقضاء الوقت السعيد .

الجمعة ١٧ سبتمبر

عدت الى باريس بسرعة لأن كوليت قالت لى حين طلبتها بالتليفون انعندها أنفلونزا ، وزرتها لأجد زوجها « جانبيير ».. يعنى بها ، فخرجت لأتوجه الى الحى اللاتينى وأجلس فى أحد المقاهى ، ثم عدت لأحاول القراءة ولكننى لم أستطع ، فأنا أريد أن أتحدث الى موريس ، وهو لن يأتى قبل ثلاثة أيام .

الأربعاء ٢٢ سبتمبر

منذ أن عاد موريس وهو يقضى أمسياته فى معمله مع تالبوت وكوتيرييه ، وهو يقول انهم بعد كثير من الأبحاث يقتربون من هدفهم .. قلت له بشبه غضب : اننى أحتاج اليك

فلا أجدك .. فقال لى ان الأبحاث تستغرقه .. لقد تغير موريس كثيرا .. لأعترف بذلك .. لقد ترك مهنته تأكل وقته ، بل وتأكله .. اننا قلما نخرج خارج باريس وقلما تتناقش نقاشا حقيقيا .. انه لا يعنى بالمال . ولكنه منذ عشر سنوات قرر برغم معارضتى أن يتخصص ، وأن يهجر عيادته كطبيب لينضم الى فريق من الباحثين فى مستشفى ، وقلت لنفسى معزية .. « لاشك أن دواء لسرطان الدم يسعد به بعض الرجال والنساء يستحق أن أضحى من أجله » .. لقد تزوجنا منذ اثنين وعشرين عاما وأنجبنا ابنتين كوليت الحبيبة ولوسيان العنيدة .. لقد تجاوزت الساعة نصف الليل ، وغضبى على موريس يزداد .. ما معنى أن يحارب الانسان ضد المرض والشقاء اذا كان يهمل زوجته .. انها لا مبالاة .. انها قسوة قلب .

الاثنين ٢٧ سبتمبر

وهكذا حدث ما حدث ! حدث لى .. !

كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل حين دخل .. كنت نائمة ، فاستيقظت على صوت الماء فى الحمام وعلى رائحة الكولونيا ، وناديت .. موريس .. فجاء وفى يده زجاجة ويسكى . وانفجرت غاضبة بينما جلس هو على المقعد ذى المساند .

« أين كنت •• هل كنت تسكر أو تقامر •• هل نسيت الوقت •• نسيت أن لك بيتا وزوجه » •• وصمت لأستطرد « هل هناك امراة آخرى فى حياتك » ؟ سألت هذا السؤال لأستفزه ، وأخرجه عن صمته ، ولكنه أجاب بهدوء :

« نعم يا مونيك هناك امرأة أخرى فى حياتى » •

ـ من هى ؟

ـ نويل جيراود •

ـ نويل ؟ لماذا :

كنت فى قرارة نفسى أعرف لماذا ، فهى امرأة جميلة لبقة سهلة •• نموذج للمرأة التى تتملق غرور الرجل •• ولكن هل يحتاج موريس الى من يتملق غروره •

استطرد موريس قائلا :

ـ أنا سعيد لأنك سألتنى •• فأنا أكره أن أكذب عليك •

ـ منذ متى وأنت تكذب على ؟

ـ منذ خمسة أسابيع •

ـ دعنا ننم ، وفى الصباح نفكر •

وأيقظنى الغضب مبكرة •• كنت أغلى بالمرارة الباطنية ، هذا الرجل الذى ينام بجانبى ينام بجانب امرأة أخرى ، وخرجت لزيارة كوليت ابنتى ثم عدت وأنا أقول لنفسى اننى سأصر على

أن يهجرها ، ولكن ما معنى كلمة « أصر » ازاء هـذه العاطفة التي يحملها لنويل ، ولم أستطع أن أستقر في المنزل لحظـات ، فقصـدت الى ايزابل صـديقتي وزوجة تور كوتيريه زميل موريس •• ونصحتني ايزابل بأن أصبر ، وكانت ترى أن من الطبيعي أن يفتش الرجل عن مغامرة ، ومن الطبيعي أيضا أن يكذب في الأيام الأولى ، ولكنها كانت تتوقع أن يمل موريس هذه المغامرة ، وأن على ألا ألعب دور الضحية ، وألا ألعب كذلك دور المرأة الشرسـة المشاكسـة •• قالت لي « كوني ودودا متفهمة •• وقبل كل شيء كوني صديقة لزوجك » •

الثلاثاء ٢٨ سبتمبر

خرجنا موريس وأنا ، وكنت مرحة كما أوصتني ايزابل ، ورقصنا معا •• ولكني كنت أفكر في نويل •• انها امرأة محامية معروفة ، مطلقة ، ولها بنت • وأنيقة جدا •• على الموضة •• انها مجرد فاتحة شهية •• وسينتهي الأمر سريعا •• مما سساعدني أنني لست غيورة بدنيا •• فلم يعد جسمي متعطشا •• لاشـك أن موريس يغدو أكثر شبابا في فراش نويل •

الجمعة اول اكتوبر

تصرفت بسوء للمرة الأولى •• قال لي موريس ونحن على مائدة الافطـار انه سيقضي الليل عند نويل في المسـاء الذي

يسهر فيه معهـا •• وانه سيقسم الأمسـيات بيننا •• ولكنى ما لبثت أن هدأت مادمت قد قررت أن أصبر •• وأنتظر حتى يمل ويعود •• بعد قليل سألت موريس :

ـ ماذا يعجبك فى نويل ؟

ـ خصلة ستقدرينها بلاشك •• انها تعطى نفسـها كلية لمـا تفعله •

الأربعاء ١٩ اكتوبر

عاد موريس من عطلة آخر الأسبوع من نويل كما أذنت له ، ورحبت به بجو من اللاتصنع •• ولكنى ما لبثت أن أفلت السيطرة على أعصـابى •• لقد أدركت لعبة نويل •• انهـا تريد أن تبرزنى فى صورة المرأة المخلصـة ربة البيت الراضية بالقليل ، أما هى فلها الحفلات والمراقص والمعارض والمسارح •• انها تعيره كتبا وتحب أن تلعب دور المثقفة •

قلت لموريس : ينبغى أن نخرج معا كثيرا •

ـ ولكنك تعرفين ضيق وقتى •

ـ ولكن وقتك يتسع لنويل

ولم ينطق بكلمة •

الاثنين ١١ نوفمبر

خرجنا فى عطلة نهاية الأسبوع الى الأماكن التى عرفناها فى عام زواجنا الأول .. نفس الفندق .. تقريبا نفس الغرفة .. أكلنا وشربنا ، فى غرفة النوم قبلنى موريس على خدى ، فتعلقت برقبتـه وقبلته فى فمه قبـلات محمومة ، ومددت يدى تحت بيجامته ، ولكنه فجأة هب واقفا ، وأزاحنى ، وسألته :

هل أنا مقززة الى هذا الحد ؟ وبكيت .

الأربعاء ١٣ نوفمبر

أحس بأن عطف موريس يؤلمنى ، انه آسف لمـا حـدث ليلة أول أمس ، ولكنه من وقتها لا يقبلنى أبدا فى شفتى . أحس بالتعاسة الشاملة .

الخميس ١٤ نوفمبر

لمـاذا اعترف لى موريس بعلاقتـه بنويل . ربما ضاقت نويل بالكتمان ، فآثرت أن تضع الأمور أمام عينى ، ودفعته لذلك لكى أقرر أن أترك لها الميدان .

الاثنين ١٨ نوفمبر

هل يذهب موريس حقا الى المعمل فى الأيام التى حددها لذلك أم يذهب الى نويل ، أمس توجهت الى المعمـل فلم أجد

سيارته ، ووجدتها عند منزل نويل .. انه يكذب على . أردت أن أبرز له فجأة وهو يغادر منزل نويل ، كان الأمر جديرا بأن يغضبه ، ولكن كان القهر قد استبد بى بحيث كان يجب أن أفعل شيئا ما . بعد قليل هونت الأمر على نفسى قائلة ان كذبه على معناه أنه ما يزال يقدرنى والا كاشفنى بصفاقة أنه يقضى الليالى المخصصة للمعمل عند نويل .

الخميس ٢١ نوفمبــر

كنا نتحدث عن نويل..قال لى : انها تفهم فى الفن الحديث ، وقلت له انها مدعية ، وابتسم ليقول :

ــ لا تجعلى نويل هى موضوع حديثنا دائما .

ــ انها جزء من حياتك وحياتك تهمنى .

ــ ألا يهمك من حياتى الا هذا الجانب ؟

ــ ماذا تعنى ؟

ــ ألا تهمك حياتى العلمية مثلا .. لم تحدثينى عنها قط .

ــ ماذا أقول عن حياتك العلمية .. ان أبحــاثك أعلى من مستواى .

ــ انك حتى لا تقرئين مقالاتى المبسطة .

ــ لست مهتمة بالطب كعلم .

ـ كان ينبغى على الأقل أن يكون لديك لون من حب الاستطلاع .

كانت هناك مرارة فى صوته ، كانت هذه هى المرة الأولى التى يشكو فيها من عدم اهتمامى بعمله . وللحظة واحدة قلت لنفسى ان هذه فضيحة ، فنويل تقرأ مقالاته وتناقشه فيها ، وقد أمالت رأسها لناحية كعادتها ورسمت على فمها ابتسامة .. ولكن الأوان قد فات .

السبت ٢٠ نوفمبر

كنا قد عدنا من السينما عندما سألته عما ينوى فى اجازات الشتاء ، فقال لى : انه سيقضى معى عشرة أيام فى المكان الذى أختاره وخبره مع نويل فى تورشيفل ، أحسست ببالغ التقزز من نفسى لتنازلاتى المتكررة .

ـ لا أريد هذه المشاركة .. اما أنا أو هى .

ـ أرجوك يا عزيزتى ، لا تطلبى منى أن أهجر نويل .. ليس الآن .

ـ بل الآن . قل فورا أتحبنى أكثر أم هى ؟

ـ بل أنت ، ولكنى أحب نويل أيضا .

ـ حسن ، اذهب اليها .. اخرج فى الحال .. خذ حوائجك واخرج .. اذهب وعش مع العاهرة .. القذرة .

وأمسك بمعصمى ، وقال لى فى صوت غاضب :

ـ اسحبى ما قلته الآن .

ـ انها شيء قــذر .. لقد استحوذت عليك بالتملق . فضلتها على ارضاء لغرورك .. ضحيت بحبى ثمنا لغرورك .. انك أنانى .

وصرخ قــائلا :

ـ من منا الأنانى .. انك لا تنظرين الا الى نفسك .. كنت دائما تقفين ضد نشاطى العلمى وتغارين منه .. تفضليننى طبيبا يلزم بيته . وكنت مسيطرة على ابنتيك حتى هربتا منك .. كوليت الى زوج أحمق . ولوسيان الى أمريكا .

وانخرطت بالبكاء .. وأعطانى حبة منومة .. ونمت وأنــا تعيســة .

الثلاثاء ٣ ديسمبر

أغار من عمله .. يا له من ادعاء . يجب أن أعترف أننى كنت باردة قليــلا ازاء نجاحــه العلمى . ولكن ذلك كان لأن ما يهمنى فيه كان هو الانسان لا العالم..كان فى الثالثة والعشرين حين تزوجته .. وكنت فى العشرين . كان طبيبا متمرنا مع أبى . ووجد له بعد الزواج عملا فى شركة « سيمكا » كطبيب معالج

وظل بها ثلاثة عشر عاما ، ولكنه ما لبث أن ضاق بالأمر • وآثر البحث العلمى فى مستشفى جامعى •• كنت ضد هذا التحول • أعود الآن بذاكرتى الى الوراء ، ترانى أجبرته على الزواج منى •• ترانى أسرعت فى انجاب الطفلتين ، فأجبرته بذلك على تأخير نشاطه العلمى ثلاث عشرة سنة •• لقد كنت أظن أن مستقبلى هو ما يحيرنى ، فاذا الماضى يحيرنى أيضا •

الجمعة ١٣ ديسمبر

دق الجرس لأجد صبيا يسلمنى باقة من الزهر • ومعها بطاقة (عيد ميلاد سعيد •• موريس) • بكيت وأنا أغلق الباب، وفى الساعة الواحدة جاء موريس • وقبلنى فى جبهتى قائلا : عيد ميلاد سعيد ، وبكيت على كتفه •• فربت على شعرى قائلا :

ـ لا تبكى يا عزيزتى ، لا أستطيع أن أحتمل أن تكونى تعيسة •• أنا مغرم بك جدا •

ـ لا •• انك لم تعد تحبنى •

ـ هناك أنواع مختلفة من الحب •

وجلسنا ، كنا نتحدث كصديقين •• كما أتحدث الى ايزابل أو مارى •

وقلت له :

ـ أسوأ ما فعلته أنك زرعت فى نفسى احساسا زائفا بالاطمئنان .. هأنذى فى الرابعة والأربعين من عمرى ويداى خاليتان ولا عمل لى ، وليس لى ما أهتم به فى الحياة سواك .

ـ ولكنى كنت أنصحك دائما يا مونيك أن تجدى لك عملا .

ـ كان حبك يكفينى .

ـ لم يفت الأوان بعد ، سأبحث لك عن عمل قريبا .

ـ وكيف ترى مستقبلنا ؟

ولزم الصمت ، وكأنه يحس أننى أحاصره . ثم قال بعد برهة :

ـ لا أريد أن أفقدك ، ولا أريد أن أهجر نويل أيضا .. ولا أعرف شيئا عدا هذا .

ـ وهل هى ترضى بهذه الحياة المزدوجة ؟

ـ انها مضطرة .

الأحد ١٥ ديسمبر

جاءتنى فكرة هذا الصباح .. ان الخطأ خطئى .. لقد تركت الزمن يمر .. وبدلا من أن أعيد الحياة لحياتنا الجنسية

عشت سـعيدة على الذكريات القديمـة .. لقد تركت الزمن يترك أثره على وجهي وجسمي بدلا من الذهاب لمعاهد التجميل أو ممارسة الرياضة . كما تركت ذكائي يذوى .. كنت أقول انني سأقرأ عندما يكبر الأولاد ، ولكن حياتي انحصرت بين جدران هـذه الشقة ، قلت هذا لموريس حين التقينا في المساء . فقال لي :

ــ لا تفكري كثيرا في الماضي .

وأجبته بمرارة :

ــ وهل أملك غيره ؟

والآن أسأل نفسي : هل يعيش موريس معي بدافع الشفقة فحسب .

الخميس ٢٦ ديسمبر

قـال لي موريس أمس اننا سنقضي الكريسـماس ورأس السـنة معا ، فهبت على نفخة من السـعادة ، واليوم ذهبنـا « للنادي ٤٦ » وهو كاباريه فاخر يقدم عشـاء فاخرا . وكان موريس مبذرا في ماله ورقته .

اول ينايـر

يجب ألا أدهش لرقة موريس ، فهو يريد أن يعوضني مقدما عن الأيام العشرة التي سيقضيها مع نويل .. خاصـة وأن نويل

تعودت أن تقضي الكريسماس ورأس السنة مع ابنتها في بيت زوجها السابق •

۲ ينايـر

سيسافر موريس ونويل غدا الى تورشيفل • انه رقيق جدا معي •• ربما كان يخشى أن أقتل نفسي •

۱٥ ينايــــر

ربما كان من الأفضل أن أفتح احدى المعلبات أو أغســل وجهي •• لقد أنفقت ساعات طويلة دون طعــام • لا أرد على التليفون ، ولا أغادر مقعدي •• ولكن هــذا هو ما اخترته • انهما هنــاك يتزحلقان معا ويأكلان معا وينامان معا • لم أكتب شيئا منذ أســبوعين في دفتر مذكراتي لأن الكوابيس والفزع والتعاسة لا يمكن التعبير عنها •• أحيانا أقف في النافذة حيث رأيته يخرج ذات صباح منذ أمد بعيد جدا ، وقلت لنفسي عندئذ انه لن يعود •• ترى هل أحببت مخادعا كل هــذه المدة • لست بلهاء أو مشاكسة ، وأنا أعرف أن ما بيننا طيلة العشرين عاما الماضية كان حبا حقيقيا •

۱۹ ينايـر

هل هذا صحيح •• ترى يكافئني موريس على تركي اياه حرا بأن يعود الي •• للمرة الأولى منذ أسابيع أنام بلا أحلام مفزعة أمس وأذهب في الصباح الى الحلاق ، ويتضــوع المنزل

بالنظافة والعطر . بل انى أشترى بعض الأزهار ، ومع ذلك فقد كان أول كلماته :

ــ كم تلوحين مريضة .

والحقيقة أننى فقدت أربعة كيلو جرامات من وزنى ، لقد احتضننى ، وهو يقول : « يا عزيزتى المسكينة » وكانت الدموع فى عينيه حين أضاف « لقد تصرفت كنذل » .

وقلت :

ــ ليس من النذالة أن تحب امرأة أخرى .. لا تستطيع أن تقاوم ذلك .

وهز كتفيه ، وهو يقول :

ــ ترى .. هل أحبها حقيقة ؟

وتغذيت بهذه الجملة يومين كاملين .. ترى هل أصابه الملل بعد معاشرتها طيلة هذه الأيام .

٢٥ ينايـر

بعد بضعة أيام من البقاء مع موريس فى البيت والاستماع الى الموسيقى ها هو ذا يعود اليها .

٣١ ينايـر

لقد فقدت كل سيطرتى على الأمور .. انى أعذر باستمرار .. لقد عادا متخاصمين ولكنهما ما لبثا أن تصالحا ،

وموريس لا يخفى فرحته بتصالحهما •• أمس كنت أتنــاول غــذائى مع ايزابيل فى أحد المطــاعم عندما ملت على كتفهــا وبكيت •• قالت لى ان المهدئات لم تعد تفيدنى ، ونصحتنى بأن أزور طبيبا نفسيا ، لا للتحليل النفسى • بل ليصف لى علاجــا مهدئا سريعا •

٦ فبرايــر

يجب أن أستقل الطائرة لنيويورك ، وأذهب لرؤية لوسيان ابنى واستشارتها •• انها لا تحبنى كثيرا ككوليت ، ولذلك لن تجاملنى • سأسألها أولا : هل كنت مسيطرة وأنانيــة ؟ وهل أنانيتى هى التى دفعتها للهجرة ؟

سألنى موريس أمس :

ـ كيف تستطيعين الحياة بهذا الشكل ؟

ـ أى شكل ؟

ـ لا طعام •• لا لبس • لا غسيل وجه ، لا حياة •

ـ ولمــاذا ؟

ـ لأنك ستمرضين أو تجنين • ومن جانبى فأنا لا أستطيع أن أساعدك لأننى جزء من المشكلة ، ولكنى أتوســل اليك أن تستشيرى طبيبا نفسيا •

وقام موريس واتجه لغرفة مكتبه . انه يظن أننى أحاول أن أثير شفقته ببؤسى .. هل هو على حق ؟

٢٦ فبراير

استجبت لنصيحة الطبيب النفسى . وقبلت وظيفة مساعدة لأحد الباحثين حيث أجمع له المادةِ العلمية من المكتبة الوطنية .

٣ مارس

بعض العزاء قبل الرصاصة الأخيرة .. أنبأنى موريس اليوم أنه سينقل الى شقة أخرى .. لا شقة نويل . وأن هذا لن يحول بيننا وبين رؤية بعضنا البعض ، تركت هذه الوظيفة .. السخيفة . نصحنى الطبيب النفسى أن أبتعد لفترة ، واقترح أن أذهب لزيارة لوسيان فى نيويورك .. ترى هل أوعز اليه موريس بهذا الفكرة . لقد نصحتنى ابنتى كوليت وايزابيل صديقتى بذلك أيضا .. ترى هل يتآمرون على جميعا ليخلو الجو لموريس ونويل .

١٥ مارس (نيويورك)

بعد أن ملأونى بالمهدئات قادونى الى المطار .

٢٠ مارس

ظنت لوسيان أن نيويورك قد تمتعنى .. ولكنى الآن

امرأة ميتة .. امرأة ميتة مازال لديها بعض السنوات لتسحبها وراءهـا .

٢٣ مـــارس

سأغادر نيويورك غدا . الليل حولى مظلم كالعادة . أرسلت برقية أسأل موريس ألا يحضر الى المطــار . فليس لدى القدرة على رؤيته .

٢٤ مـــارس

كانت كوليت وزوجها فى استقبالى وتعشيت معهما : ثم عادا بى الى المنزل . كانت النوافذ مظلمة .. وستظل كذلك . صعدنا السلالم ، ووضعوا حقائبى فى المدخــل . ولم أسمح لكوليت بالمبيت معى . يجب أن أتعود الوحدة .. انى أنظر الى البابين الموصــدين باب مكتب موريس وباب غرفة نومنــا . سيظلان موصدين . وكذلك باب الشقة الموصــد .. ولكنى أخشى أن يفتح يوما ويطالعنى منه وجه المستقبل .. انى خائفة من هــذا الوجه ، ولا أستطيع أن أصرخ طالبة النجدة .

انى خائفة .

المرأة الثالثــة

هذه القصة الأخيرة من قصص سيمون دى بوفوار عن امرأة يحطمها تقدم العمر ، واجـداب النفس والعقل ، وعجزهمـا عن الابــداع .

انها امرأة تشتغل بالكتابة ، وتفيق ذات يوم ، وقد أحسـت أن عالمها كله قد تغير من حولها . وهى تواجه فى هــذه الحيــاة الجديدة خيانة رجل أيضا ، ولكن هــذا الرجل ليس هو الزوج أو الصديق .. انه الابن !

وهذه هى القصة كما تحكيها .

نحن زوجان فى الستين ، أندريه زوجى وأنا ، وهو فوقها بقليل وأنا دونها بقليل ، وهو عالم وأنا كاتبة ، ولقد مال شـعر أندريه للبياض منذ أن كان شابا ، ولكنه احتفظ دائما بابتسامته اللامعة ، خلال هذه الحياة الطويلة التى عشناها معا ، حيـاة امتـلأت بالضحـك والحزن الدفين ، والاعترافات والصمت ، وأخيرا بالانتاج .

سألنى أندريه هذا الصباح ، ونحن نشرب الشاى :

ــ لعلك موفقة فى تأليف كتابك ؟

ـ وأنت .. لعلك موفق فى بحثك ؟

ولم يجب أندريه ، ففي ميدان البحث العلمي كثيرا ما يتوقف العالم عند مشكلة ما ، تبدو عسيرة غامضة ، حتى يتاح له بنوع من الالهام أن يهتدى الى الحل ، ولقد كان أندريه بلاشك يواجه مشكلة من هذا النوع .

وخرج أندريه الى معمله ، ودعتنى القصاصات والأوراق البيضاء على مكتبى الى العمل ، ولكن كلمـات أخرى كانت تتراقص فى رأسى ، وتحول بينى وبين التركيز « سيعود فيلبب الليلة بعد أن غاب عن البيت حوالى شهر » ودخلت غرفة فيليب، وأخذت أتأملها وأعيد ترتيبها ، ثم خرجت لشراء بعض الفواكه والزهور ، ثم عدت الى البيت ، وعاد أندريه متأخرا بعد أن حضر اجتماعا للجنة الفرنسية لتحريم الأسلحة النووية وسألته :

ـ هل كان الاجتماع ناجحا ؟

لقد أعددنا كلمات بيان جديد ، ولكنى لا أذهب بعيدا مع الأوهام ، فلن يكون له أثر أكثر من البيانات التى سبقته .. اننى أحس كأننى أريد أن أهجر كل شىء .. أن أذهب الى كوبـا أو مالى .. انى أفكر فى ذلك حقا . فهناك قد يستطيع الانسان أن يكون ذا نفع .

ـ هل لا تستطيع العمل فى معملك بعد الآن ؟

ـ لن يكون ذلك كارثة بأى حال .. مجرد عالم يعتزل .

كان أندريه يدأب فى هذه الأيام أن ينبئنى أن كل الأفكار الجديدة فى مجال البحث العلمى باتت تنبع من معاونيه الشبان ، لا منه ، وأنه قد أصبح عجوزا بحيث يعجز فكره عن ابتكار شىء جديد ، وكنت أقول له اننى لا أصدق هذا كله ، وأظنه نوعا من البحث عن الثناء والتعاطف ، وفى تلك الأمسية قال لى :

ـ لقد طالت مدة اجدابى وعجزى حتى تجاوزت الخمسة عشر عاما .. لقد انتهيت كعالم .

قال ذلك بابتسامة ، وضحكنا ، وأخذت أفكر .

لقد مررت باحساس كهذا منذ عشر سنوات ، كنت قد ضقت بجسدى ، وكان فيليب ابنى قد كبر ، وقد نجح كتابى عن « روســو » . ثم أحسست بالفراغ .. كان تقدم الســن يملؤنى بالتعاسة ، ولكن بعد شهور بدأت فى كتابة كتاب عن « مونتسكيو » ، وساعدت فيليب حتى حصل على الاجريجاسيون ووجهتــه الى تقــديم رســالة للحصــول على الدكتوراه . ثم سعيت حتى عهد الى بتدريس بعض المناهج فى السوربون ، وهكذا عدت الى الحياة ، رغم أن جسمى فقد نوازعه ورغباته .

وعدت الى نفسى ، حين سمعت أندرية يتحدث الى أمه فى التليفون .. انها تعيش وحدها فى بيتها بافينون . وقد جاوزت

الخامسة والثمانين وهى مع ذلك عضـــوة منظمـــة فى الحزب الشيوعى •

كانا يتجادلان كالعـــادة فى التليفون •• ولابد أنها كانت تتهم أندريه كالعادة بالميول الصينية •

وفجأة دخل ابننا فيليب ، وعانقنى ، وأفلت من ذراعى ، لأرى بجانبه زوجته ايرين •• ايرين التى أنساها دائما •• لقد تزوجا بعد أن انتهت الدراســـة فى أواخر يونيو ، وذهبـــا الى سردينيا لقضاء شهر العسل •

سألت فيليب حين انتهينا من تبادل التحية :

ـــ هل ستعود الى العمل فى رسالتك ؟

ولم يجب فيليب •

وعدت للسؤال :

ـــ هل ستسافر مرة ثانية ؟

ـــ لا يا أمى ، لقد انتهيت فى هـــذه الرحلة الى قرار ، ان الحياة الجامعية لا توافقنى ، وسأبحث عن عمل •

ـــ أهى مسألة الأجر •

ـــ لا ، ولكنى أريد أن أعيش حياة طيبة • ان العمل فى

الجامعة زهيد الأجر فعلا ، ولكن ليس ما يهمني هو الأجر وحده، بل ما يتيحه من متع الحياة .

وأكملت ايرين بغبائها المعهود :

ـ لقد كان لي ابن عم كيميـائي يعمل في المركز القومي للبحوث بثمانمائة فرنك في الشهر ، وهو الآن يعمل في مصنع ويلهف ثلاثة آلاف فرنك .

وأحسست بالغضب يعتمل في داخلي .. ليس هـذا هو ابني .. وليس هذا هو المستقبل الذي أعددته له .. لم أصنعه هكذا باحثا عن النقود والحياة السهلة ، أحقا لن أشارك بعد الآن في صنع حياته وفي نصحه في كتابة بحثه وفي اعداده ليكون أستاذا جامعيا .

وصحب أندريه فيليب وزوجته الى المصعد ، ليتوجها الى البيت الذي استأجراه ، واسترخيت أنـا على الأريكة .. انه الفراغ مرة ثانية ، وحين عاد أندريه سألته :

ـ لمـاذا لم تعاونني في رد فيليب الى العقـل .. كنت تبدو كأنك مستسلم لرغبته .

ـ علينا أن نترك الناس أحرارا في اختيار مصيرهم ، والحق أنه لم يكن أبدا متحمسا للتدريس .

ـ ولكنه كان متحمسا لاعداد رسالته .

ـ الى حد ما ، الى حد يسهل معه أن يغير رأيه .. انني أفهمـه .

ـ انك تفهم كل انسان ؟

كنت أعني ما أقول ، فرغم أن أندريه أصبح مع الزمن أكثر التزاما في مواقفه السياسية . الا أنه يحتفظ بهذا الالتزام تجاه نفسه فحسب ، فهو لا يلبث أن يلتمس العذر للجميع ، ويوضح لنفسه وجهة نظرهم ، بل ويتقبلها ويتقبلهم ، بل ويذهب في كل ذلك الى حد يثير ثائرتي في بعض الأحيان .

وقلت له بعد قليل :

ـ انني أعلم أنك لم تقدر فيليب ومواهبه أبدا .. كنت تظنه دائما عاديا أو أقل من العادي .

وأجاب أندريه بصوت واهن :

ـ ربمـا .

كانت أضـواء اعلانـات النيون الحمراء والخضراء تلمع عندئذ وتنعكس على الزجاج ، وفكرت أنني كنت أستطيع منذ شهور قليلة في ليلة كهذه أن أصحب فيليب معي لنتناول شرابنا الأخير في أحد المقاهي . ولكنه الآن نائم بلاشك مع ابرين .

وانتهت هذه الليلة ، وفي الصـباح خرج أندريه مبكرا ،

وانصرفت لبعض العمل ، ثم عاد أندريه متأخرا قليلا وأخبرني أن فيليب قد التقى به في مدرسة النورمال حيث كان يلقي بعض محاضراته . وأنه أراد أن يتحدث معه منفردين .

وأضاف أندريه :

ـ لقد قال لي انه لم يخبرنا أمس بالموضوع كله .. لقد استقر على قرار منذ زمن بعيد ، وبحث له أبو زوجته عن عمل في وزارة الثقافة وسيسافر الي مكان ما لسنوات .

ـ مستحيل .. ان فيليب ابني ، ولن يخدم حكومة نقف ضدها ، ولن يمارس عملا لا نعرف طبيعته .. لقد اشترك في الاحتجاج على الحرب الجزائرية .. ووقف ضد ديجول ، وصوت مثلنا من أجل الحزب .

ـ لقد قال لي ان فكره تطور ، وان اليسار الفرنسي يمضي في طريق مسدود ، وانه يريد أن يكون في وسط التيار ، وأن يرى العالم .

ـ كأن ايرين زوجته هي التي تتكلم .

ـ لا .. لقد كان فيليب هو الذي يتكلم .

ـ اذن .. فهو وصولي .. انتهازي . يقلب معطفه لكي ينسجم مع السلطة . هل قلت له هذا ؟

ـ قلت له اننى لا أوافق على آرائه .

واتجهت فورا الى التليفون :

ـ فيليب .. لقد أخبرنى أبوك بما قلتـه .. يجب أن تخجل من نفسك .. انك ولد وصـولى .. انتهازى .. لن أراك ما حييت .

ووضعت السماعة ، وجلست أرتعد ، والعرق يتصبب منى، وقلت لأندريه :

ـ يجب ألا تراه مرة ثانية .. ان الخطـأ خطأ ايرين .. لقد أساء الاختيار .. انها من بيئة لا تناسبنا..بيئة البورجوازيين العفنة .. يجب ألا تراه ثانية .. وألا تتحدث الى عنه .

ـ أعتقد أننى سأراه .

ـ اذن فستفقدنى !

ومر يومان دون أن نذكر فيليب ، حتى وجدت فى صندوق البريد خطابا منه ، ولم أفتحه ، بل وضعته فى مظروف ورددته الى عنوانه ، وبعد يومين آخرين ، دق جرس الباب وفتحتـه لأجد ايرين .

وقالت ايرين :

ــ ان فيليب لن يحترف السرقة أو تزوير النقود حتى تقفى منه هذا الموقف •

ــ لقد كنت أريده أستاذا جامعيا ومناضــلا ، لا موظفا فى جهاز لا أعلم حقيقة مهمته •

ــ من المدهش أن أباه ، وهو أكثر منك التزاما حزبيــا كان أكثر منك تفهما لموقفه •

ــ كيف •• هل التقى به بعد لقائهما فى مدرسة النورمال ؟

ــ لا أدرى ؟ !

وخرجت ايرين • وعاد أندريه لأسأله فور دخوله :

ــ لمــاذا لم تخبرنى أنك التقيت بفيليب ؟

ــ ومن أخبرك بذلك ؟

ــ ايرين •

ــ لقد قلت لك من قبل اننى سأراه •

ــ اذن • فأنتما تتآمران معا ضدى ! لمــاذا لم تخبرنى •• انك لم تكذب على من قبل •• لمــاذا كذبت هــذه المرة •• اننى لا أريد أن أحادثك •• لا أريد أن أراك •• أريد أن أكون وحدى •• سأخرج للمشى قليلا •

وقال أندريه فى هدوء :

ـ اذهبى للمشى قليلا ، وحاولى أن تهدئى نفسك .

ظللنا يومين لا نتحدث ، وكان أندريه ينام على الكنبة فى مكتبه ، وصدر أول تعليق نقدى على كتابى الجديد ، وكان يقول اننى أكرر نفسى بعد نجاح كتابى عن « روسو » وزادت حالتى سوءا .

وجاء أندريه فى المساء ، وبدأنى بالحديث قائلا انه قد أغلق معمله واقترح أن نذهب الى ايطاليا .

وقلت له اننى أريد أن أبقى فى باريس ، ولما ألح فى السفر ، وافقت على أن نتجه الى بعض الضواحى . ولكن الرحلة زادت فى احساسنا أن كلا منا بعيد عن الآخر ، واقترح أندريه عندئذ أن يذهب لزيارة أمه ، وعدت أنا الى باريس .

وظللت فى باريس أربعة أيام ، أعيش وحيدة فى المنزل ، وذات أصيل دق جرس الباب . وعرفت الدقة .. لقد كان فيليب وعانقنى . وأخذ يتوسل الى أن أقدر موقفه ، ولكن العناد ركبنى وخرج فيليب ، وأنا أبدو أكثر غضبا ، وأحس أننى أكثر كآبة .

كان آخر حديثنا أننى قلت له :

ـ انك تحاول أن تخدعنى بعواطفك ، ولكن سلوكك يثير اشمئزازى ، ولهذا فأنا لا أريد أن أراك مرة ثانية .

وأجابنى فى غضب :

ــ ان سلوكى يثير اشمئزازك لأنه لا يتفق مع خططك .. ولكنى على أية حال لن أظل أطيعك طوال حياتى .. انك امرأة مستبدة .. لا قلب لك .. كل ما تملكينــه هو حب القــوة والتسلط .. حسنا .. الوداع . احتقرينى كما يشاء لك عنادك العجوز . أما أنا فسأمضى فى حياتى كما يحلو لى .

وصفق فيليب الباب وراءه ، وجلست ذاهلة ، وبعد بضع دقائق كنت أبكى ، ثم آوى الى فراشى .

كان فى صحف اليوم التالى تعليقان على كتابى .. تعليقان عدائيا اللهجة .. ان الكتــاب تكرار لنفس منهجى وأســلوب بحثى فى كتابى عن « روســو » ، ولكنه لا يضيف جديدا الى تقييم أعمال مونتسكيو .

اذن ، لقد أجدب ذهنى كما أجدب ذهن أندريه .. لقد أصبحت عجوزا لا تواتيها فكرة صائبة أبدا . لمــاذا اذن أكتب الجزء الثانى بعد أن أنفقت ثلاث سنوات فى كتابة الجزء الأول الذى لا يصلح الا للحرق .

ولكن هل كان كتابى عن « روسو » كتابا جيدا حقا .. هل كانت حيــاتى كلها مفيــدة .. وهل أحبنى أندريه كمــا

أحبته .. لقد مللت القاء الأسئلة على نفسى ، وانى لأريد أن أرى أندريه لكى يساعدنى فى الاجابة عن هـذه الأسئلة .

وفى الصباح كنت أتجه الى آفينون ، وعندما رأيت أندريه أحسست ببعض الاطمئنان ، وكانت « فانيت » أمه كريمـة بالحفاوة كعادتها .

وسألت أندريه ، ونحن نجلس فى الحديقة :

ـ هل قرأت التعليقات على كتابى ؟

ـ بعضـها .

ـ لماذا لم تحذرنى ، وتخبرنى أن الكتاب ردىء .

ـ أنت تبالغين .. انه ليس أكثر سـوءا من كثـير من الكتب .. وفضلا عن ذلك ففيه أشياء ممتعة .

ـ ولكنه لم يمتعك على الاطلاق .

ـ عنى أنـا . فلا شىء فى هـذه الأيـام يستحوذ على انتباهى .. وربما كنت أسوأ قارىء فى العالم .

ـ ولكن أحدا من النقاد لم يرض عنه .

لقد كان طموحك كبيرا ، وأعتقـد أن الجزء الثـانى سيحقق ما طمحت اليه .

ـ لن أكمل الجزء الثـانى .. فسيكون بلا شـك سيئا كالجزء الأول .

ـ وماذا ستعملين اذن ؟

ـ لا شيء . ان كل ما أحس به هو الخواء ، لقد انتهت حياتى الأدبية .

.

ومد أندريه ذراعه حول كتفى ، وأحسست أنه يعود الى ، وأن مرارتى تجاه فيليب تتجدد ، واننى أقترب من فزع الموت والوداع .. أقترب من دنيا المرض والاجداب العقلى والوحدة فى عالم غريب لا نستطيع بعد أن نفهمـه أو نمضى فى أيامه . هل أستطيع أن أفلح فى تأمل هـذه الآفـاق المرعبة الجديدة .. حمدا لله أننا معا.. آندريه وأنا ، فسيعين أحدنا الآخر على الحياة فى هذه المغامرة الأخيرة .. المغامرة التى لن نعود منها قط . ترى هل تعيننا هـذه المشاركة .. لا أدرى .. فلا أمل فى ذلك ، فليس لنا خيار .

الشـــعر

- لوركا
- قسطنطين كفافي
- ايفتشنكو
- جونار اكيلوف
- ليوبولد سنجور
- كريستوفر اوكيجو
- كويزي برو
- رضا براهني

لوركــا

(اســبانيا)

وداع

اذا أنـا مت

فدع شرفتى مفتوحة

الصبى يأكل البرتقـال

(ومن شرفتى أراه)

الحصاد يحصد القمح بمنجله

(من شرفتى أسمعه)

اذا أنامت ..

فدع شرفتى مفتوحه

***

انتحـــار

كان الصبى يفقد الوعى
وكانت الساعة العاشرة صباحا
قلبه مفعم بالأجنحة المتكسرة
والزهــرات الممزقــة
وكلمة واحدة بقيت فى فمه
وحين انتزع قفازيــه
سقط رماد الموت الناعم من يديه
البرج يبدو من نافذة الشرفة
وأحس الصبى بنفسه نافذة وبرجا
ورأى ــ يقينا ساعة الحائط الراكدة
ترقبــه من صـــندوقها

بل لقد شاهد ظله الهادىء المتكىء
على الأريكة الحريرية البيضاء
وحطم الصبى المرآة بفأس صغيرة
وحين حطمها ، غزا دفق الظل الوافر
مضجعــه الوهمى

موت أنتونيو الكومباريو

رنت أصـــوات الموت
قرب نهر « الجواد الكبير »
واستدارت الأصوات القديمة
حول صوت قرنفل الرجوله
ووخزته الأحذية كأنها عضات خنزير برى
فكان يقفز فى العراك بنعومة سمكة دلفين
وصبغ ربطة عنقه القرمزية بدم العدو
ولكنه كان يواجه أربعة خناجر
وكان عليه أن يستكين
وحين رشقت النجوم نبالها فى المـاء الرمادى

رنت أصـوات الموت

قرب نهر « الجواد الكبير »

***

انتونيو توريس هيرديا

كومباريو حقيقي

يا صوت قرنفل الرجولة

من سلب حياتك قرب نهر الجواد الكبير

« أبناء عمي الأربعة ، أبناء عمي من بينامي

لا يحسدون الآخرين على ما يحسدون أجله

الأحذيـة العالية الملونـة

السلاسـل العاجيـة

والبشرة المدلكة بالزيتون والياسمين

« آه انتونيو الكومباريو ..

يا مستحق امبراطوره

تذكر أن العذراء على وشك الموت من أجلك ..

« أوه ، يا فدريكو جارسيا

ابعث فى طلب الحرس الوطنى !
فخصرى قد انتهش ككوز ذرة ..
وشخب ثلاث دفقات من الدم
ومات مديرا وجهــه
كأنه عملة خالدة لن يعيدها الزمان

***

جاء ملاك مختال يضع رأسه على الوسادة
وملائكة آخرون أشعلوا مصباحا غازيا فى خجل مرهق
وحين وصل أبناء العم الأربعة الى بينامى
توقفت أصوات الموت قرب نهر الجواد الكبير

مــلك هــارلم

بملعقــــة
كان يغترف عيون التماسيح
ويخبط القرود على أعجازها
بملعقــــة
النار الأبدية ثوت غافية فى أحجار الصوان
والصراصير السكرى بالفتات نسيت طحلب القرى
الرجل العجوز المغطى بفطر الأرض
يقصد الى حيث يبكى الزنوج
بينما كانت ملعقة الملك تطقطق
وخزانات المــاء المتعفن تتوافد

***

الورود تهرب عبر أسوار أقواس الهواء الأخيرة

وفى أكوامِ الزعفران ، كان الأطفـال
يسحقون السناجيب الصغيرة
فى حميا من الجنون الزاهى

***

على المرء أن يعبر الجسور حتى يصل الى خجل الزنوج
فيستطيع أن يحس اريج الرئة
وهى تنبض أمام أصـدقائنا
بفصوصها الشبيهة بفصوص الاناناس الدافىء

***

على المرء أن يقتل بائع البراندى الأشقر
وكل أصدقاء التفاح والرمال
وعليه أن يضرب بقبضة مقفولة .
حبات الفاصوليا الصغيرة ، التى ترتعش مليئة بالفقاعات
كل ذلك حتى يستطيع ملك هارلم أن يغنى مصحوبا بحشد

***

حتى تستطيع التماسيح أن تغفو فى صفوف طويلة
تحت حصى القمر

وحتى لا يشك أحد فى الجمال الأبدى
لمنافض الريش ، ومباشر الخضر ، وأوانى النحاس ، وحلل المطبخ

***

آه هارلم ، آه هارلم ، آه هارلم
لا ألم يقارن بألم مضطهديك
أو بارتعاد دمك فى الكسوف الساكن
أو بعنفك الأصم الأبكم ،
العقيقى الملون حين ينتصف المساء
أو بسلكك العظيم السجين فى حلة حارس

***

كان الليل ينشق عما يحويه من السحالى العاجية الهائمة
والفتيات الأمريكيات يحملن الأطفال والنقود فى بطونهن
والشباب مغمى عليه على صليب الخطو البطىء
وتلك حالهم ، فهم الذين يشربون الوسكى الفضى بجنب البراكين
ويزدردون كسرات من القلب على قمم البيرة المتجمدة .

***

فى ذلك الليل كان ملك هارلم
يغترف بملعقة بالغة الصلابة
عيون التماســيح
ويخبط القرود على أعجازها
بكى الزنوج متحيرين بين المظلات والشموس الذهبية
ومط الخلاسيون اللادن
مشوقين أن يصلوا الى الجذع الأبيض
والمرايا المغطاة بسحاب الريح
ويسحقوا شرايين (الراقصين)

***

زنوج ، زنوج ، زنوج :
الدم لا أبواب له فى ليلكم المنكفىء
لا حميــا فى الدم
الدم يرتعد غضبا تحت الجلد
ويعيش فى شوك الخنجر
وفى قلب الأرض الخــلاء
تحت كلابات قمر السرطان السماوى

***

الدم الذى يبحث عن ألف طريق
مغطاة بالموت ورماد المســك
وعن سموات صلبة منحدرة
حيث تتدحرج عناقيد الكواكب
على الشيطان مع الأشياء المهملة

***

الدم الذى ينظر شزرا فى تمهل
الدم الذى امتزج فيه المسمار المضغوط
ونكتار الطوابق السفلية

***

انه الدم الذى سيجىء
سيجىء من فوق الأسطح ، ومن الشرفات
من كل الجوانب ليحرق خضرة المرأة الشقراء
ولينتحب بجوار الأسرة ، وجها لوجه مع أرق الحمامات
وليندفع فى وجه نهار أصفر باهت طباقى اللون

***

ليفر الانسان
ليفر الانسان الى الأركان ، وليحبس نفسه فى الأدوار العليا

لأن لب الغابة سوف ينفذ شقوقه ليترك في لحمك
أثرا رقيقا للكســوف
وحزنا زائفا على القفاز الميت
وعلى وردة الكيميـــاء
وفى أحكم صمت ، سوف ينتظر
الندل والطباخون ، وكل أولئك
الذين لحسوا بألسنتهم جراح أصحاب الملايين
سوف ينتظرون الملك فى الطرقات
وعلى نواصى البارود

***

ريح جنوبية من الأشجار ، تمايل فى الطين الأسود
وتبصق على القوارب الجانحــه
وتخز كتفيهــا بالمسامير
ريح جنوبية تحمل أنياب الفيله
وزهور عباد الشمس ، والحروف الأبجديه
وبطارية كهربائية انكتم فيها أزيز الزنابير

***

النسيان يكشف نفسه بثلاث نقط من الحبر على مونوكل

والحب يكشف نفسه بوجه خفي وحيد على سطح الحجر
واللحاء والتويج يشـــكلان فوق السحاب
صحراء من أعناق الزهر دون وردة واحدة
الى اليسار .. الى اليمين
الى الجنوب .. الى الشمال
هناك ينهض حائط لا يتأثر بالموج والمـاء
لا تبحثوا فيه أيها الزنوج عن صدع
تنفذون منه الى القناع الأبدى
فقد تحولتم أنتم الى مخروط ذى طنين
بل ابحثوا عن شمس المنتصف العظيمة
الشمس التى تنزلق خلال الغابات
واثقة من أنها لن تجد حورية واحدة
الشمس التى تحطم الأرقام ،
الشمس التى لم تتخلل حلما قط
الشمس الموشومة التى تنحدر على النهر
وتهبط بالتماسيح على ذيلها

***

زنوج ، زنوج ، زنوج .

لا الحية ، ولا حمار الوحش ، ولا البغل اصفر حتى الموت
الحطاب لا يعرف متى تهمد الأشجار الزاعقة التى يقطعها
انتظروا تحت ظل ملككم الأخضر
حتى تهدم المخدرات والشوك أكثر الشرفات فسادا

***

عندئذ ، أيها الزنوج ، عندئذ
تستطيعون أن تقبلوا عجلات الدراجة
فى جنون الحماسة ، وأن تضعوا المجاهر
فى عش السنجاب
وأن ترقصـــوا أخيرا ، آمنين

***

آه ، يا هارلم المتنكر ، يا هارلم المهدد بحشد من الحلل التى
لا رءوس لها
أن تمتمتك تصل الى
أن تمتمتك تصل الى عبر جذوع الأشجار وارتفاعها
عبر صحائف المعدن الرماديـــة ، حيث سيارتك المغطـــاة
بأســـنانك
عبر الخيل الميتة والجرائم الصغيرة
عبر ملكك العظيم المخذول الذى تمتد لحيته حتى البحر .

أغنية أحد أيام يولية

اجراس فضية فى عنق الثور

« أين تقصدين ، يا فتاة الشمس والثلج »

« أقصد حقل الأقحوان فى الوادى الأخضر »

« الوادى بعيد مملوء بالخوف »

« حبى لا يخشى الغربان السود والظلال »

« لتخشى الشمس اذن ، يا فتاة الشمس والثلج »

« لقد غادرت الشمس عتبات دارى للأبد »

« من أنت ، أيتها البيضاء ، ومن أين تقدمين ؟ »

« من الحب والنوافير أتيت »

اجراس فضية ضخمة فى عنق الثور

« ماذا تمسكين فى فمك ، فيتحول فيه الى لألاء »

« نجم حبيبى حيا وميتا »

« ماذا تمسكين فى صدرك ، حادا مستهينا »

« سيف حبيبى ، حيا وميتا »

« ماذا تمسكين فى عينيك ، أسود هادئا »

« ذكرياتى الحزينة الدائبة الايلام »

« لماذا ترتدين وشاح الموت الأسود »

« لأنى الأرملة الحقيرة ، التى تحيا فى الحاجة والبؤس .. أرملة سيد أكاليل الغار »

« عم تبحثين هنا ، اذا كنت لا تحبين أحدا »

« أبحث عن جسم سيد أكاليل الغار »

« انت تبحثين عن الحب ، أيتها الأرملة المزيفة ، أنت تبحثين عن حب أرجو أن تجديه »

« نجوم السماء الصغيرة هن مطلبى ، فأين أجد حبيبى حيا ، أو ميتا »

« انه يثوى فى الماء ، يا فتاة الثلج ، مغطى بالحزن وباقات الزهر »

« وا أسفا أيها الفارس التائه فى غابة الحياة ، روحى تهديك ليلا مضيئا »

« أوه ، يا ايزيس الحالمـة ، يا فتاة لا تحلو حكايتها فى فم الأطفال ، انى أعطيك قلبى ، قلبا رقيقا جرحته عيون النساء »

« أيها الفارس الشهم ، ليكن الله معك ، سأذهب للبحث عن سيد أكاليل الغار »

« وداعـا أيتهـا الفتاة الحلوة ، أيتها الوردة الفائحـة ، ستذهبين صوب الحب

وسأذهب صوب الموت »

أجراس فضية فى عنق الثور

وقلبى يقطر كنافورة ...

اغنية مـاء البحر

البحر يتسم على مدى البصر ، أسـنان من الزبـد ؛
وشفاه من السماء

« ماذا تبيعين أيتها الفتاة الحائرة ، العارية الصدر »

« أبيع يا سيدى ، ماء البحار »

« ماذا تحمل ، أيها الشاب الأسمر ، ممتزجا بدمك »

« أحمل يا سيدى ماء البحار »

« الدموع المالحة يا أماه ، من أين تجىء »

« أبكى يا سيدى بماء البحار »

« يا قلبى ، مرارتك القاسية ، من أين تنبع »

« ماء البحار شديد المرارة »

والبحر يتسم على مدى البصر ، أسـنان من الزبـد ؛
وشفاه من السماء

حـــلم

قلبى يبدأ بجوار النافورة الرطيبــة
« املأها بخيوطك يا عنكبوت النسيان »

وبقلبى تغنى ميــاه النافورة أغنيتها
« املأها بخيوطك يا عنكبوت النسيان »

قـــلبى المســـتيقظ غنى حبــــه
« يا عنكبوت الصمت انسج غموضك »

وميـــاه النــافورة تصـــغى بكآبــة
« يا عنكبوت الصمت انسج غموضك »

قلبى يســقط فى النـــافورة الرطيبة
« أيتها الأيدى البيضاء ، استوقفى الماء »

المـــاء يمضى بقلبى ، والمـــاء يغنى فرحا
« أيتها الأيدى البيضاء ، ابتعدى ، لاشىء
يـــــدوم فـــى المـــــــاء »

اغنيــات جديدة

يقول الأصــيل

« أنا ظمآن للظل »

ويقول القمــر

« أنا ظمآن للنجوم اللامعة »

وتسأل النافورة الرائقة البللورية عن شفاه

وتسأل الريح عن تأوهات

وأنا ظمآن للشـــذى والضحك

ظمآن لأغان جديدة ، خالية من الأقمار والزنابق

وخالية من الحب الذابل

أغان للغد ، تهب مياه المستقبل الثورة والهدوء ، وتملأ بالأمل تمــوجاتها وحمأتها

أغان براقــة لطيفة ، غنية بالفكر ، بريئــة من الأسف والندم ، وبريئة من الأحلام الواهمة

أغان لا يتخللها الشجو ، ولا تسـلأ صمتها بالضحــك (كطيران حمامتين ضريرتين ألقيتا فى وجه المجهول)

أغان تصـــل الى روح الأشياء ، روح الرياح ، ثم تستقر أخيرا فى فرحة القلب الأبدى .

أغنيات جديدة(*)

الأصيل يقول : انى ظمآن للظل ..
القمر يقول : انى ظمآن للنجوم اللامعة
النبع البلورى اللامع يطلب شفاها
والريح تطلب تنهـدات
وأنا ظمآن للشـذى والضحكات
وظمآن لأغـان جديدة
بريئة من الأقمـار والليالك
أغنيـة للغد تثير
ميـاه المستقبل الهادئـة
أغنية تصل الى روح الأشياء
والى روح الريـاح
أغنية تستقر فى نهاية المطاف
فى فرحـة القلب الأبـدى

(*) ترجمة أخرى لنفس القصيدة السابقة نشرها فى مقال بالأهـرام ١٩٦٤/٧/٢٤ .

منظـــر

حقل الزيتون الأخضر ، يتفتح ويغلق كمروحة

وفوق غيضـة الزيتون سـماء عميقة ، ومطر داكن من النجوم الرطبة وعلى ضفة النهر ، ترتعش الظلمة وأعواد القصب ويتموج الهواء الرمادى

وأشجار الزيتون مليئة بالصيحات

صيحات سرب من الطيور الأسيرة تحرك ذيولها الطويلة .

الجيتــــار

نواح الجيتــار يبدأ
أقداح الشروق قد تحطمت
نواح الجيتــار يبدأ
من الصعب أن تسـكتها
من المستحيل أن تسكتها
انها تبـكى برتابة كما يبـكى المـاء
كما تبـكى الريح على صوت سقوط الثلج
من المستحيل أن تسـكتها
فهى تبـكى لأشياء انقضت
بكاء رمال الجنوب الدافىء
تتوق لأزهار الكاميليا البيضاء
انها تبـكى سهما بلا هــدف
ومســاء بلا صــباح
وأول طائر مات على الغصن
أوه .. أيتها الجيتار
أنت قلب جرح عميقا ، بخمسة سيوف

أغنيـــة

الفتاة ذات الوجه الجميل تجمع الزيتون
والريح ، تهز الأبراج ، ولكنها تعانق خصرها
أربعة فرسان يعبرون على خيول اندلسية
يرتدون حللا زرقـاء
وعليها معاطف طويلة داكنة
« تعالى الى قرطبة ، يا فتاة »
والفتاة لا تعيرهم انتباها
ويمر بعد ذلك ثلاثة من مصارعى الثيران
خصورهم نحيلة ، وملابسهم برتقالية اللون
وسيوفهم موشـاة بالفضة
« تعالى الى اشبيلية يا فتاة »
والفتاة لا تعيرهم انتباها

وحين أتى المساء الأرجوانى بضوئه الغامض
عبر شاب يحمل ورودا وريحانا
« تعالى الى غرناطة ، يا فتاة »
ولكن الفتاة لم تعره انتباها
ومضت الفتاة ذات الوجه الجميل تجمع الزيتون
وذراع الريح الرمادية تحيط بخصرها

الصبى الأخرس

الصبى يبحث عن صوته (الذى يتمتع به الجندب)
فى فطرة من المـــاء كان الصبى يبحث عن صوته
أنا لا أريده لأتحدث به
سأجعل منه خاتما يلبسه صمتى فى أصبعه الصغير
فى قطرة المـــاء كان الصبى يبحث عن صوته
الصوت الأســير : فى المدى البعيد ، كان يختفى فى حلق
جندب

الزوجة الخائنة

وأخذتها نحو النهر
معتقدا انها عذراء
ولكن تبين أن لها زوجا
كان ذلك ليلة القديس جيمس
كانت أنوار الشارع تخبو
وفراشات الليل تتوهج
وفى حنيات الشارع الأخيرة
لمست نهديها النائمين
وتفتحا لى فجأة كأنهما
سنابل الخزامى(*)
وكان حفيف ثوبهن
يرن فى أذنى

(*) نبات طيب الرائحة .

كأنه قطعة من حرير
تمزقها عشرة خناجر
والأشجار ، دون ضوء فضى
على قممها ، غدت أطول
وأفـق من الكـلاب
تعوى بعيدا من النهـر
بعد أن اجتزنا أشجار البوص والشوك
وتحت عنقود شـعرها
صنعت فجوة فى الرمل الناعم
خلعت رباطى فخلعت ثوبها
وخلعت حزامى بالمسـدس
وخلعت هى صداراتها الأربعة
لا زهرة المسـك ولا الصدفة
لها مثل هذه البشرة الرقيقة
ولا مرايـا الزجـاج تشع
بمثل هـذا البريق

فى تلك الليـــله

عدوت فى أجمـــل الطرق

صعدت على أجمـــل المهارى

دون شـــكيمة أو ركاب

وكرجـــل لن أكرر

الأشياء التى قالتها لى

ضوء الفهم قد جعلنى أكثر حصافة

مبللة بالرمل وبالقبلات أخذتها

بعيـــدا عن النهـــر

وســيوف السوســـن

تتصـــارع مع الهـــواء

لقد تصرفت كما أنـــا

كغجـــرى تمـــاما

أعطيتها ملء سلة من الكرز الأحمر

ولم أرد لنفسى أن تقع فى حبها

لأن لها زوجا بينما قد قالت لى

انها عذراء ، وأنا آخذها الى النهر •

قسطنطين كفافى

(مصرى يونـانى)

من الفيلسوف الشهير

ظل طالب فلسفة لعامين عند أمونيوس ساكاس
ولكن الفلسفة أضجرته ، وكذلك الفيلسوف
فمال للسياسة ، ولكنــه صد عنها
الحاكم مأفون ، ومن حوله دمى رسمية بوجوه متجهمة
مشاغلهم الاغريقية ، يتداولون فيها كالبرابرة
واستهوتــه الكنيســة ،
ففكر فى أن يعمد ، ليصبح مسيحيا
ولكنه غير رأيه ، فقد كان ذلك يعنى شجارا
مع أبويه ، الوثنيين المتباهيين
وكان متوقعا منهما ــ وياللأسف ــ أن يمنعا عنه
عونهمــا الســخى
وكان عليه أن يفعل شيئا ، فأصبح زبونا

لبيوت الاسكندرية الفاسدة
ولأوكار الدعارة
وكان القدر رحيما به
اذ منحه وجها بالغ الحسن
فاستمتع بالهبة الإلهية
بعد عشر سنوات يذوى جماله
وعند ذلك ، فقد يعود الى ساكاس الفيلسوف
واذا كان الرجل العجوز قد مات عندئذ
فقد يقصد فيلسوفا أو سوفسطائيا آخر
فالرجل الملائم ليعلمك الفلسفة موجود دائما
ومن المحتمل عندئذ أن يتجه الى السياسة
اذ يتذكر تقاليد أسرته
أو دينه نحو وطنه
وما شابه ذلك مع دنان الكلمات .

العجوز والمقهى

عجوز معه جريـدة
يجلس الى المـائدة ذاهلا
وحيدا ، والمقهى مملوء بالضجة
وكان يفكر باسفاف فى مخاوف الشيخوخة
وقلة ما استمتع بشباب عمره وقوة بنيانه
انه الآن عجوز ، نعم ، ومع ذلك
فان أيام الشباب مازالت تخايله
ما أقصر العمر ، كان يثق عندئذ فى التبصر
وخدعته هـذه الكلمة الكاذبة
كان يقول لنفسه « مازال هناك وقت »
أو « فى يوم آخر سوف ... »
وكبت أشواقه ، وقدم فرحته قربانا للحكمة
كانت أفكاره وذكرياته عميقة
ومع ذلك ، فلقد انتصر عليها عجزه ووهنه
وغفا ــ رغما عنه ــ وغلبه النعاس
وحيدا على المـائدة .

ايتاكــا(*)

حين تزمع الرحلة الى ايتاكا
فتضرع لله أن يطول الطريق
وأن يمتلىء بالأخطــار والتجارب
ولا تخف من بوزيدون الغضوب
أو انسيكلوب واللايتسوبجوينات
فأشياء كتلك لن تجدها فى طريقك
اذا سمت أفكارك ، ومست عاطفة
عارمة روحــك وجســدك
لن تجد أشياء كتلك اذا لم تحملها فى روحك
اذا لم تشخصها روحــك أمامك
لتضرع أن يطول الطــريق

(*) مدينة اوليس التى قصــد اليها بعد عشر سنوات من الترحال .

وأن تكثر أيـام الصيف
حين تدخل موانیء لم ترها من قبل •
بفرحة غامرة وسرور عظيم
وتتوقف عند محطات التجارة الفينيقية
وتجمـع ألوان السـلع
اللالیء الكبيرة ، والعنبر والسمك
والعطور الملهبة للحس من كل نوع
ويجب أن تزور مختلف مدن مصر
لتتعلم وتزداد علما بملازمة العلماء
يجب أن تحفظ ايتاكا فى ذهنك
وأن تعرف أن الوصول اليها هو مقصدك
ولكن لا تتعجل الرحـلة
فمن الأفضل أن تستغرق عديد السنوات
وأن تكون عجوزا حين تلقى مرساتك

ايفتشـــنكو

(الاتحـاد السوفييتى)

الضحـــك

الملوك ، والاباطرة .. والقياصرة
الذين حكم بعضهم الكون كله
كانت أوامرهم تنفذ على الحشود الكبيرة .
ولكنهم لم يستطيعوا أن ينفذوا أوامرهم
على الضـــحك

***

« أيوب » ، ذلك الأفاق دخل يزور
قصور الرجـــال اللامعين
الغارقين فى الراحة الوثيرة يومهم كله
فوجدهم ليسوا أفضل من الشحاذين

***

وفى المنازل التى ترك المراؤون
فيها آثار أقدامهم ، دخل خوجة نصر الدين جحا
بنكاتـــه وضحكاتـــه

فقلب عقولهم الدنيئــة
كما يقلب صف من بيادق الشطرنج
كم حاولوا أن يشتروا الضحك
ولكنهم عجزوا ، لأن الضحك لا يباع
وعندئذ حاولوا أن يغتالوا الضحك
ولكن الضحك حك أنفـه لهم

***

من المستحيل ان تحارب الضحك
فقد شنقوه مرة بعد مرة
وكم تدلى رأســه المقطوع
من على قمــة صنوبرة
ولكن حالمـا يبدأ المهرجون فى الزمر والصفر
يحكون أساطيرهم المــاجنة
يهب الضحك واهنــا ، ويقول
لقد عدت ، لقد عدت
ويبدأ خطرة الرقص

بمعطف قـديم ناحـل
ووجـه منكسر ذليل
وقنـاع من النـدم
انه الآن مجرم سـياسى
انه تحت الاعتقـال
يدلف الى قضـائه
وهو يبدو الآن لكى يعلن استسلامه
وكأنه يعد نفسه للحيـاة الأخرى
ولكنه فجأة ، ينسل من معطفه
ويلوح بيده ، ثم يتشقلب

***

لقد دفع كثيرا الى الزنازين
ولكن هـذا السجن عاد عليه بالخير
فقد دخل الضحك الى السجن جريئا
ومر بالقضبان والحيطان الحجرية
وهو يسعل ويتنحنح ، وكأنه ضابط

ثم تقدم منشدا نشيده ، والمدفع فى يده

نحو قصر الشـــتاء

لقد اعتاد على الوجوه المتجهمة

ولذلك فهى لا تستطيع ايذاء

فى بعض الأحيان ينظر الضحك ضاحكا الى نفسه

فيجد نفســـه خـــالدا

رشيقا ومبادرا خفيف الحـــركة

ويعرف أنه سيخوض غمرة أى شىء

سيخوض خـــلال كل انسان

ولذلك

المجد للضحك

لأنه ... لأنه رجل شجاع

جونار أكيلوف

(السويد)

تنويعـــات

في أحلامي سمعت صــوتا
هل تحب هــذه الزهرة • يا حبيب
أم ورقــة من أوراقهــا
عندئذ وقعت في حيرة
فقد كان هذا السؤال الملغز هو سؤال حياتي
هل أفضــل الجزء على الكل
أو الكل على الجــزء
لا ، اني أريد كليهــا
جزء الكل ، والكل
وألا يكون في هذا الاختيار أي تناقض

***

لم تكن الشمس أو القمر أو النجوم
هي التي منحتني النور
ولكن الظلمة ، ونور الحب داخلي

وشفاعاته التى اخترقت جسمى
كأننى كنت لا أحـد
وانت ، يا فطومة ، أعطيت روحى ظلا
حين منحتنى مصباحا فضيا
وأنت تمضين عنى

***

حبيب ! حبيبى ، هل نلتقى لديك أو لدى
كان ذلك هو صدى صوتها الساحر فى الليل
نلتقى لديك ، كان ذلك صدى جوابه الساحر
وتجولا ثانية فى خلال الليل ، بعيدا عن المدينة
بعيدا عن أطراف المدينة ، وتجاوزا واحات الحدائق حتى
وصلا الى قلب الليل
وأضاء الفجر نفسه فى الرمال ، فى الشمس التى صعدت
خارج الليـل
وأصبح القمر شاحبا ، وألقت الشمس ظلالا أكثر دكنة
وحين غربت جاءا الى مكانها ، فى الليل
واختفت كل الطرقات . وأغفيا بجوار بعضهما البعض
ودونه كان لا يبين شيء من ظلها ، ولكن حين غيرا وضعهما
كما يفعل العشاق

كان شيء ما لا يبين تحت ظله
وهكذا أصبح الليل نهارا ، وأصبح النهار ليلا

***

الشباب يرقصون ويدقون ساقا بساق
والفتيات يغطين وجوههن كل بنقابها
كل من الفريقين يعبر عن رغبته بطريقته
وهى رغبـــة متبادلة بينهم
أما أنت ، فتبقين خارج مجال الحصول
تبقين أنت .. الواحدة المفردة
عيد بشراى
جاء فى يوم محنتى
لننـــم
كل منا بمفرده
وكلينــا متقاربان
حديثنا على الطــريق
بين أرض المــاء وأرض العطش
يجعلنى أتذكر الأيام المزهرة فى شبابى

***

لقد قلت لنفس

بعد خمسين عاما ، من مراجعة النفس والشك

لقد أصبحت عاجزا كطـائر أزغب

أعيد تذكير نفسى بالطريق الممتد

عين بئرى .. نعم .. ولا ..

وكيف قدنا ابلتنا صاعدة هابطة على التل

وكيف أشعلت لها النار بقدح الأحجار

وبالأعواد التى ورثتها من شجرة اللاشىء

وبحك عود من هـذه بعود من تلك

ليوبولد سنجور

(السـنغال)

باريس فى الثلج

زرت يا ربى باريس فى يوم ميلادك
لأنها أصبحت مراوغة ورديئة

نقيتها بالثلج الذى لا يذهب نقاؤه
المـوت الأبيض

هى مداخن المصانع رفعت فى انسجام
هـذا الصباح
أعلامهـا البيضـاء
« السلام لكل ذوى النوايا الطيبة »

رب ، لقـد قدمت للعـالم المنقسـم ، لأوربا المنقسـمه
ثلج السـلام
ولكن المتمردين أطلقوا ألفا وأربعمائة مدفع
على جبـال السـلام

رب ، لقد تقبلت ثلجــك الأبيض الذى يحرق
أكثر من الملح
وقلبى يذوب الآن كصقيع تحت الشمس
وأنسى
الأيدى البيضاء التى حملت المدافع التى هدمت الممالك
الأيدى التى لسعت العبيد بالسوط ، ولسعتك
الأيدى القذرة التى صفعتك ، الأيدى البيضاء التى صفعتنى
الأيدى البيضاء التى قطعت الغابة العالية التى أحاطت بأفريقيا
قلبى قد ذاب ، يا رب ، مثل الثلج على سطوح باريس
فى شـــمس طيبتــك

زيـــــارة

أحلم ، حين تنتشر شبه الظلمة بعد الظهيرة بزيارة متاعب
النهار المنقضى

بموتى العــام ، بتذكــارات الســنوات العشرة الأخـيرة

كأن كل ذلك موكب الموتى ينزل قرية على الأفق من ناحية
البحر الضحل

انها نفس الشمس المنداة بالأوهــام

نفس السماء الواهنة بالرؤى المختفية

نفس السماء التى يخشاها أولئك الذين يصادقون الموتى

وفجأة ، يقترب منى موتاى

كريستوفر أوكيجو

(نيجيريـا)

دون حب

هبط القمـــر بيننــا
بين شجرتى صـــنوبر
تنحنى كل منهما للأخرى
هبط الحب مع القمـــر
وتغذى على جذوعنا المنفردة
والآن نحن ظـــلان
يتعلق كل منهمـــا بالآخر
ولكنهما لا يقبلان الا الهواء

کویزی بــرو

(فاقــا)

البحـث

المـاضى

ليس الا بقايا حريق

الحــاضر

والمسـتقبل

هو الدخـان

الذى أفـلت

فى ثنايا سحاب السماء المعقود

كونى رقيقـة عطوفا يا حبيبتى

لأن الكلمـات تصبح ذكريـات

والذكريـات تصبح مطـارق

فى أيـدى الفـارغين

عندما يصمت الحكماء

فذلك لأنهــم قرأوا

خطوط كف المســيح

فى وجــه بــوذا

لذلك لا تبحثى عن الحكمة

والأســوة الحســنة

فى كلماتهم ، يا حبيبتى

دعى النــار ذاتهــا

التى علقت ألســنتهم

بالصــمت

تعلمنــا ، تعلمنــا

رضـــا براهنی

(ایـــران)

لقاء مع الشاعر

لم أكن أتوقع حين التقيت بالشاعر الايرانى « رضا براهنى » أحد شباب شعراء ايران اللامعين انه يكن كل هـذا الحب للعرب وتراثنـا العربى ، ويعده أحد منـابع الهامة الفياضـة بالعطاء ، وكان ظنى أن الجفوة السياسية التى انقشعت غمامتها الآن بين بلدينـا قد أسهمت فى خلق هوة واسـعة بين الأدبين الشقيقين . ولكن صديقى الايرانى كان بادى الحماسـة لقضايانا حتى أنه ترجم كتـاب مكسيم رودنسـون عن النزاع العربى الاسرائيلى ، ليسهم فى تنوير الرأى العام الايرانى بأبعاد هـذا النزاع ، كما أن اسماء المتنبى وأبى العلاء وابن الرومى وغيرهم تتردد على لسـانه كسادة أوائل للتعبير الشعرى المشرقى .

ورضا براهنى من أبناء عام ١٩٣٦ ، وقد حصـل على درجة الدكتوراه فى أدب اللغـة الانجليزية من تركيا ، وهو الآن يدرس هـذا الأدب فى جامعـة طهران ، وقـد قدمنى اليه الدكتـور و.ج. ميلورد رئيس دائرة اللغات الشرقية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ثم اشتركنا ثلاثتنا وشاعر رابع هو الشاعر الزنجى الأمريكى بروس رايت فى ندوة عامة ، حول مقال اليوت النقدى

الشهير « الموروث والموهبة الأدبية » فضــلا عن أوجه نشاط أدبى أخرى ، وخــلال ذلك التقينا أكثر من مرة ، واستمعنا الى شعره بالايرانية التى لا أعرفها ، وان كنت درستها فى الجامعــة ثلاث سنوات ومحت عشرون عاما بعد التخرج ما أثبتت تلك السنوات الثلاث كما يمحى النقش على المــاء . واستمعت أيضا الى ترجمــة لشــعره بالانجليزية قام بها الشــاعر بمعونــة د.ج. ميلورد ، وراقنى فى شعره هذه الصيغة الموفقة للامتزاج بين الاصالة والمعاصرة . فالنبض نبض مشرقى ، ولكنه مستفيد أبلغ الفائدة من ميل الشــعر الحديث فى العالم كله الى الفكر والتدبر ، ومن ابداعات مدرســة التصويريين الأنجلو أمريكية ، ومن رمزيات الشعراء الفرنسيين المعاصرين ، الى غير ذلك من أوجه الابداع الجديد .

وتحدثنا ــ رضــا براهنى وأنــا ــ عن الأدب الايرانى الحديث ، وذلك موضوع لا أظن أن كتابات كتابنا قد تناولته ، فلدينا مجموعة من الأساتذة المتخصصــين فى الأدب الفارسى الكلاسيكى ، وقد قاموا مشكورين بترجمة جلال الدين الرومى وحافظ الشيرازى وفريد الدين العطــار والفردوسى وغيرهم ، ولكن شأنهم شأن الجيل السابق من المستشرقين الأوروبيين اذ يحيطون بأدبنا العربى الكلاســيكى ، ولكنهم لا يطمحون الى معرفة الجديد فيه .

والأدب الفــارسى هو موروث الأدب الايرانى المعــاصر

ومنبعه ، وعمر هـذا الأدب يمتد أحد عشر قرنا من الزمان حين استرد الفرس لغتهم أو خلقوها بعد ذبول الموجة العربيـة . وكانت هـذه اللغة مزيجا من العربية وألفاظ الحياة الفارسية ، مع اختلاف نحوها عن نحو العربيـة ، وكانت القصيدة شـأن القصيدة العربية هى أوضح الصور الشعرية وأكثرها شيوعا . والقصيدة الفارسية عادة تذكر بطلا من الأبطـال وتضمن اسمه فى سطرها الأخير ، حتى ولو كانت تتحدث عن جمال الطبيعـة أو لواعج الحب .

وبعد ثلاثمائة من السنين تقريبا أصبحت القصيدة نمطـا باليا من التكوين الشعرى ، ومال معظم الشعراء الى ما يسمى « بالغزلية » ، وهى نمط من القصيدة القصـيرة ، تتحدث عادة عن الحب ، والغزلية هى التى قادت الشعراء أو أسعفتهم فى أشعار التصوف الفارسية السامقة ، وهى النمط الذى آثره شاعر الفرس العظيم حافظ الشيرازى .

حين مات حافظ كادت الحياة الشعرية الفارسية أن تجدب (كما حدث حين أجدبت الحيـاة الأدبيـة العربية حين قضى أبو العلاء المعرى آخر الشعراء العظـام) حتى هبت على المشرق رياح التغير بتأثير الحضـارة الأوروبية الوافدة ، وامتزاجهـا أو اقتلاعها فى بعض الأحيان للجذور الدفينة فى باطن التربـة المشرقية ، واقترن ذلك الوافد بالحركة الدستورية فى ايران ، وقد يكون انعكاس هـذا التغير واضحا فى حقل النثر ، اذ مال

الى البساطة والموضوعية ، وطور نفسه ليؤدى ما تتطلبه الفنون النثرية الجديدة كالرواية والمسرح من التغيير •

وعرفت الحيــاة الايرانية عندئذ لونا من الشعر تصحبه الموسيقى ، ويؤدى فى المقاهى والتجمعات الشعبية ، ولكن هذا النمط الشعرى ما لبث أن ذوى ، لتحل مكانه موجة الشــعر الجديد التى أرسى لواءها الشاعر نيما يوشيج (Nima Yushij) المتوفى عام ١٩٥٩ •

اتجه جهد هذا الشــاعر الرائد الى تغيير البنية الشكلية للقصيدة ، وأدرك أن الحاســية الشعرية الحديثة تستلزم نمطا محدثا من البناء الشعرى ، ولمــا كانت وحدة القصيدة الفارسية هى البيت المحتوى على شــطرين ملتزمين • فقد استعمل نيما التفعيلة ، فطالت بعض الأسطر وقصرت أخرى ، كما جعل القافية عنصرا عفويــا يتردد فى أســطر القصــيدة حســب مقتضيات الاحساس والمعنى •

كان هذا الشاعر قارئا جيدا للشعر الأوروبى ، ومثقفا ثقافة كلاسيكية واســعة ، ولذلك فقد وضــع برنامجــا لتجديده الشعرى ، وواجه به معارضة السلفيين ، ولكنه أثر أثرا واســعا فيمن خلفه من الشــعراء سواء بأسلوبه أو موضوعاته ، وتوالت الأجيال التى تلتزم ببرنامجه ، ولكن أحدث الأجيال من شــعراء الايرانية يميلون ميلا واضحا الى قصيدة النثر ، بتأثير الثقافــة

الفرنسية بينما يتأثر بعضهم بشعر الجيل الناشز فى أوروبا وأمريكا Beat ، فلا يعنون بالبناء اللغوى ، ويخرجون عن قواعد الموسيقى الداخلية للشعر الموروث الى قواعد مستحدثة شخصية ، ويلجأون كثيرا الى السخرية والهجو والابهار واللعب بالألفاظ المحرمة ٠

هذا موجز ما دار من حديث بين رضا براهنى وحول الشعر الايرانى الحديث ، ومنه يتضح أن هـذا الشعر قد سلك نفس سبيل شعرنا ، أو بالأحرى أن (حافر شـعرنا وقع على حافر شعرهم) كما كان يقال قديما ٠ ومن الحق أن حركة التجديد قد بدأت عندهم قبل أن تبدأ عندنا بثلاثين عاما ، وأنها نبعت من الثقافة الفرنسية ٠ أو من لقاء الثقافة الفرنسية والفارسية ، ولكن من الحق أيضا أننا نلمح نفس المسار تقريبا ، حتى فى تفاصيله ، فسنجد فى الأشعار الايرانية الحديثة أن معظم القصائد موزونة على أوزان الرمل والرجز والوافر والمتقارب ، وسنجد أن عالم الرمز والاسطورة الذى دخل شعرنا مكتسحا زمنا ما ، يدخل فى شعرهم بنفس المقدار ، وسنجد أن التمزقات الداخلية والاجتماعية للشعراء تنعكس انعكاسا واضحا فى هذا الشعر ٠

وبعد هذه المقدمة أقدم للقارىء ترجمة عربيـة نثرية لاثنتين من قصائد رضا براهنى مستعينا بالترجمة الانجليزية ، وبالشاعر نفسه الذى يعرف العربية معرفة قراءة لا بأس بها ٠

شر تحت الشمس

كنت فى صحراء الشـــوارع
حين جـــاءنى أحـــدهم قائلا :
هذا زمن مرير غير مأمون
وفى المساء ، حين انحدرت على سلم الحانة
وفى تلك الأعمـــاق البعيدة
وفى أسر الضباب والدخان والسكر المرير
رأيت اخـــوتى
وتحدثنا ــ حزانى ــ عن البحر والأسماك
والغابة والحب والمسيح والنور
ونسيم المواويـــل الرقيق
حين صاحت بغى مرتعبـــة
هـــذا زمن مرير غير مأمون
وعندما جلست ورطبت شفتى بالشراب

وامتد خدر السكر الندى الى ذراعى
وتــألق فى خــدى
جاء النادل ــ بلكنته الأجنبية
وتحدث عن العملة والحانة والخمر
ثم حنى رأسه نيلامس أذنى ، وقال فى صوت
منــذر بالشــؤم :
هذا زمن مرير غير مأمون
وملأت أذنى بالرصاص ، وخرجت من المنزل
والحــــانة
ومشيت ، ومشيت ، مذعورا مشيت
وتحدثت وتحدثت ، هاذيا ، تحدثت
وجاء وافد جديد الى المدينة ، يظهر أنه كردى
نظر الى خنجره الورقى
وجــأر فى غضب
هذا زمن مرير غير مأمون
ورجل آخر ، قد يكون جيلاكيا أو تركيا
بائع يقف على ســلة فاكهة
رفــع يده الى أذنــه

وقال لرجل آخر مازال يحمل صبغة بحر عمان الأزرق
وتراب الصحراء المملحـة
وهو ينظر فى عينيه نظرة زجاجية
هذا زمن مرير غير مأمون
وانحدرت الى الحـارات ، فالمشـارف ، فالتـل المسقى بحمرة الدم
وخلف التل الدموى ، رأيت كوخا منعزلا وامرأة وحيدة
ـ أمى ، ابنتك ، زوجتنا
كانت تجلس خلف النافذة كالقطة
ترقب الريح ، وهى دامعة العينين
وتقول لأمطـار المساء
: يا مقاطع أمطار المساء البريئة
هذا زمن مرير غير مأمون
وعلى حافة الأرض والسماء الجافـة
رأيت غدائر طويلة تتدلى من الفضاء
كانت تدعـونى
ومددت ذراعى ، وعلوت اليها ، وتسلقت
ورأيت هناك الحافة الرملية لليل

حيث تحفر أعماقها المظلمة الآبار فى طريقك
بينما تصيح فئران معولة من كل ركن
هذا زمن مرير غير مأمون
وأمامى قبل النافذة رأيت بئرا
والمـاء فى أعماقه البيضـاء
كعصفور كبير يصفق بجناحيه
ولكن حمامة محتضرة من ركن من الظلمه تصيح
هذا سراب ، ليس مـاء
هذا زمن مرير غير مأمون
وهناك كان الناس ، زحاما صائحا يغلى
فى جميع الطرق الرئيسية
وظهرت مرايـا من المساء
ومن خلف كل هـذه المرايا
آلاف من قضبان النوافذ المحترقة
وبينها يتألق هلال الليل النحيل
وكان ذلك الزحام يصيح :
هذا زمن مرير غير مأمون
هذا زمن مرير غير مأمون

وطلبت الجواب من صيارفة العمله فى شارع الفردوسى
ومن سماسرة السوق
ومن القوادين الهامسين
ومن الشحادين المداهنين الملحاحين
ومن المسئولين المتعبين
ومن المشاة المخمورين
ومن السياسيين المتحذلقين
ومن المجانين اللامبالين
من العين والشفه ، الحديث ومقاطع اللعه ،
طفت هنا وهناك ، فى هذا الطريق وذلك الطريق ، وسألت مرة أخرى
بل انى سألت السؤال
وطلبت الجواب من العشاق الذين لا يردون جوابا
الذين قضى على نسلهم بالانقراض
كما انقرضت الحيوانات البدائية البغيضة
من أكلة الأفيون
ومن المثقفين المأبونين
ومن المجرمين الذين لا يزورهم النوم

ونشالين شـــارع اسطنبول
ومن طول التاريخ وعرضـــه
ومن قمم الجغرافيا ومنحدراتها
ومن الرياح المحسنة والمسيئة
وأجاب الجمع من كل ناحية صائحين
هذا زمن مرير غير مأمون
صاحوا مثل الكورس
تنفس ، لكن لا تنطق
أنصت ، لكن لا تتكلم
انظر ، لكن لا تبصر
تحرك ، ولكن عد مكانك
هذا زمن مرير غير مأمون
ان البوق ، والنفير ، والطبلة
وكل الأصـــوات الغبية
اللكمات ، والأحذية ، والخطى الواسعة
تمتهن ميراث العواطف الضائع
وامرأة تبصق لعابها المسفلس(*)
فوق أعشاش الجمـــائم الناعمة

(*) مصابة بمرض الزهرى .

فوق شيش نوافذ قصر العدالة
كلب مستعجل يبحث عن القمامة عند كل التماثيل
تمــاثيل الشــهداء
وصبي يستمنى
لوث كل الايقونات المقدسة
وبغى مانت فى ركن المسجد
عذراء صبيه قدمت حياتها قربانا للحب
واحترقت فى النــار
حتى أصبحت مجوفــه
وراهب مصاص للدماء ينهض لتوه من صلاته
ليذبح زميله الناســك
صور تنعكس فى الأحلام والخيال
كلها بأحذية طويلة ، وسيوف وشوارب
قباب ومنائر قديمة ، والسوق ، والليل ، وضاربو الرمل
وبغايا لهن أزواج بالآلاف
ومنجمون لهم زبونات بالآلاف
والضوضاء ،والهرج والصخب فى كل مكان
وصوت الآذان فى الفراغ الجاف لمدينة الصحراء

وصــوت الامــام .
فى الركوع والسجود ليلا ونهارا ، وهو يقول
تحركوا الى الحائط ، الى مصابيح الظلام الأربعة
تحركوا الى ميدان الليل المسفلس
تحركوا ، ثم عودوا
وانظروا اذا كان ماء المطر سيطهركم
سيطهر بغايا الشــوارع
وهل ستسامح رقاب المذبوحين
ضربات الســفاحين
وهل ستستطيع الروح
أن تحــرر نفســها
من قوانين العدد والشكل المدنسة .
أيهــا النــاس ، أيها النــاس الشــهداء ، أيها الشــهود
الصامتون على الخيانة فى كل مكان
تستطيعون أن تعودوا
عبر كل المــرات
وكل المــيادين
وتخلفوا كل المتاجر والشوارع

والمبغى ، وبيت الراهبات ، والكتب ، وديدان الكتب
فى صحراء الشوارع مشيت
وفى صحراء الشوارع قلت
انى أرى سقوط أبى
انى أرى سقوط ابنى
أيها الناس ، أيها الناس الشهداء
الهيـاكل العظيمـة المذهبـة رقصت فى كل الميـادين
فى أعراس الحمقى
وكل القوادين ألحفوا فى النداء
أن تدخل وتشرب وتزنى وتحلم
بالمشانق والأفـاعى ، والنعوش
والدوريات الليلية ، والبنادق
والهراوات والصـلب
وسحر السيارات والأنوار الحمراء البراقة
هذا زمن مرير غير مأمون
وحين كنا نقامر ، أشرنـا
بأصابعنا الى الأرض السوداء ، حين صاح صائح
هذا زمن مرير غير مأمون

حتى القطط الفارسية قالت هذه الكلمة
حتى الفئران
حتى الكلاب النابحـــة
وكان هنـــاك لوطيون
قالوها فى ابتسامة محملة بالمعنى
والشوارع المسفلسه ونافورة الميدان المضيئة
رددتهـــــا
وأحراش جنوب المدينة العقيم
والنســـوة الحـــوامل
والفتيات الخصيبات فى شمال المدينة
قـــلن :
هذا زمن مرير غير مأمون
ورجل فى ثياب الصباح يجلس فى سيارة ليموزين
يضع قبعة عالية تثير ضحك العمال
ويمسك بعصا مطعمة بالجواهر
أمر سائقه قائـــلا :
تحـــرك ، عـــد !
هذا زمن مرير غير مأمون
وأرسلت سلة زهر الى امرأة جميلة
ـ أصبحت حديثا عشيقة لرئيسها

معلق بها بطاقة سوداء ، وعليها هذه الكلمات : عزيزتى
هذا زمن مرير غير مأمون
همس بها سيف ذو حدين لقرابه
ومشنقة لأنشـــوطتها
وطبيب لمريضـــة
وجاءت امرأة من القرية لتضع توأمين فى المدينة
فى أول يوم قال لها الطبيب
هذا زمن مرير غير مأمون
وفى اليوم الثانى قال الجراح
هذا زمن مرير غير مأمون
وفى اليوم الثالث اقتربت الممرضة من سريرها وقالت
تحـــركا ، عـــودا
هذا زمن مربر غير مأمون
أيها الناس ، أيها الناس الشهداء ، يا شهودا صامتين على
الخيانـــة
فى كل مكان
تستطيعون أن تعبروا هذه الحارة .
ثم هذا الطريق الى بوابة المدبنة
ولكننى ،
سأضىء الشـــموع

أصابعى ، وسأرحل من هذه الحارة الى تلك
وسأبحث عن نفسى فى كل مكان ،
أو أذهب نحو أبى ، على يدى وركبتى
وبأصابع مدماة ، وبدون شفاعة أمى
سأقتل نفسى فى جثتـه
لحظة قبل الفراق ، سأحلم حلمى الأخير .
فلقد مدت سعف غدائرها على جبهتى المحمومه
وهى تضحك كنار تئز ، وقلبى ينبض كغابة
مليئـة بالطيور المغردة
وعندما أستيقظ من الحلم ،
وأرى المدينة بخداعها ونارها ، قبضتها وحديدها
تقف منتصبه تسمع ما يصيح به مؤذن يوم الهلاك
والامام يقول : تحركوا .. افسحوا الطريق
هذا زمن مرير غير مأمون
عندئذ لن أغادر المدينة ، وسأظل هنا
حتى نهاية الزمن ، حتى يعود ذلك الزمن الذى يشبه التاريخ
والذى هجرنى وخاننى كما يخون الأخ أخاه
هجرنى كأنى طفل
حتى يعود الى ذلك الزمان نادما معتذرا
ويستردنى من باب منزل الغرباء المجافين

احـــداث

فى أول أيـــام الليل
أو فى أول ليل اليوم
وقف فوق كل سطح منزل جنديان
وقد شرع كل منهما احليلا من الصلب
(بندقية محشوة متأهبة للقذف)
ليسفحا بايقاع الطلقات السريع
الدم الساخن من عروق الزحام المذعور
وعدونا لمنازلنا ، ودربسنا الأبواب والنوافذ
واختبأنا ، وابتهلنا لله القوى
كان ذلك يومنا الأول
اليوم الأول من الليل
الليل الأول من اليوم
وفى نصف الأسبوع ، أطلقوا النار جزافا فى الهواء

فلما سمعناها ، جرينا لمنازلنا ، ودربسنا الأبواب والنوافذ
واختبأنا ، وابتهلنا لله القوى
وفى اليوم قبل الأخير
أضحكوا جميع الناس
لأنهم صرعوا حمامتين
بطلقات سريعة فى غمضة عين
فى الضوء الأزرق المعتاد تفجرنا
حتى أن الحمامتين
هوتا كقفازين مملوءين بقبضتين ميتتين
هوتا فى جلال فوق فوهة المزراب السوداء
وظل الريش المسقى بالدم يهطل
لساعتين أو ثلاثا من السماء
ولما أضحكوا جميع الناس
فتحنا الأبواب والنوافذ
وانطلقنا فى الشوارع الجديدة
ولكننا لم نبصر من آفاق الفراغ

هذه القبضة الخائنة تمتد من جذع قاتل
وتتدلى فوق رءوسنا
وفى اليوم الأخير قتلوا عددا جما
وانبعث الضجيج الوحشى من نشاز الطلقات
بينما كانوا — أولاد الكلاب — يضحكون
وفى اليوم الأخير
كان كلبان يتسافدان
فوق المزراب
ولم نر ، ولكنا سمعنا
ان هذا اليوم كان يوم الحرية

الفهـــرس

الشعر

الصفحة

● لوركا

● قسطنطين كفافى

رقم الايداع ١٩٨٩/٨٣٣٦
الترقيم الدولى ٥ ـ ٢٢٨١ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

يتضمن الجزء الخامس من هذه السلسة مجموعة من مختارات الشاعر النثرية والشعرية التى ترجمها فى الخمسينات والستينات وظهرت فى الدوريات المصرية ، وهى تتضمن قصصا لسومرست موم « انجلترا » وتينسى وليامز « أمريكا » وسيمون دى بوفوار « فرنسا » ، وأشعار للوركا « اسبانيا » وقسطنطين كفافيس « اليونان » وافيتشنكو « الاتحاد السوفيتى » وجونار اكيلوف « السويد » وغيرهم ...

٤٧٥ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب